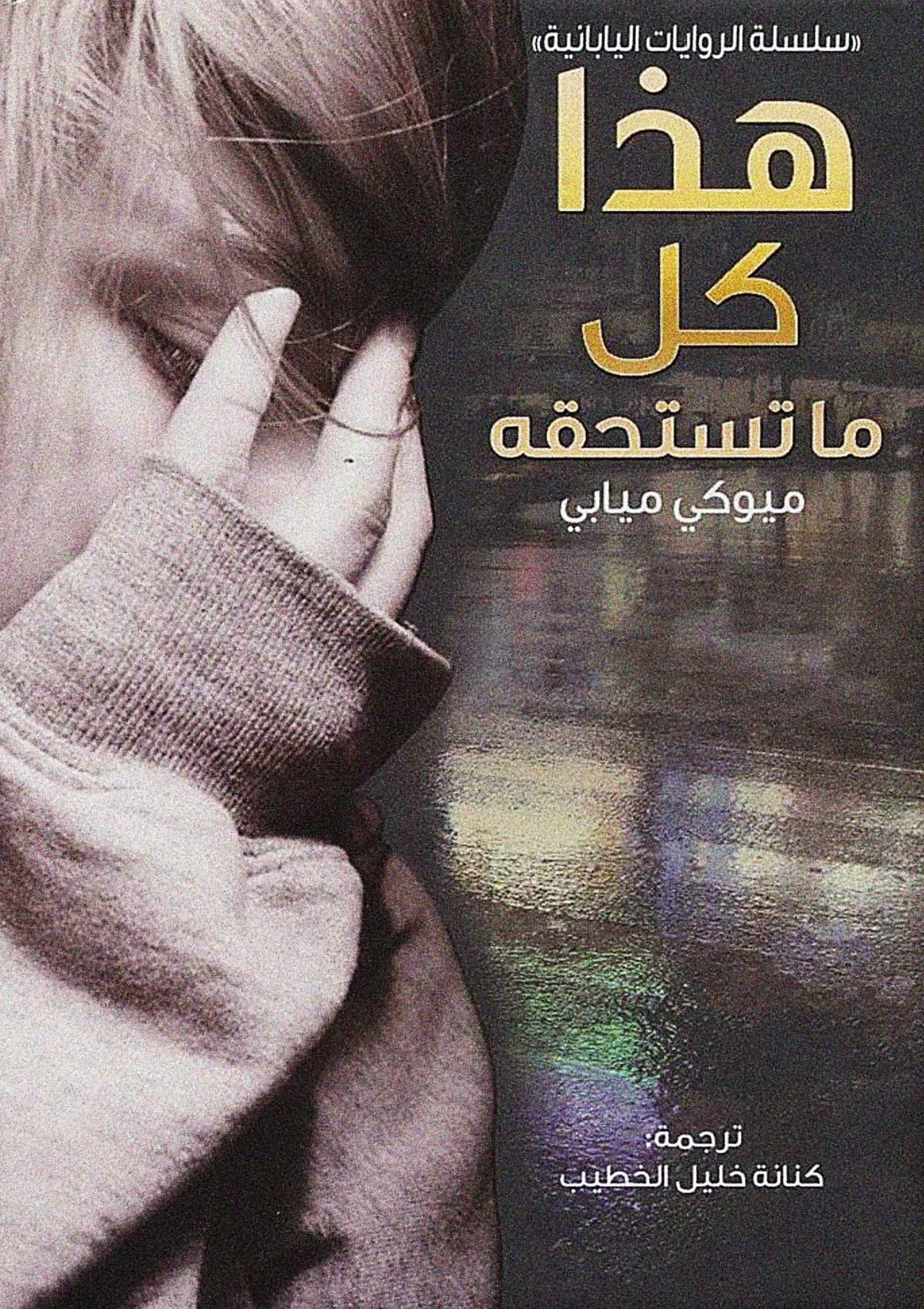


«سلسلة الروايات اليابانية»

# هذا كل ما تستحقه

ميوكي ميابي

ترجمة:
كنانة خليل الخطيب

## نبذة عن المؤلفة:

ولدت في 23ديسمبر1960 في كوتووارد- طوكيو - اليابان، وتعد من أشهر الكتاب اليابانيين المعاصرين.

وقد بدأت في عام 1984 بتلقي دروس في مدرسة لتعليم الكتابة تديرها شركة كوداناشا للنشر، وكانت باكورة أعمالها القصصية عام 1987 بعنوان واريراجا رينجن نوهانازي، ونالت العديد من الجوائز مثل، جائزة ياماموتو شاجور عام 1993 عن روايتها (كاشا)، وجائزة نوكي عام 1998 عن رواية (ريا) أو (العقل).

## نبذة عن المترجمة:

ولدت في 28 / 1/ 1977 لأبوين سوريين في مدينة السلمية التابعة لمحافظة حماة السورية.

في عام 2004، تخرجت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة الإنجليزية.

عملت في سوريا مدرسة لغة إنجليزية قبل انتقالها للإقامة في دولة الإمارات العربية المتحدة عام 2005، أول ترجمة لها كانت مجموعة قصصية بعنوان «العملاقة والقارب الحجري».

ميوكي ميابي

# هذا كل ما تستحقه

ترجمة: كنانة خليل الخطيب

مراجعة: د. خالد المصري

الطبعة الأولى 1432هـ 2011م
حقوق الطبع محفوظة
© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
PL856.I856 K3712 2011
Miyabe, Miyuki, 1960-
[Kasha]
هذا كل ما تستحقه / ميوكي ميابي؛ ترجمة كنانة خليل الخطيب؛ مراجعة خالد المصري. -ط.
1.- أبوظبي : هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2011.
ص 458 ؛ 13.5×19سم.
ترجمة كتاب: Kasha
العنوان بالأنجليزية: All she was worth
تدمك: 978-9948-01-983-1
1. القصص اليابانية -- القرن العشرون -- المترجمات إلى العربية.
2. القصص العربية -- القرن العشرون -- المترجمات من اليابانية. أ. خطيب، كنانة خليل.
ب. مصري، خالد. ج. العنوان.
يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الياباني:
Miyuki Miyabe
KASHA


كلمة KALIMA
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 451 6515 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 171 6576 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

هذا كل ما تستحقه

# مقدمة

هذه واحدة من أهم الروايات البوليسية للكاتبة اليابانية المعروفة ميوكي ميابي. نشرت للمرة الأولى عام 1992 باللغة اليابانية تحت عنوان «كاشا»، إشارة إلى الأسطورة الشنتوية القائلة بإبادة الأجساد الميتة.

في عام 1996 ترجمها ألفرد بيرنبوم إلى اللغة الإنجليزية تحت عنوان All She Was Worth.

تجري أحداث الرواية في سنة 1992 وهي تتحدث عن محقق في شرطة العاصمة يدعى شانسوك هونما كان قد توقف عن العمل نتيجة إصابته بطلق ناري في ساقه. وفي أحد الأيام يطلب منه قريب زوجته، جان كوريساكا، أن يبحث له عن خطيبته شوكو سيكين التي اختفت فجأة بعد أن اكتشف جان أمر إفلاسها.

وبعد شروعه بالتحقيقات وفي أثناء تجواله في البلاد بحثاً عن الفتاة الهاربة، يكشف هونما عن الكيفية التي يؤثّر بها اقتصاد اليابان– المعتمد على الائتمان بالإضافة إلى نظامها الخاص الذي يعدُّ العائلة الركيزة الأساسية في المجتمع، لا الفرد – تأثيراً سلبياً في حياة الأفراد.

في «هذا كل ما تستحقه» تصور لنا الكاتبة ميوكي مدينة طوكيو في العصر الحديث، حيث تضافرت جهود البنوك وشركات الائتمان لتشكيل فخ الديون الاستهلاكية الذي يقع فيه معظم الناس من دون

قصد منهم، ثم لا يجدون سبيلاً للهرب ويقدم الكثير منهم على الانتحار.

تسهب الرواية في وصف كيفية عمل نظام الائتمان والقروض في اليابان وتأخذنا إلى أماكن مختلفة داخل طوكيو.

بشكل عام، تعدُّ رواية «هذا كل ما تستحقه» مزيجاً فنياً من حل الألغاز والمعالجة الاجتماعية.

## ✧ 1 ✧

ما إن انطلق القطار مغادراً محطة أياس حتى بدأ المطر بالسقوط، وكان مصحوباً بحبات من البرد.

وقف شانسوك هونما عند الباب وراح ينظر للخارج، وقد أمسك بإحدى يديه قضيباً معدنياً وأمسك باليد الأخرى مظلته محاولاً أن يستند إليها ليخفف الثقل عن ركبته بعض الشيء، إذ كانت تؤلمه طوال النهار. كانت الساعة قد قاربت الثالثة بعد الظهر، والقطار المغادر في مثل هذا الوقت يكون خالياً تقريباً، ولهذا فقد كان هناك الكثير من المقاعد الخالية، إن رغب في الجلوس.

لا يوجد الكثير من المسافرين، فقط فتاتان تدل ثيابهما على أنهما في المدرسة الثانوية وسيدة بدا عليها النعاس، رامية نفسها فوق حقيبة يدها الضخمة، وعند مقصورة السائق وضع صبي سماعة الأذن على رأسه وراح يهتز مع الموسيقى التي يستمع إليها.

كانوا بضعة مسافرين فقط، يمكنك أن تتفحص وجوههم جيداً واحداً تلو الآخر، ولم يكن هناك أي مبرر لاصراره على الوقوف في حين أن الجلوس أكثر راحة له بكل تأكيد.

لقد خرج من البيت عند الصباح، فذهب أولاً إلى جلسة العلاج الفيزيائي ثم عرج على مكتب التحقيق من دون أن يستقل سيارة

أجرة، بل تدبر أمره مشياً على الأقدام واستخدم المواصلات العامة وهو الآن يشعر كما لو أن ظهره عبارة عن صفيحة، ولا عجب أن ركبته تؤلمه منذ الصباح.

كان الجميع في مكتب التحقيق قد خرجوا في مهام مختلفة ماعدا رئيس القسم الذي استقبل هونما بتحية ترحيب مبالغ فيه قليلاً، فبدا وكأنه يقول له في سره: «ما الذي تفعله هنا؟»

وقد جعله هذا يشعر بالقلق وبالأخص أنها كانت المرة الثانية فقط التي يأتي فيها إلى المكتب منذ أن أخذ إجازته المرضية في السنة الماضية، غير أن جَعْله يشعر بالارتياح لم يكن جزءاً من الاتفاق، أليس كذلك؟ إنها ليست لعبة، إذ بإمكانهم أن يحضروا بديلاً لك مباشرة إذا ما سرحت من الخدمة، ويستطيعون بكل سهولة أن يغيروا كل القوانين ويطردوك من منصبك.... وما الذي سيوقفهم؟ للمرة الأولى شعر هونما بالندم لتركه العمل، ولهذا السبب صمم أن يبقى واقفاً، لقد جرحت كرامته على الرغم من أن أحداً لم يلحظ هذا أو ربما بالأحرى لأن أحداً لم يلحظه ولم يقل له: «يبدو وكأنك تمر بوقت عصيب».

راح هونما يتذكر تلك الفتاة التي كانت تسرق المتاجر عندما عمل نائب رئيس قسم الأحداث. لقد كانت ماهرة حقاً ولو أن أحد أصدقائها لم يوقع بها لما تمكنوا من الإمساك بها أبداً. لم تكن تنتقي بضاعتها إلا من أفضل المحلات، لكنها لم تكن ترتديها ولا تسرع إلى بيعها أيضاً، بل كانت ترجع إلى غرفتها فتقفل الباب وتبدأ بتجربة كل ما جلبته معها من ملابس وساعات وإكسسوارات أمام مرآة تظهرها بالطول الكامل فتبدو وكأنها عارضة أزياء في إحدى مجلات الموضة،

لكن فقط أمام المرآة. أما حين تخرج إلى الشارع فقد كانت تلبس بنطال الجينز القديم ذاته الذي اهترأ عند الركبتين.

هل حدث هذا منذ عشرين سنة حقاً؟ لابد أن تلك الفتاة قد صارت الآن أُماً لولد أصبح في مثل عمرها حين عرفها هونما، فهل لاتزال تذكر ذلك المحقق المبتدئ الذي حاول أن يؤنبها لكن الكلمات خانته ولم يعرف ماذا يقول لها.

كان المطر يهطل غزيراً لدرجة تجعلك تظن أنه لن يتوقف، فقطرات الماء تسيل على زجاج النافذة وترسم خطوطاً عريضة استطاع هونما أن يرى من خلالها الأبنية وقد هبطت الغيوم وجثمت فوقها. والغريب أنه إذا تحولت هذه الغيوم إلى ثلوج وغطت هذه الشوارع الداكنة، فإن الطقس سيصبح أكثر دفئاً، قالت له شيزوكو ذات مرة: «هذا ما يعتقده سكان طوكيو فقط، أنتم لا تعرفون الثلج الحقيقي». ومع ذلك كان هذا الشعور يراوده في كل مرة يهطل فيها الثلج ويحول لون شوارع المدينة الرمادية إلى الأبيض.

توقف القطار في محطة كامياري ليقل عدداً من الركاب، صعدت مجموعة مؤلفة من خمس سيدات في منتصف العمر، وبينما كان هونما يفسح لهن الطريق محاولاً عدم الاستناد إلى رجله فلتت منه أنة ألم جعلت فتاتي المدرسة الثانوية ترمقانه بنظرة تدل على أنهما تقولان في نفسيهما: «يا له من رجل مخيف».

حين عبروا نهر ناكاجاوا كانت مداخن معمل ورق الميتسوبيشي ذات اللونين الأبيض والأحمر تطلق أعمدة ضخمة من الدخان. حتى المعامل تبدو مختلفة مع تبدل الفصول وتغير الطقس. بدأ المطر المتجمد

يتحول إلى ثلج، هذا جيد.كان النزول من القطار في كاناماتشي صعباً جداً. عليهم أن يخصصوا عربات قطار للمعاقين، ليس فقط تلك المقاعد الفضية اللون المثيرة للشفقة، بل وعليهم أيضاً أن يجعلوا الأبواب تفتح وتغلق ببطء ولطف حتى لا يضطر الناس إلى التدافع.

مازال عليه أن يجاهد لينزل عن درج المحطة، فإذا لم يكن حريصاً فقد تنزلق المظلة على الأرض الرطبة ويسقط.

استقل سيارة أجرة على الرغم من أنه لم تكن تفصله عن المجمع السكني الواقع في الجهة الشمالية لمتنزه ميناموتو سوى خمس دقائق، وبينما كان يجتاز القناة لاحظ من بعيد رجلاً يمشي في الضباب حاملاً حبلاً وصندوق عدة وقد ارتدى ملابس شتوية وصدرية محشوة بالريش مما جعله يبدو رجلاً مسناً.

توقفت سيارة الأجرة أمام البناية التي تقع فيها شقته. دخل هونما إلى المصعد وصعد إلى الطابق الثالث وهناك في نهاية الممر فتح الباب. إنه ماكوتو، لابد أنه كان واقفاً عند النافذة ورأى السيارة حين توقفت.

قال الصبي وهو يسرع لمساعدته: «لقد تأخرت».

هونما: «أنا بخير».

كان ابنه في العاشرة من عمره فقط، أصغر من أن يستطيع إسناده، وإذا سقط هونما فسيتأذى كلاهما. وعند باب الشقة المفتوح وقف تسونيو إيساكا، الرجل الذي يقوم بأعمال التنظيف والطبخ من أجلهما، وهكذا كان على هونما أن يبتسم لأجل هذا الاستقبال الذي حظي به.

إيساكا: «لابد أنك متعب، عندما بدأ المطر يسقط شعرت بالقلق،

لم لا تستخدم مظلتك؟»

أجاب هونما وهو يحاول إبعاد الأحذية من أمامه في المدخل: «يوجد ثقب فيها، هذا الشيء القديم لم يعد يصلح إلا عكازاً».

«آه».

لقد تقدم إيساكا في العمر وشاب شعره ولكن جسمه لايزال قوياً، انحنى نحو هونما كي يستند هذا الأخير إلى كتفه.

«إذاً لا داعي لشراء عكاز، فأنت ستحتاج إليه لفترة وجيزة على كل حال».

«نعم، لقد أصبت في هذا».

فاحت في الشقة ذات الغرف الثلاث رائحة لطيفة، لابد أن إيساكا يحضر شراب الساكي. اتجه هونما إلى غرفته ليغير ملابسه لكنه توقف فجأة ووضع يده على الحائط كي يتوازن ثم نظر إلى الخلف ليجد ماكوتو واقفاً وراءه.

«هل هناك ما تخبرني به؟»

كانت هذه بمثابة تحية الترحيب في العائلة، فلقد اعتاد هونما أن يسأل شيزوكو هذا السؤال كلما عاد إلى البيت من الخارج أو بعد غياب عدة ليال في العمل.

لقد توفيت منذ ثلاث سنوات وتركته وحده مع ماكوتو، لكنه لايزال يسأل السؤال نفسه: «هل هناك ما تخبرني به؟» والجواب كان دائماً: «لا ليس هناك ما يستحق الذكر».

أما اليوم فقد أجاب ماكوتو: «هناك أمر واحد».

التفت هونما مباشرة إلى إيساكا، لكن ماكوتو كان هو الذي تكلم.

«لقد اتصل العم جان».

«ومن هو العم جان؟»

«أنت تعرفه، إنه يعمل في بنك».

«آه، هل تقصد جان كوريساكا؟»

أجل إن آل كوريساكا هم عائلة شيوزكو.

«أجل، أجل، ذلك الشاب الطويل الضخم».

«ها، ذاكرتك جيدة أيها الفتى! هل تعرفت إليه مباشرة حين سمعت صوته؟»

هز ماكوتو رأسه وقال: «في البداية أجبت وكأني أعرفه ثم رحت أفكر قليلاً».

ضحك إيساكا.

«متى اتصل؟»

«منذ حوالي الساعة».

«وماذا قال؟»

«قال إنه لا يستطيع إخباري بما يريد وسأل إن كنت ستعود إلى البيت الليلة، فالأمر مهم جداً ويجب أن يقابلك».

«الليلة؟»

«أجل».

«ماذا هناك يا ترى! حسناً، ليس أمامنا إلا أن ننتظر إن كان سيأتي كما قال».

ذهب هونما ليبدل ملابسه وحين رجع كان ماكوتو يحمل بين يديه صينية عليها فنجانان من الساكي الساخن وقبل أن يسأله والده أجاب:

«أنا ذاهب إلى بيت كازي».

وجدها الأب فكرة جيدة، لكنه قال له: «وهل يشرب كازي شراب الساكي؟»

«قال إنه لم يجربه أبداً من قبل».

كازي هو زميل ماكوتو في الصف ويسكن في الطابق الخامس، وبما أن والديه يعملان فقد كان الصبي يمضي معظم الوقت وحده في البيت.

«لا تستخدم المصعد، لأنك إذا سكبت شيئاً من الشراب هناك، فسيكون من الصعب تنظيفه».

قال ماكوتو وهو متجه نحو الباب: «أجل أعلم هذا».

سحب هونما كرسياً ليجلس ثم أطلق نفساً عميقاً جداً كان يحبسه.

قال له إيساكا وهو يضع الفنجان أمامه: «عليك ألا تجهد نفسك كثيراً».

«قل هذا للمعالجة الفيزيائية، فهي ترى عكس ذلك».

«حقا؟»

«إنها أشبه بشخص سادي، أشعر بأنها تستمتع بتعذيبي».

«إنها طبيبة ولديها خبرة».

انعكست صورة وجه إيساكا المدور وهو يبتسم على سطح الطاولة اللامع، من المؤكد أنه قام بتنظيف البيت فقد اختفت الحلقات التي خلفتها الأكواب تحتها وليس هناك أثر لبقع القهوة.

أضاف إيساكا وقد لف أصابعه الثخينة حول الفنجان: «سأجهز

عشاء لثلاثة أشخاص».

«شكراً».

«اثنان أوثلاثة لا فرق، لكن ذلك الشاب كوريساكا... جان، هل هو أحد أقربائك؟».

«من بعيد، إنه أحد أبناء عم زوجتي».

«وهذا يجعله عماً لماكوتو».

«هذا يجعل الأمر معقداً، نحن لسنا مقربين جداً على كل حال».

إذا لم تكونا مقربين جداً، فما الذي سيأتي به إلى هنا ويدفعه لقطع كل هذه المسافة.

«أنا لم أره منذ عدة سنوات، حتى إنه لم يحضر جنازة شيزوكو».

كان هونما قد وضع صورة تذكارية لشيزوكو على أحد جدران غرفة الجلوس بالقرب من النافذة حتى تصل إليها أشعة الشمس في النهار.

نظر باتجاه الصورة حيث كانت شيزوكو تحدق من خلال الإطار الأسود، كانت نظرتها غامضة وقد أمالت رأسها إلى أحد الجانبين.

قال إيساكا وهو ينظر من النافذة: «لا تنظر الآن، الثلج يتساقط».

## ✧ 2 ✧

كانت الساعة قد شارفت على التاسعة عندما وصل جان كوريساكا.

وفي تلك الأثناء كانت سماكة الثلج الذي غطى الطرقات وأسقف المنازل قد بلغت حوالي الإنشين، ومع غياب الشمس هبت رياح شمالية حاملة معها حبات البرد التي بدت وكأنها أسهم بيضاء صغيرة أطلقت تحية ترحيب.

عند السادسة كان هونما قد قال لنفسه إن جان لن يأتي، لم يكن قد اتصل، لكن هونما سمع في التلفاز ثم قرأ في الجريدة، عندما وصلت أخيراً، تحذيرات من حدوث عاصفة ثلجية، وعندما شاهد في أخبار الساعة السابعة أن طريق مانوتي الخارجي قد تم تحويله بالإضافة إلى أن خطوط تشو وسوبو قد وضعت خارج الخدمة. تأكد حينها من أنه كان محقاً في ظنه.

يعيش جان في فوناباشي، وهي من الضواحي شرقي طوكيو. زارها هونما مرة واحدة منذ عدة سنين ولكنه مازال يتذكر أنه تعين عليه أن يركب الباص من المحطة لحوالي عشرين أو ثلاثين دقيقة، لذلك فإنه من الصعب أن يتخيل أن هناك من يتجول هنا في شمال المدينة في هذا الليل وفي هذا الطقس السيئ، ثم عليه أن يرجع بعد ذلك عبر الخليج

إلى تشيبا. تستغرق هذه الرحلة حوالي ثلاث ساعات ذهاباً وإياباً في وضح النهار، فما بالك مع كل هذا التغيير في خطوط القطارات والوقت الذي يمكن أن تقضيه في الانتظار.

ولكن إذا كان جان على استعداد ليقطع كل هذه المسافة وفي ليلة كهذه، فلابد وأن شيئاً خطيراً قد حدث، وقد جعل هذا الأمر هونما يشعر بالقلق.

كان هونما وماكوتو قد أنهيا عشاءهما للتو حين رن جرس الباب. بدا وجه جان نحيفاً وليس كما يتذكره هونما، أو ربما بدا كذلك لأن الناس في منتصف فصل الشتاء ينكمشون قليلاً على أنفسهم، لكن من الواضح أن ملامح جان المتعبة لم تكن بسبب البرد فقط.

وبما أن جان كان قد تناول عشاءه، فقد صنع ماكوتو لهما بعض القهوة وأسرع ليأخذ حماماً، إذ علمه هونما ألا يتدخل في أحاديث الكبار إلا إذا سمح له. وقد كانت هذه القاعدة صارمة ولا يمكن التهاون بها، هذا بغض النظر عن كون جان عمه أم لا. فالصبي لا يعرفه ولا حتى هونما يعرفه جيداً، حتى إنه كان يتساءل متى كبر هذا الشاب إلى هذه الدرجة، لذلك سأله مباشرة: «كم أصبح عمرك الآن؟».

«تسعاً وعشرين سنة، أظن أننا لم نتواصل منذ حوالي سبعة أعوام، منذ أن أرسلت لي العمة شيزوكو هدية التخرج، كان ذلك قبل أن أباشر العمل».

آه، أجل لقد تعبت شيزوكو كثيراً في اختيارها: «ولكن ما الهدية التي يمكن تقديمها لشخص على وشك أن يبدأ العمل في بنك».

قال هونما وهو يحاول أن يتذكر: «مازلت تعمل في كاندا؟ ولكن

في أي بنك؟ داتشي؟ سانوا؟»

«لقد انتقلت من مكان إلى آخر، كاندا، أوشياج وحالياً أنا في شيبويا ويبدو أني سأنتقل هذه السنة أيضاً».

«لابد أن هذا صعب عليك».

«آه، لا أستطيع أن أتذمر فهذه هي الحال في المؤسسات المالية، وأنا لا أكره القيام بالجولات، كما أنني أحب هذا النوع من الوظائف ولذلك لا مشكلة عندي في هذا».

القيام بالجولات... هذا يعني تأمين زبائن جدد. كان هونما يومئ برأسه وهو يتابع كلمات جان غير أنه لم يعد من اللائق بعد الآن أن يسأله في أي بنك يعمل.

«ولكن ألم تنتقل أنت أيضاً إلى منطقة أخرى أيها العم شانسوك؟».

ثم اكفهر وجهه فجأة وقال: «أنا آسف..»...

عندها قال هونما لنفسه: «ها قد وصلنا إلى الرسميات».

«أنا آسف فأنا لم أقدم التعازي بعد».

بعد! لقد مضت ثلاث سنوات، لكن بالنسبة لجان يبدو وكأن كل شيء حدث البارحة فقط.

أخفض الشاب رأسه وراح يحدق بربطة عنقه من ماركة ديور وقال:

«آسف لما حدث للعمة شيزوكو، وأعتذر لعدم حضوري إلى الجنازة، أنا آسف حقاً».

«لم يكن ذلك أمراً مسلياً صدقني، أتمنى لو أني دعوت الناس لحضور

شيء أكثر بهجة».

«دعني أشعل عوداً من البخور لأجلها على الأقل».

بدا جان مضطرباً وهو ينتقل من مقعده ليجلس أمام الصورة ولم يتكلما في هذا الموضوع ثانية، لكن هونما لم يستطع أن يحدد ما إذا كان جان متأثراً أم أنه مرتبك فقط، لكن في كلتا الحالين هو شاكر له.

قال هونما محاولاً أن يحثه على الكلام: «إذاً ما الشيء المهم الذي جعلك تخرج في هذا الطقس السيئ؟ أظن أنه من الأفضل أن تدخل في الموضوع مباشرة».

عاد جان وجلس أمام هونما محدقاً في الأرض وشفتاه ترتجفان، وأخيراً تمتم قائلاً: «لقد فكرت طويلاً قبل أن أحسم أمري».

حرك هونما قهوته من دون أن يتكلم، لم يكن هناك سوى صوت الموسيقى المنبعث من جهاز الراديو الخاص بماكوتو. متى أصبح هذا الفتى يستمع إلى الموسيقى وهو يستحم يا ترى؟

مازال جان صامتاً ولم يقل شيئاً، فقطع هونما الصمت قائلاً: «حسمت أمرك بشأن التحدث إليّ؟».

أومأ جان برأسه ثم رفع بصره للأعلى ببطء: «لقد كنت متردداً لأني شعرت بأنه لا يمكنني أن أقحمك في هذه المسألة فأنت شخص محترف ولابد أنك مشغول جداً، لكن عندما أخبرتني أمي أنك في إجازة..»...

رفع هونما حاجبيه، إن كان جان قد جاء يبحث عن شخص «محترف»، محقق في الشرطة ولديه متسع من الوقت فهذا يعني أمراً واحداً من ثلاثة.

«دعنا نرى، إما أن لديك مشاكل مع الياكوزا أو أنك تلقيت هدية من أحد الأصدقاء تبين بعد ذلك أنها مسروقة، أو أن أحداً أخذ سيارتك وبعد ذلك وجدتها في الساحة المخصصة للسيارات المستعملة وبأوراق رخصة جديدة. شيء من هذا القبيل؟»

«لا، لا ليس هذا على الإطلاق».

«ماذا إذا؟».

تنحنح جان: «لقد.....آ.... خطبت».

قال ذلك بكل جدية حتى إن هونما أراد أن يضحك «هذا رائع».

«لا إنه ليس كذلك، لقد ذهبت خطيبتي، اختفت وأريدك أن تجدها، إيجاد الناس هو عملك صحيح؟ أنا متأكد أن بمقدورك أن تفعل شيئاً أفضل من أن أقوم بالبحث وحدي، ما رأيك؟»».

لم يعرف هونما ماذا يقول، استدار ونظر إلى الخارج عبر النافذة، كان الثلج مازال يتساقط.

«أنا لا أعرف ما القصة وأخاف أن»...

لكن جان مال باتجاهه وقال: «سأشرح كل شيء».

رفع هونما يده: «انتظر، قبل كل شيء أريد أن أعرف أمراً واحداً».

«تفضل».

«خطيبتك اختفت ولا تعرف مكانها».

«نعم هذا صحيح».

«وتريدني أن أجدها لك».

«أجل».

«حسناً، عادة أنا لا أتولى قضية جديدة بهذا القدر الضئيل من المعلومات التي أعطيتني إياها، يمكنك أن تتفهم هذا، أليس كذلك؟».

بدا جان وكأنه يريد أن يقول شيئاً لكنه اكتفى بإيماءة من رأسه.

«جيد، لم لا تخبرني الآن بكل شيء؟ لا أقصد أني قبلت القضية لكن في الوقت نفسه لا يمكنني أن أرفضها من دون أن أسمع ما لديك».

كان واضحاً جداً أن جان يرغب في الحديث إلى شخص ما: «نعم سيدي».

«هذا جيد، والآن افتح ذلك الدرج هناك وأحضر لي ما أكتب به لو سمحت».

كان هناك أحد دفاتر ماكوتو وقلم حبر.

سأله جان: «من أين تريدني أن أبدأ؟»

«ما رأيك في أن أطرح عليك الأسئلة... ما هو اسمها؟».

لقد بدأ جان يحس ببعض الراحة: «شكوكو سيكين».

أعطاه هونما القلم وطلب إليه أن يكتب: «عمرها؟».

«ثمان وعشرون».

«هل كان لديها مشاكل في العمل؟».

«لا، إنها تعمل لدى أحد عملائي، أو بالأحرى كانت تعمل، فلقد اختفت الآن».

«ما اسم الشركة التي تعمل فيها؟».

«شركة إيماي، إنهم يبيعون مكنات تسجيل المدفوعات النقدية ومؤخراً بدأوا بتأجير الأجهزة الأوتوماتيكية أيضاً، إنها شركة صغيرة يعمل فيها موظفان فقط».

«متى تعرفت إليها؟».

فكر جان قليلاً: «منذ سنتين في تشرين الأول من عام 1990، لا بل في أيلول، على كل حال كان هذا موعدنا الأول».

تاريخ اليوم هو 20 كانون الثاني 1992 وهذا يعني أنه مضى على علاقتهما حوالي سنة وأربعة أشهر، أي أنهما لم يتسرعا بمسألة الخطوبة بل إنها فترة مثالية.

«وهل خطبتما؟».

«أجل، عشية عيد الميلاد الماضي».

لم يستطع هونما أن يمنع نفسه من الابتسام، فبعض الناس يجدون ذلك سخيفاً «وهل تبادلتما الهدايا؟».

بدا جان مرتبكاً قليلاً: «لا، لا شيء من هذا، لقد تم الاتفاق بيننا نحن فقط، ثم قدمت لها خاتما».

توقف هونما عن الكتابة ورفع بصره إلى جان: «كانت هناك معارضة من الأهل؟».

هز جان رأس بالإيجاب.

«أهلك؟ أم أهلها؟»

«إنهما والداي، فشوكو لم يكن لديها عائلة».

«آه». كان ذلك غريباً بالنسبة لشخص في الثامنة والعشرين من عمره فقط.

«لقد كانت طفلة وحيدة وقد توفي والدها وهي لاتزال في المدرسة الابتدائية بعد أن أصيب بمرض ما، لم تقل ما هو بالضبط، ثم فقدت والدتها منذ سنتين تقريباً».

«بسبب المرض أيضاً على ما أعتقد».

«لا لقد كان حادثاً».

تحت اسم شوكو سيكين كتب هونما (الوالدان متوفيان).

«إنها تعيش وحدها إذاً».

«صحيح، وهي تقيم ليس بعيداً من هنا، في حي سوجينا لقد استأجرت شقة في هونانتشو».

«من أين هي في الأصل، إن سمحت لي بالسؤال؟».

«أكيد، إنها من أوتسونوميا وهي تقع على بعد عدة ساعات شمال طوكيو، لكن كما قلت لك لقد توفي والدها عندما كانت طفلة ويبدو أنها لا تحتفظ بذكريات سعيدة عن ذلك المكان وقد عانت الكثير من المتاعب وتخلى عنها أقرباؤها، إنها لا تفكر بالرجوع إلى هناك أبداً، حتى إنها ترفض الحديث عن بلدتها».

«هذا يعني أنه ليس هناك أي اتصال بينها وبين عائلتها؟».

«شوكو وحيدة تماماً».

وحيدة – لكن ماذا عنه؟ فأنت تستطيع أن تدرك من طريقة لفظه لاسمها بأنه كان صديقها الحميم ورفيقها الوحيد.

«هل تعرف شيئاًعن تاريخها المهني؟».

بدا جان قلقاً مرة أخرى: «بعد أن تخرجت في المدرسة الثانوية في أوتسونوميا قدمت إلى طوكيو مباشرة هذا كل ما أعرفه»...

ثم أضاف بلهجة دفاعية: «ولكنك عندما تخرج مع فتاة فإنك لن تسألها عن دراستها وعن عملها السابق!».

أجابه هونما بجفاء: «آه، حقا؟ لكنك ستكون كاذباً إذا قلت إنك لم

تفكر في هذا الأمر بتاتاً».

ثم بدأ يتذكر شيئاً فشيئاً بعض الأمور التي كان قد سمعها من شيزوكو عن ابن عمها، أي والد جان، وعن عائلته. كانوا أشخاصاً متغطرسين ويحملون أفكاراً متحجرة حول التعليم والوظائف.

عندما تزوجت شيزوكو بهونما عانت الكثير من الحزن بسببهم. «شرطي؟ لن يكون هناك أي مستقبل معه». ومن جهة أخرى كان والد جان قد تخرج في أفضل الجامعات في البلاد وبدأ العمل فوراً في واحدة من أكبر الشركات، وقد أضاف رصيداً لنفسه بزواجه من ابنة الرئيس التنفيذي الذي كان مناسباً جداً، على الرغم من سوء سمعته.

ولا شك أن زوجته كان لها التفكير نفسه، وجان هو في النهاية ابنهما.

بينما كان هونما يحدق فيه، أشاح جان بنظره بعيداً. لقد برد فنجان القهوة الذي كان بين يديه وتشكلت طبقة من القشدة في الأعلى.

وضع فنجانه على الطاولة بعزم وقال: «اسمع، لا تقارني بعائلتي، كل ما أريده هو فتاة يمكن أن أقضي عمري معها بسعادة. التعليم وكل ذلك الهراء لا يعني لي شيئاً».

«إنه ليس هراء».

«بلى، إنه كذلك عندما تعطيه كل هذه الأهمية».

أطفأ ماكوتو مذياعه. لقد ارتفع صوت والده في غرفة الجلوس الهادئة على غير العادة.

«هل تقصد أن والديك كانا يعتقدان أنها لا تصلح لك؟».

«هذا صحيح».

«وهل قابلاها؟».

«مرة واحدة، كان ذلك في الخريف الماضي».

«وكيف كان اللقاء؟».

«إن مباحثات السلام في كمبوديا كانت أكثر ودية من ذلك اللقاء».

كان هونما على وشك أن يضحك.

تابع جان: «وهكذا اتخذت قراري وسألتها أن تتزوجني من دون الحاجة إلى إقامة مراسم، كثير من الشباب يفعلون هذا هذه الأيام».

«ألم تخش أن يجد مديرك ذلك التصرف غريباً بعض الشيء؟».

ابتسم جان للمرة الأولى وقال: «أنا لست بهذا السوء كي أفقد عملي بهذه البساطة».

ولقد كان على حق، فيمكنك وبمجرد النظر إليه أن تعرف أنه شخص حاذق، فبعد عشرين سنة من التعامل مع الناس تصبح خبيراً بهذه الأمور، تماماً مثلما يميز رئيس الطهاة السكين الثلمة من دون أن يجربها.

إن كان جان مفتوناً بشوكو سكين إلى هذه الدرجة فلابد أنها فتاة جميلة متعجرفة بالإضافة إلى كونها ذكية. إنها شابة تعيش وحدها، إلا أنها قررت أن تعيش باستقامة وشرف ولم تنجرف نحو النوادي الليلية كما تفعل الكثيرات من الفتيات هذه الأيام، على الرغم من أن العمل في هذه الأماكن أو «تجارة الماء» كما كانت تعرف تدر الكثير من المال، فلقد كانت فتاة ذات مبادئ.

«هل تظن أنها لم تستطع أن تتحمل فكرة أن والديك لم يقبلا

بها فانسحبت؟».

أظلمت الدنيا في عينّي جان، وبما أن العيون نوافذ الروح فقد بدا وكأنه مستودع مظلم ليس فيه أي بصيص من الضوء في تلك اللحظة.

«هل لديك فكرة عن سبب اختفائها إذاً؟».

بقي جان رافضاً أن يتكلم لبعض الوقت.

خرج ماكوتو من الحمام واضعاً المنشفة على كتفه فألقى نظرة داخل الغرفة، لكن والده رمقه بنظره مفادها «ابق في الخارج» فأومأ ماكوتو برأسه وانسحب مبتعداً.

أخيراً قال جان بلهجة عدائية: «اسمع... نحن لسنا جالسين هنا نتحدث عن رواية رخيصة».

«حسناً إذاً، هل لديك سبب وجيه لاختفائها؟ هل أرسلت إليك أية ملاحظة؟».

هز جان رأسه «لم تترك أي شيء وراءها، وأنا لا أعرف إلا ما جمعته من معلومات وهي ليست كافية على أية حال».

«وما الذي حصلت عليه؟».

كانت كلمات هونما هذه تشبه التنهدات أكثر من كونها سؤالاً.

بدأ جان بالشرح، وفي الحال أخذت قصته تتوضح شيئاً فشيئاً.

«قبيل رأس السنة ذهبنا نحن الاثنين للتسوق، فقد قدمت لنا الشركة مسكناً متواضعاً وكنا قد قررنا أن نأخذه، لذا خرجنا لشراء الأثاث والستائر وبعض الأغراض».

«هذا جيد».

«وبعد أن انتهينا من شراء كل ما احتجنا إليه اتجهنا إلى متجر للملابس فاشترت لنفسها سترة، ولما أرادت أن تدفع ثمنها اكتشفت بأن نقودها لا تكفي». توقف جان وحدق في سقف الغرفة، ثم تابع: «عندها قمت بدفع المبلغ، إذ كنت قد جهزت نفسي منذ البداية، ويومها علمت بأن شوكو لا تملك بطاقة ائتمان باسمها، وهذا الأمر كان مفاجأة بالنسبة لي. مع العلم بأن البنك الذي أعمل فيه قد بدأ يقدم خدمة الائتمان منذ فترة وجيزة وبالطبع يحصل الموظفون على عمولة الحسابات الجديدة، لكن بما أنني لا أحب أن أدخل أمور العمل بالمسائل الشخصية فلم آت على ذكر موضوع بطاقات الائتمان أمام شوكو ولا أمام أي واحد من أصدقائي».

لابد أن مديره وجده مناسباً جداً لقسم الحسابات الجديدة، من المؤكد أنه يملك مهارة حقيقية في كسب العملاء الجدد.

تابع جان يقول: «في ذلك اليوم بالذات جلسنا لنناقش بعض الأمور، فلايزال لدينا الكثير من الترتيبات ويجب علينا أن نقوم بشراء الكثير من الحاجات، غير أن المشكلة التي واجهتنا هي أننا لا نستطيع أن نكون معاً في كل مرة يجب أن نذهب فيها للتسوق، ولم يكن من الآمن أن تحمل شوكو معها مبلغاً كبيراً من المال وهي وحدها، فاقترحت عليها أن تحصل على بطاقة فنحن بكل الأحوال وبعد أن نتزوج سنحتفظ بالحساب الذي لديها الآن لنستخدمه من أجل المصاريف اليومية، فأنا بحاجة إلى حسابي الخاص وبطاقتي من أجل المصاريف طبعاً».

هل تسير الأمور بين الأزواج على هذا النحو في هذه الأيام؟

لقد جرت العادة أن تتولى الزوجة مسؤولية المال المشترك بينها وبين زوجها، لكن يبدو أن جان يرغب في أن يكون المعيل من دون أن يكون في نيته أن يتخلى عن راتبه.

«وافقت شوكو على ذلك فتقابلنا ثانية في اليوم التالي وكنت قد أحضرت لها الطلب لتملأه في الحال».

ثم قام بإرسال الطلب إلى الموظف المسؤول عن بطاقات الائتمان في البنك.

«عادة يستغرق الأمر شهراً، لكن كان لدي صديق يعمل هناك... أتعلم... إن شركات بطاقات الائتمان تضم الكثير من الموظفين القدامى الذين بلغوا سن التقاعد، والأشخاص غير الأكفاء الذين قضوا هناك فترة طويلة وليس من اللائق طردهم أو الذين أبعدوا من البنك لسبب أو لآخر. المهم، واحد من هؤلاء واسمه تاناكا كنا قد بدأنا العمل في البنك في الوقت نفسه».

قطب جان حاجبيه وتابع قائلاً:

«إنه بارع حقاً لكنه تعرض لإهانة شديدة ذات مرة، ويبدو أنه كان عنيفاً جداً وفقد أعصابه ليجد نفسه بعد ذلك وقد نقل بشكل مؤقت إلى قسم البطاقات الائتمانية».

«وهو الذي...؟».

«نعم هو الشخص الذي طلبت إليه أن يستصدر بطاقة لشوكو وقد أبدى استعداده. لكنني تلقيت اتصالاً هاتفياً يوم الاثنين الماضي».

نظر هونما إلى الروزنامة بطرف عينه، الاثنين الماضي هذا يعني في الثالث عشر من الشهر.

تابع جان: «كان هو المتصل، لقد قال: آسف، لا يمكننا إصدار بطاقة باسم شوكو وليس هذا فقط... لقد... اسمع كوريساكا ربما عليك أن تتحقق من أمر هذه الفتاة أكثر من ذلك».

«وهل ذكر السبب؟».

تنهد جان وهز نفسه للأمام والخلف لبضع ثوان قبل أن يجيب: «إن اسم شوكو سيكين كان ضمن اللائحة السوداء لدى جميع وكالات التصنيف الائتماني، التابعة للبنوك أو التي تعمل لصالح شركات بطاقات الائتمان».

عندما يحصل الشخص على بطاقة ائتمان، أو حين يقوم بعمليات شراء بالتقسيط، فإن وكالات التصنيف الائتماني تقوم أولاً بإجراء بحث شامل ليتم التحقق من أن هذا الشخص لم يتخلف في الدفع من قبل أو على الأقل ليس لديه قروض غير مدفوعة.

كان ذلك واضحاً بالنسبة لهونما بشكل جيد إنما أمر واحد كان جديداً عليه.

«لقد ذكرت شيئاً عن أشكال مختلفة لوكالات التصنيف الائتماني، هل تقصد أنها ليست كلها نفس الشيء؟».

«آه أجل هناك عدة أشكال، منها ما هو مرتبط بالبنوك أو بشركات البطاقات الائتمانية أو بشركات التمويل الاستهلاكي. حتى إن لكل من طوكيو وأوساكا وكالات مختلفة، وبالطبع يتم تناقل البيانات بينها فيصبح من السهل جداً معرفة إذا ما توقف أحد العملاء عن السداد، حتى ولو استخدم البطاقة أو اقترض المال لمرة واحدة فقط».

«ولهذا السبب تستخدم هذه البيانات نفسها لتحديد

الهوية الشخصية؟»

«صحيح، المهم أني صعقت فقد كانت شوكو قد أخبرتني بأنها لم تحصل يوماً على بطاقة ائتمان، فكيف أصبح اسمها ضمن القائمة السوداء؟».

«ربما كان هناك خطأ ما».

«هذا ما خطر لي أول الأمر وأخشى أني فقدت أعصابي لدرجة أني كنت بغيضاً بعض الشيء حين ناقشت تاناكا بالأمر فقد راح يصرخ قائلاً: «نحن لا نرتكب مثل هذه الأخطاء».

كان جان يتنفس بصعوبة، فإعادة سرده للقصة أثارت مشاعره من جديد.

«لقد قال لي: لا، لا، ليس هناك أي خطأ، ألا تظن أني تحققت من الأمر أكثر من مرة».

ثم اقترح عليه تاناكا بغضب أن يسأل شوكو عن الأمر بنفسه.

«كنت على يقين أن هناك خطأ في تحديد الهوية، أعني أن كل المعلومات الموجودة في سجل الاتحاد الائتماني هي عبارة عن الاسم وتاريخ الميلاد والمهنة، وربما العنوان أيضاً، صحيح؟ إنهم لا يدخلون سجل العائلة بكامله، فماذا لو انتقلت أو تغير مكان عملك وليس لديهم سوى الاسم وتاريخ الميلاد؟».

لقد كان جان على حق، إذ تذكر هونما عندما تلقى أحد زملائه في أحد الأيام اتصالاً من إحدى شركات الائتمان التي لم يكن قد سمع بها من قبل، وبعد عمليات البحث والتقصي تبين أن هناك شخصاً آخر يحمل الاسم نفسه ورقم الهاتف نفسه تقريباً، في الحقيقة كان

الاختلاف في رمز المنطقة فقط.

«أوافقك في هذا... ما الذي حدث بعد ذلك؟».

«لم أكن أريد لشوكو أن تعاني من جديد بسبب هذه الأشياء السخيفة، خاصة وأن الأمر كله كان باعتقادي عبارة عن خطأ، ولذلك اتصلت بتاناكا ثانية واعتذرت منه وسألته أن يتحقق من الأمر أكثر، من أين حصل على هذه المعلومات؟ وما الدليل على صحتها؟ كنت متأكداً بأني إن استطعت إقناعه بالتأكد من الأمر ثانية فإنه سيكتشف الخطأ».

عبس هونما وقال: «هل الأمر حقاً بهذه البساطة؟».

«بالتأكيد إنه.»..، ثم توقف للحظة: «حسناً، في الحقيقة لا، فالشخص الوحيد الذي يحق له أن يقدم اعتراضاً على هذا النوع من الأخطاء هو صاحب العلاقة نفسه، وهذا يعني أن تقوم شوكو وبشكل طبيعي بتقديم اعتراض، لأن وكالة التصنيف سألتها عن بياناتها، ومن ثم عليهم أن يقوموا بإجراءاتهم المعقدة ليتأكدوا من أنها هي صاحبة طلب الاعتراض».

«لكنك كنت على عجلة من أمرك فأغفلت الموضوع».

هز جان كتفيه وقال: «اعتقدت بأن لديَّ الحق أن أملأ طلب الاعتراض بالنيابة عنها، وبحكم موقعه كان تاناكا يستطيع الوصول إلى هذه المعلومات».

لكن النتائج التي توصل إليها لم تكن كما كان يتوقع.

«لم يتطلب الموضوع جهداً كبيراً، فقد قال تاناكا إنه لم يكن هناك مجال للشك، فالمسألة ليست مسألة تشابه أسماء والدليل موجود».

«وما هو الدليل؟».

مد جان يده إلى جيبه الداخلي وأخرج ورقة مطوية:

«هذه الرسالة، فكما قيل لي، لقد أرسلت إلى مسؤول شؤون العملاء في الاتحاد الائتماني وقد وصلت إلى تاناكا عن طريق مركز إحالة الائتمان وهو بدوره أرسلها إليَّ بالفاكس».

فتح هونما الرسالة التي كانت مكتوبة باستخدام معالج النصوص على ورقة بحجم الأوراق الرسمية وقد جاء فيها:

إلى من يهمه الأمر:

هذا التقرير مقدم بتفويض من الآنسة شوكو سيكين، وعنوانها: طوكيو-- حي سوميدا- كوتوباشي 2-2-4 كاسل مانشن كينشيشو- شقة رقم 405.

إن الآنسة شوكو حصلت على بطاقة ائتمان لأول مرة في أيلول 1983، وراحت تستخدمها في تسوق حاجاتها اليومية ومن أجل السحب النقدي. في صيف عام 1984 وبسبب استخدامها الطائش للبطاقة وقيامها بسحب المال من دون وعي، ولعدم قدرتها على التعامل مع النقود بشكل صحيح، تراكمت الدفعات الشهرية الكبيرة ولم تعد قادرة على تسديدها.

ولكي تجد حلاً لهذا الوضع بدأت تعمل بدوام جزئي في عدة أماكن، إضافة إلى عملها الذي تقوم به بدوام كامل، لكن هذا العمل الإضافي أضر بصحتها وبالتالي ازداد الضغط المادي عليها واضطرت إلى تحميل نفسها المزيد من الديون، فراحت تقترض المال وترهن رواتبها لكي تتمكن من تسديد الدفعات الشهرية ثم تعود وتستدين كي تغطي ديوناً أخرى، وهكذا تضخمت ديونها حتى أصبحت تدين

لحوالي ثلاثين شخصاً بأكثر من عشرة ملايين ين.

علماً بأن الآنسة سيكين ليس لديها أية ممتلكات تستحق الذكر، لهذا لم يكن أمامها خيار إلا أن تقر بإفلاسها في هذا اليوم وفي محكمة طوكيو المحلية.

بناء على ما ذكر أعلاه، أطلب وبكل أسف من الأشخاص الذين تدين لهم الآنسة سيكين بأن يكونوا متعاونين ويتجاوبوا بشكل كامل مع دعوى الإفلاس هذه، فمن المعروف أن بعض الجهات التي تقرض المال تلجأ في بعض الأحيان إلى طرق غير قانونية لتحصيل ديونها، لذلك كونوا على ثقة بأنكم ستلاحقون من أجل أية مضايقة من هذا القبيل، والآنسة سيكين لن تتردد في القيام بكل الإجراءات القانونية الممكنة، الجنائية أو المدنية ضد الأطراف المتورطة.

وتفضلوا بقبول الاحترام،

المحامي غورو ميزوغوتشي.

نظر هونما إلى جان.

«إفلاس شخصي واضح».

«ماذا فعلت حين رأيت هذا؟»

«سألت شوكو عن الأمر».

«متى؟»

«كان ذلك في الخامس عشر من الشهر».

«في هذه الحال، هل مازال هناك احتمال بوجود خطأ ما؟».

«هذا ما اعتقدته، لقد تمنيت هذا». هز جان رأسه «ولذلك سألتها وبشكل مباشر».

نظر هونما إلى الورقة مرة أخرى. «واختفت بعد ذلك، صحيح؟».

أومأ جان مؤكداً.

«عندما أريتها هذه الورقة، ألم تنكر الموضوع؟».

«لم تقل شيئاً في البداية، إنما شحب لونها وباتت كالشبح».

بدأ صوت جان يرتجف وراح يتحدث بهدوء: «يجب أن تجدها لي، ما من شخص آخر أذهب إليه. إذا ذهبت إلى وكالة التحقيق سيعلم والداي بالأمر فأنا مازلت أعيش معهما، كما إنني لا أستطيع التحدث بحرية في العمل».

لكن يبدو أن للقريب وضعاً مختلفاً، وإذا كان هذا القريب يعمل محققاً وهو الآن في إجازة من العمل فهذا أفضل بكثير.

«أريد أن أناقش الأمر معها، لقد قالت إن هناك الكثير من الأمور المعقدة تكمن وراء هذه الرسالة، لم تستطع أن تشرح شيئاً حينها، كانت تحتاج إلى بعض الوقت وبما أنني كنت أثق بها فقد وافقتها، غير أنها اختفت في اليوم التالي. لم تكن في البيت ولم تذهب إلى العمل».

كان جان يهز رأسه وهو يتكلم وكأنه يوجه الاتهامات إلى الفتاة مباشرة.

«لم تقل أي كلمة لتدافع عن نفسها، ولو أنها قدمت لي بعض الشرح لكنا استطعنا أن نفعل شيئاً. أنا لا أحاول إلقاء اللوم عليها، كل ما أريده حقاً هو مساعدتها ولكن لا يمكنني القيام بذلك وحدي، فهي لم تترك وراءها دفتر عناوين وأنا لا أعرف شيئاً عن أصدقائها، ليس هناك طريقة لأعثر عليها بنفسي.

ما قولك؟... أنا أتوسل إليك».

حتى بعد انتهاء موجة المشاعر تلك بقي فك جان يرتجف مثل اللعبة التي تستمر عجلاتها بالدوران بعد أن تنقلب.

حدق هونما فيه من دون أن يقول شيئاً. فقد كان مشغولاً بأمرين مختلفين تماماً يدوران في ذهنه، أحدهما كان مجرد فضول وحب استطلاع ناجم من طبيعة مهنته. إن اختفاء شوكو سيكين بحد ذاته لم يكن حدثا استثنائياً، ومع هذا فأنت لا تسمع دائماً بأن سيدة شابة اختفت بسبب إفلاسها، يمكن لعائلة بأكملها أن تترك البلدة في منتصف الليل، أما أن تهرب سيدة وحيدة وليس من رجل بل من الدائنين فهذا مستبعد.

لقد أعلنت شوكو سيكين إفلاسها، وهذا يعني أنها تخلصت من ديونها، أم تبقى الديون على حالها حتى ينتهي الإفلاس؟

من الواضح أن توسل جان لم يؤثر في هونما، فها هو يتساءل عن سبب عدم مجيئه لحضور جنازة شوكو، حتى إنه لم يرسل تعازيه ولم يفكر بأن يتصل ولو لمرة واحدة خلال السنوات الثلاث الماضية، هل كان مشغولاً إلى هذا الحد؟ إلا أنه الآن تحدى العاصفة الثلجية وجاء يطلب مساعدة هونما، من يظن نفسه هذا الفتى؟

يبدو أن جان فهم سبب سكوت هونما، لأنه عندما خاطبه هذه المرة كانت لهجته أكثر احتراماً: «كيف حال ساقك الآن أيها العم شانسوك؟ لا ينبغي لك أن تجهد نفسك كثيراً، أليس كذلك؟».

قال هونما بجفاء: «لا».

أخفض جان رأسه خجلا وقال: «أخبرتني أمي بأنك

أصبت بطلق ناري»...

«أجل هذا صحيح».

إن تلك الحادثة لم تثر ضجة كبيرة يومها، فالشخص الذي أصابه كان أحد اللصوص التافهين الذين يهاجمون المقاهي والنوادي الليلية، ويحملون سكيناً يشوحون بها ولكنهم في الحقيقة لا يؤذون أحداً. لكن صدف أن ذلك اللص بالذات كان يضع يومها مسدساً تحت قميصه، ولحسن الحظ أنه لم يشهره إلا بعد أن وصل شرطيان إلى المكان ليعتقلاه، فصوبه نحو أحدهما، وحسب قوله فيما بعد، إنه لم يكن يقصد أن يطلق النار، فقد ضغط الزناد عن طريق الخطأ. في الحقيقة لقد ارتعب حين خرجت الرصاصة ومن دون أن يقصد أطلق طلقة ثانية، هكذا وبكل بساطة. حتى هونما الذي تلقى الرصاصة الأولى في ركبته، لم يعط الأمر أهمية كبيرة وقتها (لقد وجدوا الأمر مضحكاً، فالرجل المسلح ومن شدة ارتباكه أصاب أحد أصابع يده في الطلقة الثانية). لكن فيما بعد، وبينما كانوا يضعون ساقه في الجبس بدأ يتساءل إذا كانت الإصابة دائمة، الآن بدأ يأسف لما حدث وخاصة بعد أن اكتشف كم هي مرهقة جلسات العلاج الفيزيائي.

عض جان على شفته: «أنا آسف لقد انشغلت بأموري الخاصة ولم»...

نظر هونما إليه ولم يقل شيئاً، فقد بدأ يشعر بالانزعاج. كان قد أخذ إجازة من العمل، لأنه لن يكون قادراً إلا على إعاقة عمل رفاقه، أليس هذا ما أشار إليه جان؟ فإذا كان المرء غير قادر على جر نفسه، فلا يجب عليه أن يعمل ضمن فريق، إن هذا ما جعله متوتراً ومحبطاً عندما

ركب القطار هذا اليوم، كان يشعر بأنه شخص عديم الفائدة ومتطفل أيضاً.

«لا أعلم إن كنت سأتمكن من مساعدتك، فلا تتوقع الكثير في الوقت الحاضر. لم أقصد أنني سأتولى القضية، إذ لايزال هناك الكثير من الأمور الغامضة. دعنا فقط نرى من أين سنبدأ».

وأخيراً أحس جان ببعض الارتياح: «أشكرك، لست طامعاً بأكثر من هذا».

# ✧ 3 ✧

كان هونما قد أخبر جان بأنه لن يفعل شيئاً قبل أن يتحسن الطقس ويذوب الثلج فيصبح بإمكانه المشي في الخارج، فقد كان يأمل أن تتأجل عملية البحث عن شوكو يوماً آخر على الأقل، لكنه استيقظ ليجد أن الثلج كان قد توقف خلال الليل والسماء صافية. والشوارع التي جرف منها الثلج بدت بارزة جداً وسط هذا العالم الأبيض، والإسمنت الرطب كان يتلألأ تحت أشعة الشمس. ألواح من الثلج المتجمد كانت تنزلق من الأسطح المجاورة والجليد يرشح عند الحواف.

أنهى ماكوتو طعام الفطور، وأمسك بحقيبته المدرسية متجهاً نحو الباب الأمامي، في منتصف الطريق التفت خلفه وقال:

«أبي، هل ستخرج من البيت اليوم؟».

نظر هونما إليه من فوق الجريدة التي كانت يقرأها.

«هل طلب منك العم جان أن تقوم بشيء ما من أجله؟».

«نعم هذا صحيح».

«ومتى سترجع؟».

«ليس لديَّ فكرة، هذا يعتمد على كيفية سير الأمور».

وقف الصبي أمام النافذة الشرقية التي تدخل منها الشمس، لكن النظرة العابسة التي كانت تعلو وجهه لم تكن بسبب أشعة الشمس

«هل سيكون كل شيء على ما يرام؟».

«سأحرص على هذا، لا تقلق».

«وما الذي يريده العم جان؟».

التفت هونما إلى الساعة الرقمية في زاوية شاشة التلفاز: «هيه، أنت على وشك أن تتأخر».

قال ماكوتو وهو يرفع الحقيبة ليضعها على ظهره: «أليس من الأفضل لك أن تبقى هنا وتستريح؟».

«حسناً، وهل تظن أنني ذاهب لأقاتل الياكوزا وحدي».

«إيه، إذا تزحلقت وكسرت ساقك الأخرى فلا تأت إليّ».

«انتبه أنت لنفسك أيها الفتى ولا عليك مني».

«شكراً جزيلاً لاهتمامك، إلى اللقاء الآن». ثم أضاف: «إلى اللقاء، هذه الثانية لأنك ستخرج بعد قليل».

ضحك هونما: «ولد شقي».

بعد أن خرج ماكوتو وصفق الباب خلفه، نهض هونما من كرسيه واتجه إلى النافذة. كان هناك حشد من الأطفال أمام كل بناية، إلا أن مجموعة مؤلفة من سبعة أولاد ومن بينهم ولده، كانوا قد تجاوزوا أحواض الزهور ومشوا جوقة واحدة باتجاه المدرسة التي تقع في الجهة الشمالية من الساحة.

بقي هونما في البيت حتى العاشرة كي يتجنب النزول ساعة الازدحام، فأمضى بعض الوقت وهو يتأمل خريطة الشوارع بحثاً عن طرق تمكنه من اختصار المسافات قدر الإمكان، وبما إنه لم يكن متأكداً من أنه يعرف تماماً ما تعنيه عبارة «الإفلاس الشخصي»، فقد راح

يبحث عنها. غير أنه لم يجدها في قاموس اليابان النموذجي، والمرجع الآخر الوحيد الذي لديه كان نشرة السنة الماضية التي كانت بعنوان «المصطلحات الحديثة»، لكن عجباً لقد وجدها فيه:

الإفلاس الشخصي: عبارة عن إجراء قانوني يقضي بأن تقوم المحكمة بتقسيم جميع أملاك الشخص المدين وتوزيعها على الدائنين بالتساوي، ويمنح المدين بعد ذلك وثيقة تعفيه من الالتزام بدفع الديون. والإفلاس الشخصي يعني أن يقوم المدين بتقديم طلب استرحام إلى المحكمة، وقد ازداد عدد مثل هذه القضايا في السنوات الأخيرة، وذلك بسبب تراكم الديون الناتجة عن سوء استعمال بطاقات الائتمان والقروض. مثل هذه الحالأت الفردية تعرف أيضاً بإفلاس المستهلك لتمييزها عن إفلاس المؤسسات المعروف. في حال الإفلاس يتم الحجز على جميع ممتلكات الفرد وموارده المالية، لكن مع ذلك، من الممكن أن يتم استرجاعها بالكامل بوساطة وثيقة الإعفاء أيضاً. من جهة أخرى، فإن الإفلاس لا يدوَّن في سجل عائلة المدين أو أوراقه الثبوتية ولا يحرمه أيضاً من حق الاقتراع أو أي من حقوقه المدنية الأخرى.

ما ورد في الأسطر الأخيرة كان مفاجئاً بالنسبة لهونما، فقد كان يعتقد بأنه عندما يتم الإعلان عن الإفلاس فإنه يدوم للأبد. فإذا كان شخص مثل هونما «المحترف باكتشاف الأسرار» لديه هذا الانطباع، فلابد أن الكثير من الناس يعتقدون ذلك أيضاً. ومن جهة أخرى لن تكون هناك حاجة لإدراج مثل هذه التفاصيل في نشرة المصطلحات الحديثة أليس كذلك؟

وبناءً على ما ورد في النشرة، فإن إخفاء الإفلاس أمر في غاية

البساطة، تكتم على الأمر فقط ولن يكتشفه أحد. لو أن جان لم يضغط على شوكو كي تحصل على بطاقة ائتمان لما اكتشف أحد أمرها، والاحتمال الثاني هو أن تكون فكرت أنه لا مشكلة في أن تحاول ثانية بعد مضي خمس سنوات. فهل كانت المسألة مجرد سوء تقدير بسيط؟

أعاد المجلد إلى رف الكتب وراح يتهيأ للخروج، ثم اتصل ليطلب سيارة أجرة توصله إلى المحطة، إلا أنه شعر بقليل من الذنب لأن هذا كان أول عمل يقوم به هذا الصباح، لكن على الرغم من هذا كان يصر على أن جميع هذه المصاريف ستدفع، ثم إن جان قبل بكلامه من دون قيد أو شرط. ربما عليه أن يبذل جهداً كبيراً في قضية كهذه، لكنه، على الأقل، يقوم بهذا ليحافظ على علاقة طيبة بين الأقارب ولهذا، مادام سيحصل على النقود فإنه سيستقل سيارة أجرة كلما أراد ذلك.

وضع سماعة الهاتف ودخن سيجارة ثم غسل صحن السجائر قبل أن يغادر المنزل. توقف في الطابق الأول ليترك المفتاح عند إيساكا، ثم أكمل طريقه وهو يعرج ببطء وينقر بمظلته الثلج المتجمع على الرصيف.

بالنسبة لشخص يمشي على قدمين سليمتين فإن المكتب الذي تعمل فيه شوكو سيكين يبعد عن المخرج الغربي لمحطة شينجوكو الغربية حوالي خمس دقائق سيراً على الأقدام، وحسب العنوان الذي لديه فإنه يقع في بناية قديمة من خمسة طوابق بجانب أتوستراد كوشو.

في البهو شاهد خمس لوحات إعلانية خططت عليها أسماء الشركات، أما اللوحة السادسة فقد وضعت عليها ستارة فقط ولم يكن هناك أي اسم. ربما كان هذا الإهمال شكلاً من أشكال الديكور.

شركة إيماي للآلات كانت في الطابق الثاني، وهي عبارة عن شركة صغيرة صممت على شكل طابق مفتوح حيث يمكنك أن تكشف المكان كله بنظرة واحدة. وفي الداخل نهضت سيدة ترتدي بزة بلون أزرق غامق واتجهت نحوه. إنها في الرابعة والعشرين على الأغلب، قصيرة بعض الشيء، لها وجه دائري وعينان واسعتان ولديها نمش حول أنفها.

قدم هونما نفسه: «أنا قريب جان كوريساكا، خطيب شوكو سيكين التي تعمل هنا وأريد أن أسأل بعض الأسئلة عن الآنسة سيكين».

«آه، أجل،...فهمت».

«أود أن أتحدث إلى المدير لو سمحت، فهل هذا ممكن؟».

«سيكين؟ أجل، أنا أعرف الآنسة سيكين».

لقد كانت تبدو مرتبكة.

«السيد إيماي، المدير، إنه في المقهى على الجانب الآخر من الشارع».

«لديه اجتماع؟».

«اجتماع؟ لا..لا إنه يشرب القهوة فقط، فهو يذهب إلى هناك دائماً وأهتم أنا بالمكتب، سأذهب لأستدعيه».

بينما كانت تسير متجهة إلى الباب، نظرت إلى الخلف وقالت:

«إم، ماذا لو اتصل أحد ما وأنا في الخارج؟».

«أخبريني فقط ما الذي عليَّ فعله».

فكرت قليلاً ثم قررت بسرعة: «لن يتصل أحد، اجلس فقط وانزع عنك معطفك، ضعه في أي مكان».

ثم انطلقت خارجة مثل عصفور دوري.

كان مكتباً صغيراً في غاية الترتيب، ثلاث مكتبات متماثلة وضعت بجانب بعضها ضمت عدداً كبيراً من السجلات والملفات المصفوفة بعناية وإتقان، كل شيء كان مرتباً ومنظماً، الأمر الذي ذكر هوئما بالأكشاك التي تبيع المجلات والحلوى في محطة القطارات. لكن حتى إن افترضنا أن هناك مستودعاً في مكان آخر، فهل حقاً يمكن لهذه الشركة أن تقوم بكثير من الأعمال؟ إنه يستطيع أن يخمن كم الراتب الذي تحصل عليه كل من شوكو سيكين وهذه السيدة.

اقترب هوئما من مكتب بجانب مكتب السيدة التي أسماها بالعصفور الدوري وفتح الدرج العلوي، فوجد مفكرة عادية ومسطرة وعدداً من أقلام الحبر بالإضافة إلى ختم جاهز باسم سيكين. في الجهة المقابلة للنافذة كان هناك مكتب كبير يطل على بقية المكاتب وقد زود الكرسي بوسادة مطرزة، من الواضح أنه مكتب المدير، لم يكن على المكتب سوى ورقة فارغة ومجلة ثني غلافها نحو الأسفل، وبنظرة أكثر إمعاناً استطاع هوئما أن يتبين أن عنوانها «شبكة التمويل».

فجأة دوى صوت عميق: «أعتذر لأني جعلتك تنتظر». لقد عادت السيدة برفقة مديرها، إنه رجل عجوز يضع نظارات ويرتدي سترة محبوكة فوق قميص أبيض وربطة عنق رفيعة، وقد برزت جواربه الصوفية السميكة من مقدمة حذاء المساج الجديد الذي يلبسه.

«قريب الآنسة سيكين أليس كذلك؟».

«لا، قريب خطيبها».

«هكذا إذاً، قريب السيد كوريساكا؟» ثم أشار إلى كرسي وطاولة

بجانب النافذة وقال له:

«تفضل بالجلوس».

مشى هونما نحو الكرسي وهو يجر رجله المصابة، فسأله العجوز بخشونة: «التهاب مفاصل؟».

أجابه هونما مستغرباً: «لا، لا لقد تعرضت لحادث».

«ها؟ ولم هذه المظلة؟».

«لأني لم أقبل أن أشتري عكازاً».

«ألم يعرك الطبيب واحدة؟».

«لقد حاول أن يقنعني باستخدامها، لكني إذا قبلت سأشعر بأنني رجل عاجز».

حك الرجل العجوز رأسه الأصلع: «أنت على حق».

قدم هونما للمدير بطاقة جان الإسمية والتي كتب على ظهرها الملاحظة التالية: «إن حامل هذه البطاقة، السيد هونما شانسوك، هو أحد أقربائي وهو يقوم بالتحقيق في مسألة تخصني، لهذا فإن أي مساعدة يمكن أن تقدموها له ستكون موضع تقديرنا».

إن هذه العبارة ستعطيه دعماً على الأقل مع الأشخاص الذين يعرفون أنه خطيب شوكو. كان جان قد وجه إليه نظرة تقول: «لن تكون بحاجة إلى هذه».، فهو يعرف بأنه ليس على المحقق إلا أن يظهر شارته للناس فيبدؤون بالكلام، ولهذا السبب جاء إلى هونما، صحيح؟ غير أنَّ هونما كان قد سلم بطاقة الشرطة الخاصة به عندما قدم طلب الإجازة بشكل رسمي وهو الآن لا يملك ما يعرف به عن نفسه، ولهذا فإنه لا يستطيع الدخول إلى مكان ما مدعياً أنه من الشرطة وهو

لا يملك ما يثبت ذلك فهذا سيعرضه للمتاعب، لا بل إن إبراز بطاقة مزورة سيكون أرحم.

بدا جان متردداً بعض الشيء بعد أن شرح له هونما الأمر، لكنه وبكل الأحوال لم يكن ينوي الذهاب إلى محقق خاص غيره. من الواضح أنه كان حريصاً على إخفاء الموضوع عن والديه وزملائه في العمل.

أخرج هونما أيضاً بطاقته الشخصية التي تحمل اسمه وعنوانه ورقم هاتفه فقط، فأخذ العجوز إيماي يتفحص كلتا البطاقتين، في هذه الأثناء كانت السيدة العصفورة قد أحضرت لهما فنجانين من الشاي.

«قلت بأنك قريب السيد كوريساكا، فما هي بالضبط صلة القرابة بينكما؟».

يبدو أن إيماي يريد جواباً قاطعاً لهذا السؤال قبل كل شيء.

«إنه ولد ابن عم زوجتي».

«ها!».

«أعاني دائماً من هذه المشكلة، لم أعرف يوماً بماذا أدعوه».

صاح العجوز ملتفتاً إلى الخلف: «إنه ابن العم الأول، أليس كذلك يا ميتشي؟».

إذاً السيدة العصفورة اسمها ميتشي.

زقزقت ميتشي: «سأبحث عنه في القاموس يا سيدي».

تابع إيماي العجوز: «هناك أمر آخر، لم يذكر ما هي مهنتك على البطاقة».

طبعاً كان هونما مستعداً لهذا السؤال: «أنا أكتب في مجلة، ولأنَّ السعي وراء المعلومات يعد جزءاً من عملي، فقد طلب

جان مساعدتي».

«جيد، أتعلم؟ أنا أيضاً أقوم بالكتابة للمجلات».

هز هونما رأسه: «شبكة التمويل أليس كذلك؟».

«إذاً لقد سمعت بها؟».

كان هونما قد قال له ذلك من باب الدعابة ولم تكن كذبة بكل معنى الكلمة. فـ «شبكة التمويل» هذه كانت مجرد نشرة دورية صغيرة لا يقرؤها إلا المساهمون فيها.

أخذ إيماي رشفة من فنجان الشاي الأخضر وعاد إلى الموضوع الأساسي: «بالنسبة للآنسة سيكين...ألم تظهر حتى الآن؟».

كان جان قد اتصل بإيماي منذ أربعة أيام ليخبره بأن شوكو اختفت، أي في التاسع عشر من كانون الثاني حوالي التاسعة صباحاً، ثم عرج عليه في وقت لاحق ساعة الغداء ليسأله إن كانت لديه فكرة عن المكان الذي ذهبت إليه.

«عندما لم تأت شوكو إلى المكتب في السادس عشر من الشهر، اعتقدنا بأنها قررت أن تتغيب وقتاً إضافياً، فقد كان ذلك بعد عطلة نهاية الأسبوع، لهذا أصابتنا الدهشة حين اتصل السيد كوريساكا».

«هل سبق أن تغيبت الآنسة شوكو عن العمل من دون أن تخبر أحداً؟»

«مرة واحدة، كانت ترقد في السرير بسبب الحمى ولم تتصل حينها، صحيح ميتشي؟».

هزت ميتشي رأسها بطريقة تدل على أنه لا علم لها بالموضوع فضحك مديرها قائلاً:

«آه صحيح، لقد حدث هذا قبل أن تبدأي العمل هنا».

«سيد إيماي، هل تربطك بجان علاقة جيدة نوعاً ما؟».

«أكيد فهو يعمل مندوباً في بنكنا المحلي ولهذا السبب فاجأني خبر خطوبتهما».

«هل أعلنا الخطوبة هنا، أقصد في المكتب؟».

«لا، لا كنا قد خرجنا جميعنا لتناول الشراب، فكما ترى إن شركتنا صغيرة وحفلاتنا ستكون كئيبة نوعاً ما، لذا فقد طلبت من الفتيات أن يحضرن أصدقائهن، وقد كان ذلك في حفلة رأس السنة الماضية عندما أعلن كل من جان وشوكو الخبر السعيد، أليس كذلك يا ميتشي؟».

أجابته وهي جالسة إلى مكتبها تبحث في أحد القواميس «أجل يا سيد إيماي».

«يومها أرتنا الخاتم، لقد كان من الياقوت على ما أعتقد، فالياقوت هو حجر مولدها».

صححت ميتشي: «بل إنه حجر الصفير يا سيدي، لقد اختلطت عليك الأمور كالعادة، لقد كان حجراً أزرق اللون».

كانت هذه المرة الأولى التي تؤكد فيها ميتشي شيئاً ما.

قال إيماي وهو يحك رأسه: «حقاً؟ لكن على أية حال، أظن أنه قد اختفى معها».

كان هونما قد اتفق مع جان أن يذهبا مساء لإلقاء نظرة على شقة شوكو فهو يعرف ممتلكاتها جيداً.

«حسب قول السيد كوريساكا، لقد تشاجرا ليلة الخامس عشر من الشهر، ولما جاء إليها في صباح اليوم التالي وقرع الباب لم تجبه،

فرجع مساء كي يراها، لكن يبدو أن الآنسة سيكين كانت قد حزمت أغراضها ورحلت».

«هذا صحيح، لابد وأنها سببت له أذى كبيراً».

«إذاً كانت قد احتفظت بالخاتم فلابد أنها تفكر بالعودة إليه، أو ربما أخذته كي تبيعه، أحد الأمرين. أما إذا كان ما جرى بينهما مجرد شجار بسيط، فهل تظن بأنها لابد أن تعود إلى البيت قريباً؟ إذا حمل كوريساكا الموضوع أكثر من اللازم فسيجبرها على القيام بأمور تندم عليها لاحقاً».

بعض الرجال ينحازون إلى صف المرأة تلقائياً، لكن ليس لأنهم أشخاص مرهفو الحس. كل ما في الأمر أنهم لم يتشاجروا يوماً شجاراً عنيفاً حقيقياً مع النساء.

«لم يكن خلافاً عادياً، إن الأمر أسوأ من ذلك، وفي الحقيقة لا يمكنني الخوض في التفاصيل».

انحنى إيماي نحوه: «الأمر خطير، ها؟»

«أجل، أمر خاص بهما».

يبدو أن الرجل العجوز فهم أن عليه أن لا يتطفل أكثر من ذلك: «آسف لسماع هذا لكن على كل حال لا أظن أن هناك ما نستطيع فعله لمساعدتك، فنحن لا نعرف أكثر مما أخبرك به السيد كوريساكا، صحيح ميتشي؟».

هزت ميتشي رأسها من دون أن ترفع بصرها عن القاموس: «لا أعتقد أن الكلمة هي (ولد ابن العم الأول) يا سيد إيماي».

لم يجبها مديرها كما أن هونما تجاهلها هو أيضاً. ميتشي المسكينة.

سألها إيماي بعصبية: «متى بدأت الآنسة سيكين العمل هنا؟».
وقبل أن يتمكن من سؤالها مرة أخرى قاطعه هونما:
«هل أستطيع أن أرى سيرتها الذاتية، ففي ظل هذه الظروف أرى أن عليَّ التحدث مع رؤسائها السابقين أيضاً».
أجابه إيماي من دون تردد: «نعم بالطبع».
ولم يتطلب الأمر جهداً فقد نهض من مقعده وأحضر ورقة من ملف كان يحفظه في درج مكتبه السفلي. كانت سيرة ذاتية من النموذج المعروف وقد أرفقت بصورة شخصية كما جرت العادة.
لماذا يا ترى لم يحضر جان معه صورة لشوكو الليلة الماضية، كانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها هونما وجهها. إنها جميلة جداً.
عادة تظهر الصورة الشخصية لأي كان صاحبها مثل مجرم حقير، فإذا كانت شوكو بهذا الجمال في هذه الصورة الصغيرة بالأبيض والأسود فلا شك أنها تتمتع بجمال غير عادي. كانت قد قصت شعرها قصة متوسطة الطول يسمونها «البوب» على الأغلب، وأنفها ناعم ودقيق، أما حاجباها فكانا على شكل قوسين رفيعين يفصلان جبهتها العالية عن عينيها الهادئتين، لكنه لم يستطع أن يحدد إن كانت قد رسمتهما أم لا، وقد ضمت شفتيها في ابتسامة خفيفة.
«إنها فتاة جذابة، لكنها تبدو أجمل في الحقيقة وخصوصاً بعد أن بدأت تخرج مع السيد كوريساكا، فقد صارت تزداد جمالا كل يوم، ما رأيك ميتشي؟».
دارت ميتشي في كرسيها: «عندما كنا نخرج معاً للتسوق كان جميع الرجال يلاحقونها بنظراتهم».

«هل هي طويلة؟».

«آه، إذاً أنت لم تلتقها من قبل؟»

«لا، فقد أبقى جان الأمر سراً ولم يخبر العائلة».

«أجل لقد قالت شوكو إن والديه لم يقبلا بهذه الخطوبة فهما ظنّا أنها لا تناسبه».

نظر هونما إلى ميتشي وقال: «هذا صحيح، لكن ألم يكن هذا الأمر يزعجها؟».

«بلى، أنت على حق. لقد كانت قلقة دائماً، لدرجة أنها بدأت تفقد وزنها، إلى أن قرر السيد كوريساكا أنهما سيتزوجان بصرف النظر عمّا قال والداه وأعطاها ذلك الخاتم. لقد كانت حزينة طوال الوقت».

عاد هونما إلى السيرة الذاتية، لقد كتب أن تاريخ ميلاد شوكو سيكين يصادف 14 أيلول 1964، حصلت على الشهادة الثانوية في أوتسونوميا. وتحت بند الوظائف السابقة ذكرت أنها عملت في ثلاث شركات. الأولى كانت سانكو لتأجير المعدات، في طوكيو بالقرب من شيبويا، وقد بدأت العمل هناك في حزيران من عام 1983، فإذا افترضنا أنها جاءت مباشرة إلى طوكيو بعد تخرجها في شهر آذار، فهذا يعني أنها أمضت شهرين في البحث عن عمل، ثم تركت العمل هناك في حزيران عام 1985.

الشركة الثانية هي شركة إيشي، فقط ولم يذكر نوع العمل الذي تقوم به وكتب بجوار الاسم عملت كضاربة على الآلة الكاتبة. عنوان الشركة في شيودا وسط طوكيو وقد بدأت العمل هناك في نيسان سنة

1985 واستقالت في حزيران 1986. أما الشركة الأخيرة فهي أريوشي للمحاسبة العامة القانونية في منطقة ميناتو، وعملت فيها من آب 1986 حتى الأول من كانون الثاني 1990. وقد بررت تركها للعمل في الشركات الثلاث بالعذر المعتاد «أسباب شخصية» والسيرة الذاتية نفسها كانت موقعة بتاريخ 15 نيسان 1990.

«أرى أنها عملت في المحاسبة قبل أن تأتي إلى هنا».

أجاب إيماي وهو يمد رقبته ليلقي نظرة: «نعم يبدو هذا».

«ألم تذكر يوماً سبب تركها لتلك الوظيفة؟».

«طبعاً، لقد قالت إنها أرهقت من العمل ومرضت وأظنّ أنها كانت صادقة في هذا».

بدا هونما غير مقتنع.

«إن شركتنا صغيرة يا سيد هونما. وإذا كنت سأتحقق من الخبرات والوظائف السابقة، فلن أجد أحداً يعمل لديَّ إطلاقاً. لهذا السبب تجدني أغض النظر. وإذا وجدت شخصاً جيداً، فإني أحاول ألا أطرح الكثير من الأسئلة، فلكل واحد منا تاريخه».

حسناً، وكيف يعرف أنه لم يخطئ باختيار الشخص المناسب؟ فهو مدير عام لشركة بالكاد تستطيع الصمود في عالم الأعمال الضخم هذا، ولا يمكن لأحد أن ينكر بأن هذا لم يكن إنجازاً صغيراً وتحديداً بسبب مساحة المكان. إن تولي إدارة مؤسسة كبيرة، كان هونما يقول لنفسه، أشبه بالتحليق في طائرة ضخمة تطير أوتوماتيكياً، أي إنه ليس هناك اختبار حقيقي للمقدرة باستمرار، أما بالنسبة لشركة صغيرة مؤلفة من غرفة واحدة كهذه، فهي أقرب ما تكون إلى طائرة دعم صغيرة غير

مزودة بكمبيوتر ونظام ملاحة تعتمد عليه، فإذا أخطأ الطيار تحطمت الطائرة.

«إذا ماذا تفعل عندما تكون بحاجة إلى موظفين؟».

«كالعادة، أنشر إعلاناً في الصحف».

«ومتى بدأت شوكو العمل لديك؟».

ألقى إيماي نظرة على السيرة الذاتية وقال: «لقد عرضت عليها العمل في اليوم التالي لإجراء المقابلة معها».

«كانت تقوم بأعمال المكتب الاعتيادية؟».

«أجل هذا صحيح، الطباعة ومعالجة النصوص»...

«وماذا عن زميلتها؟» ثم نظر إلى ميتشي التي بادلته بدورها نظرة حادة.

لكن مديرها أجاب بالنيابة عنها: «جاءت في الفترة نفسها، لم يكن مضى على وجود الآنسة سيكين سوى ستة أشهر عندما بدأت ميتشي العمل أليس كذلك؟».

أومات ميتشي برأسها وقد أصبحت أكثر لطفاً.

«هل هناك أحد آخر؟».

«لا، نحن الثلاثة فقط. أحياناً يأتي أناس إلى هنا وبعضهم يلقي عليها التحية، لكني أشك في أن لديهم فكرة عن مكان تواجدها الآن».

«أتتذكر أحداً منهم؟».

هز رأسه معتذراً: «لا أعرف إن كان لديها أصدقاء مقربين غير قريبك السيد كوريساكا، أنا آسف هذا كل ما لديَّ».

«هذا جيد جداً».

هذه المرة عندما التفت إلى ميتشي كانت قد مستعدة للإجابة فقالت له مباشرة: «لا أعرف أحداً آخر».

«ألم تذكر أمامك أبداً اسم أي من أصدقائها؟».

هزت رأسها بالنفي: «وحده السيد كوريساكا كان معروفاً بالنسبة لنا، كنا نتوقف أحياناً ونحن في طريقنا إلى البيت لتناول الشاي، وبين فترة وأخرى كنا نذهب معاً إلى المركز التجاري، هذا بالإضافة..»...

«فهمت».

سأله إيماي: «هل تظن أنها ربما عادت إلى عائلتها؟».

«ولكن لم يكن لشوكو أية عائلة».

لطم إيماي على جبينه وقال: «آه، أجل».

«طبعاً أنا أنوي أن أتحقق من هذا الأمر». ثم التقط السيرة الذاتية وسأل إيماي:

«إن لم يكن لديك مانع أريد أن آخذ نسخة من هذه».

أشار إيماي إليه بيده: «تفضل خذها، فأنا لن أمانع في إعطائها للسيد كوريساكا ثم إن عليك أن تسأل مديريها السابقين أيضاً».

شكره هونما على عرضه هذا وأخذ الورقة.

«أرجو أن تجدها».

ما إن نهض هونما ليغادر حتى أسرعت ميتشي لتساعده في ارتداء المعطف، لكن فرق الطول بينهما جعل العملية صعبة، وبعد عدة محاولات فاشلة ابتسم لها هونما ولبس معطفه بنفسه. في هذه الأثناء كانت ميتشي تحمل له المظلة.

قالت بمنتهى الجدية: «أنا آسفة من أجل ولد ابن عم زوجتك، فكل ما توصلت إليه هو أنه لا يسمى ابن العم الأول».

شعر هونما أنه يجب أن يقول شيئاً: «لا بأس لكن بلغيني في حال توصلت إلى شيء».

«أجل سيدي، سأفعل بالتأكيد».

ربما لم تكن شوكو سيكين تجني الكثير من المال في هذا المكان، لكن مع هذا فهي ليست شركة صغيرة سيئة، هذا ما كان يدور في ذهن هونما وهو ينزل السلالم.

## ✧ 4 ✧

رأى هونما أن لا حاجة إلى الاتصال بالشركات الثلاث التي كانت شوكو قد ذكرتها في سيرتها الذاتية. فالشركة الأخيرة، أريوشي للمحاسبة العامة القانونية، ستفي بالغرض، إذ قد عملت عندهم لأربع سنوات، وقد كان يأمل أن يحالفه الحظ في أن يكون بعض أصدقائها لايزالون يعملون هناك.

دخل هونما إلى أول مقهى صادفه في طريقه، فوجد هاتفاً عمومياً بجانب الباب، غير أنه قرر أن يريح قدميه قليلاً قبل أن يجري الاتصال. وبينما كان يشرب القهوة، نظر إلى السيرة الذاتية مرة أخرى. لقد كانت مكتوبة بشكل أنيق ولا تحتوي تفاصيل غير ضرورية، لابد أن شوكو تمتلك مفكرة منظمة وتحتفظ بسجل لكل مصاريفها.

توجه إلى الهاتف وطلب الاستعلامات، ولما أجابت عاملة الهاتف أعطاها اسم الشركة والعنوان، ثم مرت أربع أو خمس ثوان قبل أن تجيبه: «ليس لديَّ اسم أريوشي للمحاسبة العامة القانونية في هذا العنوان يا سيدي».

لم يستطع أن يصدق: «لاشيء، إطلاقاً؟ ولا أي شيء قريب منه حتى؟».

«إن كنت تستطيع الانتظار، سأتحقق ثانية».

على الرغم من ضجة المكان استطاع هونما أن يسمع صوت مفاتيح الكومبيوتر.

«لم أجد شيئاً يا سيدي، هل أنت متأكد من أن العنوان صحيح؟».

نظر إلى العنوان ثانية ولم يكن هناك أي خطأ فشكرها وأغلق الخط.

إن المحاماة والمحاسبة مهنتان تعتمدان على أشخاص يمكنك إيجادهم بسهولة، ولذلك فإنهم يختارون أماكنهم بعناية. فلا يمكن أن ينتقلوا بعد أن يؤسسوا شركة، طبعاً بالنسبة لشاب طموح قد تشارك مع شريك كبير، فيمكنه أن ينتظر الفرصة المناسبة لينسحب ويؤسس عملاً خاصاً به. أما بالنسبة لشركة مسجلة باسم أحد الأشخاص، فمن الصعب أن تختفي ببساطة.

ربما كان أريوشي هذا محاسباً مُسِّناً وقد تقاعد الآن. لكن لا، انتظر لحظة، ألم يقل إيماي إن شوكو استقالت بعد أن مرضت بسبب ضغط العمل؟

إن الشركة التي ترهق موظفيها بالعمل لا تغلق أبوابها هكذا بسهولة، وبالطبع لم يكن هناك ما يؤكد أن شوكو أخبرت إيماي بالسبب الحقيقي لتركها العمل هناك.

رفع هونما سماعة الهاتف مرة أخرى، شركة إيشي، لقد عملت شوكو فيها ما يزيد عن السنة، لذلك فالأمر يستحق المحاولة.

أجابت موظفة الاستعلامات وقد بدا صوتها مختلفاً عن الأولى:

«ليس لدينا اسم مدوّن لهذا الشخص في هذا العنوان يا سيدي».

كان هونما على وشك أن يسألها عن أسماء مشابهة، لكنه

فكر لثوان ثم غير رأيه.

قالت الموظفة: «سيدي».

«إذا سمحت، أريد أن أجرب رقماً آخر، سانكو لتأجير المعدات، لا أظن أن لديك رقماً لهذه الشركة أيضاً». كان مجرد حدس.

أكدت الموظفة حدسه: «لا يا سيدي».

كانت قهوته قد بردت وهو جالس ينظر إلى السيرة الذاتية، وقد انتابه شعور بأنه غبي بعض الشيء. كم هو شخص شديد الثقة بالناس إيماي هذا! لقد وثق بشوكو مباشرة لحظة رآها ولم يتعب نفسه بالاتصال بمديريها السابقين أو بالتحقق من التفاصيل. لابد أنها اعتمدت على هذا منذ البداية وإلا لكانت ذهبت إلى مكان أبعد حيث لا يمكن الوصول إليها، أو على الأقل استخدمت أسماء لشركات حقيقية.

لكن لا، إن مسألة المصداقية لم تكن تعني لها شيئاً البتة، لذلك دونت عدة مراجع مزيفة في سيرتها الذاتية وتوجهت إلى الشركات الصغيرة فقط، وتجنبت الشركات الضخمة حيث يقوم مديرو شؤون العاملين بالتدقيق والمراجعة، وعلى الرغم من ذلك فهناك احتمال أن يمسك بها أحد ما، لكن كانت هذه مجازفة أرادت تقوم بها. إن كان كل شيء سينكشف، فمن الأفضل أن يحدث هذا الآن وليس لاحقاً.

بالطبع كان عليها أن تكذب في سيرتها الذاتية من أجل أن تخفي أمر إفلاسها. ففي شهر نيسان من عام 1987 وعندما أرسل محاميها تلك الرسائل، لابد وأنها كانت تعمل في مكان ما ومن المؤكد أنها تلقت هناك الكثير من المكالمات العاجلة ورسائل التذكير من الاتحادات الائتمانية وتلك الشركات التي تقدم القروض، وربما كان

هناك بعض الزيارات الودية أيضاً.

كان هونما قد سمع عدة أشياء عن تلك الشركات، غير البنكية، التي تقدم القروض وعن أساليب وكلائها في تحصيل الديون. فحتى بعد صدور قانون تنظيم القروض عام 1983 الذي حظر عليهم استعمال العنف أو التهديدات العلنية، فقد وجدوا أساليب أخرى. إنهم يرسلون رسائل بغيضة بالفاكس إلى مكتبك مباشرة:

(عاجل: اتصل بشركة إيشيبان للائتمان) فماذا باستطاعتك أن تفعل؟

إن شوكو لا تستطيع أبداً أن تدون اسماً حقيقياً لمدير عملت لديه في السابق. أفلا يتطلب الأمر إلا اتصالاً واحداً وسينتهي كل شيء؟

شعر هونما بالحر، كان لا يزال مرتدياً معطفه، لكن ارتداء المعطف وخلعه أمر متعب، لذلك قرر أن لا يخلعه. أخذ رشفة من كوب الماء ونظر إلى المعلومات الشخصية المدونة في السيرة الذاتية، الله وحده يعلم ما الذي أوصلها إلى الإفلاس، لم يكن يريد أن يطلق أحكاماً متسرعة، الأمر الذي يجب أن يقوم به أي مدير بعيد النظر، لكن على الرغم من هذا لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير بأن جان سيكون أفضل حالاً بعيداً عنها، صدق أو لا تصدق، لكنها بدت بارعة تماماً، لابد أنها بذلت جهداً كبيراً حتى جاءت بكل هذه الأسماء والعناوين.

إن هذا جعله يفكر، ماذا كانت تعمل قبل أن تأتي إلى شركة إيماي يا ترى؟ لابد أن تكون قد تسجلت في مكتب التوظيف العام، وهناك يحتفظون بكل المعلومات التي تدخل إلى أجهزة الكومبيوتر لأكثر من عشر سنوات، مما يعني أنهم يقومون بتحديث المعلومات الخاصة بكل

موظف حسب رقم تسجيله فإذا غير مهنته أو حتى تقاعد سيذكر هذا في ملفه، ليس عليك إلا أن تذهب إلى هناك وسيعطونك بطاقة، ومن المؤكد أن شوكو سيكين تملك واحدة وقد أرتها لإيماي عندما بدأت العمل له، وهو بدوره أو ربما شوكو نفسها، على الأرجح، سجلتها في قسم الموظفين الجدد في مكتب توظيف شينجوكو.

نهض هونما ثانية واتجه إلى الهاتف وطلب رقم إيماي، ولما أجابت ميتشي شرح لها الوضع، فتحدثت مع رئيسها بضع كلمات بصوت خافت ثم عادت إلى هونما: «سيدي، لقد وجدت استمارة تسجيل».

«ماذا تقصدين؟».

قرأت له ميتشي: «استمارة تسجيل في مكتب التوظيف العام، الآنسة شوكو سيكين، تاريخ الإصدار: 20 نيسان عام 1990».

والسيرة الذاتية التي قدمتها لإيماي كانت بتاريخ 15 نيسان في العام نفسه.

تابعت ميتشي تقول: «لقد قالت إنها كانت المرة الأولى التي توقع فيها هذه الاستمارة».

«حقاً؟ ألم تكن قد تسجلت من قبل؟».

«هذا ما قالته، فعندما بدأت العمل هنا لم أكن أعرف كيف أقوم بهذه الأشياء، وخشيت أن يسخر مني الموظف في مكتب التوظيف العام، لذلك أقنعت شوكو بالذهاب معي وعندها أخبرتني بأنها كانت المرة الأولى التي تتسجل فيها وقد جاءت وحدها».

تشوش الخط قليلاً ثم أخذ إيماي السماعة: «تماماً كما قالت ميتشي، لكن ما هذا الكلام عن كون السيرة الذاتية مزورة؟».

«يبدو ذلك سخيفاً أعلم هذا».

«حسناً، بالنسبة لمكتب التوظيف، فحسب قولها إنها كانت تعمل بدوام جزئي في أغلب الأماكن التي عملت فيها ولهذا لم تحصل على بطاقة».

«ها؟ وهل قالت لَم لم تكن تعمل بدوام كامل؟».

هذه المرة أيضاً تحدث كل من إيماي وميتشي حديثاً مختصراً بصوت خافت ثم قال إيماي: «أظن أنها قالت إنهم يدفعون لك أكثر إذا عملت بدوام جزئي».

«هذا يعني أنها كانت تعمل في النوادي الليلية».

«همم... اسمع أنا لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر، كما لا يمكنك التسرع في إطلاق الأحكام هذه الأيام، وعلى كل حال فإن الآنسة سيكين لم تكن تبدو من هذا النوع».

لكن من وجهة نظر هونما، فإنك لا تستيطع أن تحدد ما هي الأحكام حتى تتسرع بإطلاقها في هذه الأيام. الآن وفي كل مكان، تجد طلاب الجامعة يعملون في الحانات بشكل سري، والأسوأ من هذا هو أن شوكو كانت فائقة الجمال ومن السهل عليها اصطياد رجل مثل جان، فإذا استخدمت سحرها هذا لتوقع بزبون ثري في أحد النوادي ستجني الكثير من المال، وربما لهذا السبب لم تكن بحاجة إلى إعانة مرتب البطالة... ولكنها أفلست على الرغم من هذا.

أنهى هونما المكالمة وعاد للجلوس إلى طاولته ثانية متجاهلاً النظرة الساخطة التي رمقته بها النادلة.

خمس سنوات؟ إنها فترة طويلة تكفي لقلب حياة شخص ما بشكل

كامل، وحسب ما قاله جان عن طبيعة العمل الذي كانت تقوم به في مكتب إيماي، يبدو أن شوكو كانت تعمل لتكسب لقمة عيشها.

تنهد هونما وهو يخرج بعض الفكة من جيبه متسائلاً إلى أين سيتوجه الآن.

ما شكل الحياة التي كانت تعيشها شوكو يا ترى عندما أرسل محاميها تلك الرسالة إلى أصحاب الديون؟ إن البدء بالبحث من هذه الزاوية سيكون متسرعاً بعض الشيء، فمن الواضح أن الماضي الذي تحاول إخفاءه هو نقطة ضعفها، فإذا تمكنا من كشفه سيتضح كل شي.

لقد اختفت شوكو في اللحظة التي بدأ فيها جان بطرح الأسئلة عليها، وكأنها كانت مستعدة للهروب في أي وقت، شك هونما بأن هناك من يساعدها وهو بالتأكيد ليس من بين الأشخاص الذين كانوا يعرفونها قبل أن تختفي، فهؤلاء لن يكونوا عوناً لها الآن.

في اللحظة التي انكشف فيها ماضيها رمت شوكو بكل شيء وهربت ولا يهم إلى أين، فهي لم تكن تريد أن تلجأ إلى شخص لا يعرف شيئاً عن ماضيها ولا تريد أيضاً سماع انتقاد من الناس الذين يعرفون، وهذا بالطبع قيد حريتها في اختيار شريك لها.

هونما هو الآخر لم تكن لديه خيارات كثيرة، فقرر أن يذهب للاتصال بذلك المحامي، ميزوجوتشي، الذي وكلته شوكو من أجل قضية الإفلاس، كان مكتبه في جينزا، أي يجب عليك أن تستقل قطار مارونوتشي إلى هناك مباشرة، من دون توقف.

# ✧ 5 ✧

«هناك الكثير من التعقيدات... لا أستطيع أن أشرح الآن... أحتاج إلى بعض الوقت».

هذه كانت كلمات شوكو الأخيرة لجان، تتردد في رأس هونما وهو واقف في ردهة الطابق الثامن أمام أحد المكاتب، في بناية صغيرة يفصلها بنايتان عن وسط جينزا.

كتب في منتصف الباب وبالخط العريض «ميزوجوتشي وتاكادا– وكيل دعاوى معتمد» ولم يكن ممكناً أن ترى ما في الداخل بوضوح من خلال الزجاج المزخرف.

لا يأتي الناس إلى هنا إلا إذا كانت لديهم مشكلة خطيرة بكل معنى الكلمة، هذا ما خطر ببال هونما وهو واقف أمام الباب، وربما وضعوا هذه الأبواب الزجاجية حتى لا يبدو المكان منفراً جداً.

فتح الباب من الطرقة الأولى وأطل شاب قال وهو يلهث: «اعذرني لحظة واحدة فقط». ثم عاد مسرعاً إلى سماعة الهاتف. وفي الداخل كانت هناك أربعة مكاتب وضعت كيفما اتفق، وعلى ظهر إحدى الخزائن لمح ساعة رقمية تشير إلى الثالثة وسبع وعشرين دقيقة.

الآن، هذا مكتب حقيقي، لا أثر لعصبية ميتشي أو لطف إيماي ودماثته، والعمل هنا كما يجب أن يكون. فكل شيء في حركة دائمة

والأصوات تأتيك من كل الاتجاهات. كان المكتب على شكل حرف L، حيث تعامدت المنطقة الرئيسية المخصصة للموظفين مع الزاوية التي خصصت للاستشارات، لكن بدلاً من الأريكة والطاولة التي توضع عادة في منطقة الاستقبال، تم تقسيم هذه الزاوية إلى ثلاث حجرات مفصولة عن بعضها بستائر كما لو كانت عيادة طبية، وخصصت اثنتان منها من أجل المراجعين، أما الثالثة فكانت للزبون الثالث الذي ينتظر. الحجرات الثلاث كانت مشغولة عندما دخل هونما.

أنهى الشاب مكالمته ورجع إلى هونما، وفي طريقه إليه اصطدم بطابعة الكومبيوتر فأوقع حاملة الأوراق على الأرض. قال الشاب: «آه، آسف».

لكنه بدا كما لو أنه يقولها للطابعة وليس لهونما، ثم وجه كلامه لهونما مباشرة: «تفضل بالجلوس سينتهي السيد ميزوجوتشي قريباً».

«لا مشكلة، لست على عجلة من أمري».

لقد قال ذلك من دون تفكير، في الحقيقة لقد أوضح السيد ميزوجوتشي لهونما عندما اتصل به بأنه يستطيع أن يتدبر أمره ويقابل زائراً من دون موعد سابق لثلاثين دقيقة فقط، من الساعة الثالثة والنصف حتى الرابعة.

«هنا، تفضل واجلس». وأشار الشاب إلى أحد الكراسي الفارغة بإحدى يديه، في حين كان يكتب شيئاً ما على عجل بيده الأخرى.

قبل هونما عرضه بكل طيبة خاطر.

على المكتب المجاور جلست سيدة في السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين، كانت تتحدث بالهاتف أيضاً وكان الشخص الذي يحدثها

إما منفعلاً جداً أو لجوجاً، لابد أن شوكو كانت كذلك هي أيضاً في زيارتها الأولى إلى هنا، مزيج من الجرأة واليأس.

رفع الشاب بصره عن دفتر ملاحظاته فاغتنم هونما الفرصة ليسأله: «هل لديك فكرة إن كانت سيدة تدعى شوكو سيكين قد جاءت إلى هنا مؤخراً؟».

«سيكين؟».

«أجل شوكو».

في هذه الأثناء كانت السيدة الشابة قد أنهت المكالمة وانضمت إليهما مباشرة: «كما في الدراما اليابانية «فوجيوارا»، شوكو ابنة ميتشناغا والتي أصبحت زوجة الإمبرطور إيشيجي؟».

أجابها زميلها بعصبية: «الآن أنا أنسحب».

قال هونما: «ألم تكن تلك التي قدمها موارساكي شيكيبو كأميرة؟».

قالت السيدة مبتسمة: «أجل، أعتقد أنك على حق».

في الحقيقة لم يكن هونما بارعاً في الكتب القديمة، لكن ذات مرة أحضرت شيزوكو أحد تلك المراجع الثقافية «حكاية جينجي للراشدين»، ويومها أخذ فكرة سريعة عن الملحمة كلها.

تابع هونما: «أما مرافقة الإمبرطورة تيشي، منافسة شوكو، فقد كانت سي شوناغان. أعظم كاتبتين في عصرهما كانتا معاً في البلاط ترافقان زوجتين مختلفتين لنفس الإمبراطور».

كيف استطاع أن يتذكر كل هذا؟ فالفقرات التي كانت شيزوكو تقرؤها له كانت تدخل من أذن وتخرج من الأخرى.

وافقته السيدة قائلة: «هذا صحيح».

ثم قال هونما بشكل جاد ومفاجئ كي يرجعوا إلى شوكو الحالية «ها هي صورتها لقد أحضرتها معي».

وأخرج السيرة الذاتية من جيبه وراح يطويها كي لا يظهر منها إلا الصورة ثم عرضها عليهما.

أبدى الشاب اهتمامه ثانية فخرج من وراء مكتبه واقترب ليلقي نظرة: «لا أستطيع القول إن وجهها يبدو مألوفاً، لكنني عادة لا أنسى أشكال الناس الذين يأتون إلى هنا».

سألت السيدة: «هل أستطيع أن ألقي نظرة؟».

«لا، لا أتذكرها، هل قلت إنها كانت موكلة لدينا؟».

«من حوالي خمس سنوات، جاءت إلى السيد ميزوجوتشي ليعد لها الوثائق الخاصة بقضية إفلاس».

أعاد الشاب السيرة الذاتية إلى هونما ورجع إلى مقعده وعلى وجه تعبير يقول: «اعذروني فأنا متعب». ثم أضاف: «منذ خمس سنوات؟ لم أكن قد بدأت العمل هنا».

أما السيدة فقد وضعت مرفقيها على المكتب وقالت:

«تسعون بالمئة من القضايا التي تأتينا هي حالات إفلاس، لكنني أظن أني قد سمعت باسمها».

مع كل هذه الأعداد الكبيرة من الناس الذين يدخلون إلى هذا المكتب سيكون ذلك أمراً مدهشاً أن تستطيع تذكرها، هذا بالإضافة إلى أن شوكو جاءت إلى هنا منذ وقت بعيد.

صاحت السيدة فجأة: «انتظر... شوكو، لقد تذكرت الاسم، هل

كانت أسنانها معوجة؟»

عندها ناداه أحد ما: «سيد هونما، آسف لجعلك تنتظر».

التفت هونما فوقع نظره مباشرة على رجل مُسِّن له طوله نفسه تقريباً. من الواضح أن السيد ميزوجوتشي قد تجاوز السبعين من عمره، ولكنه مثل كل الموظفين الذين بلغوا سن التقاعد، قد آثر أن يستمر في العمل مستشاراً لبضع سنوات أخرى، وهو مع ذلك ما يزال يتمتع بطاقة كبيرة وليس هناك ما يدل على تقدمه في السن إلا ذلك الترهل حول رقبته ولطخة صغيرة عند خده اليسرى، بالإضافة إلى تلك النظارات التي كان يضعها على عظمة أنفه.

شرح هونما المسألة بإيجاز، قدر المستطاع، في غضون الخمس عشرة دقيقة المتبقية قبل أن تصبح الساعة الرابعة تماماً، والحقيقة الوحيدة التي أخفاها هي أن جان جاء إليه لكونه ضابط شرطة، مرة أخرى، كان عليه أن يقول إن التحقيق هو جزء من عمله الصحفي.

سأل هونما: «أخبرني من فضلك، هل تقومون بإرسال إنذار إلى الدائنين بالنيابة عن موكليكم أصحاب دعاوى الإفلاس الشخصي؟»

أجاب المحامي مباشرة: «بالتأكيد، فبهذه الطريقة نبلغهم بأنه تم الإعلان عن الإفلاس وأننا نطلب تعاونهم، وعندما نفعل هذا فإن الدائنين يشعرون ببعض الطمأنينة في معظم الحالات، لكن بعضهم، طبعاً، يقوم باستعراض قوته، إلا أن مثل هذه الحالات نادرة ويسهل التعامل معها».

أخرج هونما رسالة الإفلاس الخاصة بشوكو وقال: «أعتقد بأنك أنت من قام بإرسال هذه».

نظر المحامي إلى الرسالة بصعوبة ثم أمال رأسه محاولاً أن يتذكر «أجل بالطبع، آه نعم، شوكو سيكين».

«هل جاءت لرؤيتك مؤخراً؟».

«لا، لقد قلت إنها اختفت في السادس عشر من هذا الشهر أي منذ أقل من أسبوع، لايمكن أن أنسى شيئاً حدث منذ وقت قريب هكذا».

كان صوت ميزوجوتشي مبحوحاً بعد أن أمضى ساعات طويلة في الكلام، فأخذ رشفة طويلة من الشاي ثم تابع: «لكني أتذكرها تماماً وأستطيع أن أتعرف عليها إن رأيتها ثانية».

ثم قال بحزم وهو يضع فنجانه: «ومع ذلك، كونك قريباً لخطيب الآنسة سيكين، فهذا لا يعطيني الحق في مناقشة قضيتها معك، أظنك تعرف هذا».

«أجل، أنا على علم بهذا».

إنه قانون حماية سرية المحادثات التي تجري بين المحامي والموكل.

«نحن لا نريد إلا أن نجدها ونتحدث إليها، وقد فكرت في أنها يمكن أن تكون قد جاءت لتستشيرك».

«أنا آسف، هذا كل ما أستطيع مساعدتك به، لم تقع عيناي على هذه السيدة منذ آخر مرة جاءت فيها إليَّ قبل سنتين».

قبل سنتين؟ لكن قضية الإفلاس كانت منذ خمس سنوات. شعر هونما بالفضول وبدت الدهشة على وجهه، وقد اكفهر وجه ميزوجوتشي للحظات.

ثم قرر هونما أن يجرب شيئاً، كانت رمية حظ لكنه أراد أن يحاول

بكل الأحوال.

«منذ سنتين؟ هل تقصد عندما توفيت والدتها؟».

اتسعت عينا المحامي خلف نظاراته: «أجل هذا صحيح».

«أتساءل إن كنت تعرف أيضاً أين كانت تعمل وقتها، فحتى الأسبوع الماضي كانت تعمل في شركة صغيرة في شينجوكو تدعى شركة إيماي للآلات، ولكن على ما يبدو لا المدير ولا الموظفة الأخرى يعرفان الكثير عن أمورها الشخصية».

كان هونما يحاول ألا يبدو كمن يدقق أكثر من اللازم.

«لقد طلبت منهم أن أرى السيرة الذاتية التي قدمتها حين بدأت العمل لديهم، لكن تبين أن المعلومات التي ذكرتها في السيرة الذاتية كانت كلها كاذبة. من الواضح أنها ظنت بأن أحداً لن يقبل بتوظيفها لديه إذا عرف ماضيها، وأنا لا ألومها على كل حال».

«ماذا عن خطيبها؟ ألم يكن على علم بشيء؟».

«لو كان يعلم لما طلب مني أن أبحث عنها، يبدو أن الآنسة سيكين لم تكن تتحدث كثيراً عن نفسها».

تجعد جبين ميزوجوتشي قليلاً «اعذرني للحظة».

ثم نهض من كرسيه واتجه نحو مكاتب الموظفين حاملاً بيده بطاقة جان، من المحتمل أنه يريد الاتصال بالبنك ليتأكد بأن السيد جان كوريسكا يعمل هناك، أو ربما ليتحقق من رقم هاتف هونما أيضاً.

أسند هونما ظهره إلى الكرسي وجلس ينتظر. عاد المحامي بعد عدة دقائق وانهال عليه بالأسئلة مباشرة:

«شركة إيماي تلك، هل هي شركة نظامية؟».

كان لا يزال عابساً لكنه بدا أكثر ثقة بنفسه.

«نعم إنه مكتب صغير. يبيعون مكنات تسجيل المدفوعات النقدية».

ثم تخيل متيشي فأضاف: «والموظفون يلبسون بدلات المكتب التقليدية».

سأل المحامي سؤاله التالي ببطء لكن بفظاظة: «هل أفهم من هذا أن الآنسة سيكين توقفت عن العمل في الليل؟»

حدق هونما بالمحامي من دون أن ينبس بكلمة.

هز ميزوجوتشي رأسه وتابع: «منذ خمس سنوات، عندما جاءت إلى هنا لأول مرة من أجل مسألة الإفلاس كانت تعمل في مكان يدعى «سناك» في جينزا أو في شيمباشي لم أعد أذكر، على كل حال كانت واحدة من تلك الحانات حيث تجلس الفتاة إلى طاولتك وتصب لك الشراب».

«إذاً هل عرَّفك أحد إليها أم..؟».

ابتسم المحامي ابتسامة خفيفة وقال:

«لا، لا، في أوائل الثمانينيات في فترة «رعب التمويل الاستهلاكي» عندما بدأ الناس يصرفون أكثر مما يكسبون ولجأ الكثير منهم إلى الاستدانة من المرابين، قررت مساعدتهم، فقمت بعدة محاولات لإنقاذ أولئك الأشخاص الذين تراكمت عليهم الديون وأفلسوا، لقد شاركت في عدة محاضرات واجتماعات، وتحدثت إلى الصحفيين. ويبدو أن الآنسة سيكين قد قرأت شيئاً عني، أقصد عن مكتبنا في إحدى المجلات عندما كانت في أحد مراكز التجميل».

هزَ هونما رأسه وهو يفتح دفتر ملاحظاته.

سأله ميزوجوتشي: «الآنسة سيكين ولدت في أوتسونوميا. أليس كذلك؟».

«صحيح، وقد جاءت إلى طوكيو بعد المدرسة الثانوية مباشرة».

«في البداية كانت تعمل في مكتب نظامي، وقد حصلت على بطاقة الائتمان الأولى في ذلك الوقت لكنها لم تكن قادرة على الالتزام بالدفعات الشهرية، لذلك بدأت تعمل في الليل أيضاً. ولم يمض وقت طويل حتى بدأت المشاكل مع محصلي الديون، فكان عليها أن تترك وظيفتها النهارية في المكتب. لكنها بعد فترة من الوقت، كما تعلم، اعتادت العمل في الحانة، لذلك حتى بعد أن أعلنت الإفلاس لم تعد للعمل في ذلك المكتب. وطوال الوقت الذي كانت تأتي فيه إلى مكتبي كانت لاتزال تعمل في الليل، على الأقل هذا ما قالته. هذه هي الحال دائماً، إنهن لا يستطعن العودة إلى القيام بعمل عادي».

مد يده إلى فنجان الشاي ليجده فارغاً فرفع صوته قائلاً: «سواجي، أحضري لنا بعض الشاي».

وفي الحال جاءت السيدة التي تهتم بالكتب التاريخية وبيدها إبريق من الشاي الساخن فملأت لهما فنجانيهما.

أخذ المحامي رشفة من الشاي جعلته يبدأ من جديد:

«هكذا ومنذ سنتين جاءت لتسألني حول نقود التأمين الخاصة بوالدتها، أنا أتذكر هذا جيداً».

كانت والدة شوكو مسجلة في برنامج التأمينات الاجتماعية، وعند وفاتها كان المبلغ المتجمع في رصيدها حوالي مليوني ين ياباني،

وهذه النقود ستعود إلى شوكو بشكل طبيعي.

«لقد سألتني إن كانت هذه النقود من حقها وإن كانت تستطيع أخذها كلها، فأخبرتها بأن المبلغ كله من حقها وأن أي شيء تحصل عليه بعد الإفلاس يمكنها الاحتفاظ به ويصبح ملكاً لها. كانت قد فقدت القليل من وزنها، لكن ما عدا ذلك كانت تبدو على ما يرام».

الله وحده يعلم كم موكلاً لدى هذا المحامي، لكنه مع ذلك، تذكرها.

تابع المحامي: «عادة أنسى ماذا أكلت بعد مرور ساعة على تناولي الطعام، لكن من المستحيل أن أنسى أحداً من الموكلين. في قضية الآنسة سيكين تطلبت إجراءات الإفلاس بعض الجهد، فقد كانت وقعتْ في بعض المشاكل، غير أنها عندما رجعت منذ سنتين بدت أحسن حالاً وكانت تبدو سعيدة. لقد افترضت وقتها أنها ربما حصلت على بعض المال».

كان هذا في عام 1990.

قال هونما: «في الشهر الرابع من السنة نفسها، ذهبت للعمل في مكتب إيماي، فهل تظن أن نقود تأمين والدتها ساعدتها قليلاً ومكنتها من التخلي عن العمل في النوادي الليلية».

المحامي: «إن إلقاء نظرة واحدة فقط على السجلات ستكشف كل شيء وسنعرف عنوانها ومكان عملها في ذلك الوقت، دعني أتحقق من ذلك».

نهض المحامي من مكانه ثانية، إلا أنه غاب لعشر دقائق هذه المرة، وفي هذه الأثناء بدأ هونما يشعر بالتوتر، نظر إلى ساعته فوجدها تشير

إلى الرابعة وخمسة وعشرين دقيقة، وبعد دقيقتين إضافيتين رجع المحامي وبيده قصاصة ورق صغيرة.

:«زيارتها الثانية إلى هنا منذ سنتين كانت في مثل هذا الوقت تقريباً، بعد رأس السنة بفترة قصيرة، في الخامس والعشرين من كانون الثاني. لقد أعطتنا وقتها هذه العناوين للاتصال بها».

شكره هونما بكل أدب وتناول قصاصة الورق التي كتب عليها بأحرف كبيرة اسم لاهاينا وهو ناد ليلي في شيمباشي. وتحته عنوان منزلها: ميناميماتشي 1-4-2-5-2 مدينة كاواجوتشي - ساتياما. وذكرت أن مكان عملها السابق كان شركة كاساي التجارية في حي إدو جاوا في الجهة الشرقية من المدينة.

«وهل هذه هي الشركة التي أجبرت على تركها بسبب محصلي الديون؟».

هز ميزوجوتشي رأسه بالإيجاب.

«إني ممتن لك جداً لقد قدَّمت لي مساعدة كبيرة».

«هل بإمكانك أن تعلمنا إذا عرفت شيئاً؟ فكما أخبرتك من قبل، أشعر بأني أتحمل جزءاً من المسؤولية».

«سأفعل».

صاحب الموعد التالي كان ينتظر، لذا بقي ميزوجوتشي واقفاً بجانب كرسيه فنهض هونما من كرسيه.

«إذا فشلت في التوصل إلى شيء، فربما عليك أن تجرب وضع إعلان في الصحف».

«هل تقصد مثلاً «شوكو، دعينا نناقش الأمر، ارجعي أرجوك»؟.

«أنت متفاجئ لكن ذلك سيكون مفيداً حقاً، شريطة أن تضع الإعلان في الصحف التي تقرأها الآنسة سيكين... وإن كان هناك ما نستطيع فعله لنشرح للسيد كوريساكا الأسباب التي دفعت بالآنسة سيكين لتعلن إفلاسها، فسيكون من دواعي سرورنا أن نقدم المساعدة. فمسؤولية ما حدث لا تقع عليها وحدها. إن مسألة تراكم الديون هذه إنما هي نوع من الفساد الأخلاقي».

الفساد الأخلاقي، اختيار مشوق للكلمات، حدث هونما نفسه، مؤسف جداً أن ميزوجوتشي ليس لديه متسع من الوقت.

«في حال اتصلت بنا سنحرص على إخبارها بأن السيد كوريساكا يبحث عنها».

وكأن المحامي قصد أن يقول لهونما بأنهم لن يخبروه بمكانها.

تابع المحامي: «في هذه الحال ستتصل إن أرادت ذلك. سنفعل ما بوسعنا لإقناعها فهروبها لن يفيدها بشيء على كل حال».

«أشكرك كثيراً».

قال المحامي مؤكداً ما قاله من قبل: «هذا في حال اتصلت بنا، نحن لم نسمع شيئاً عنها في خلال السنتين الماضيتين، فهي لم تتصل ولم ترسل أية رسالة وربما تكون انتقلت أو تركت النادي الليلي».

قال هونما مذكراً إياه: «إن شركة إيماي مكان صغير ورائع. إنه واحد من تلك الأماكن التي تشعرك بالأمان».

«قريبك، السيد كوريساكا، أهو رجل جدي؟».

«إلى أبعد حد». ثم قال هونما محدثاً نفسه: «ولو أنه مغرور بعض الشيء».

قال المحامي وهو مستغرق في التفكير: «موظف بنك، جيد، يبدو أن الآنسة سيكين قد تغيرت حقاً، ليس فقط فيما يخص عملها بل وأسلوب حياتها أيضاً. وحتى في مظهرها لأنني عندما رأيتها منذ سنتين كانت ثيابها وزينتها وكل شيء فيها يوحي بأنها تعمل في ناد ليلي».

ابتسم هونما وقال: «إذا كان الأمر على هذا النحو، فلابد أنها تبدلت كلياً أو أنها ربما عادت لتكون الفتاة التي كانت من قبل. من المؤكد أن الرجال كانوا يلاحقونها طوال الوقت، ولكن اعتماداً على حديث جان والناس الذين يعملون في شركة إيماي، فهي تعطي انطباعاً بأنها ذكية وليست فتاة رخيصة على الإطلاق».

ميزوجوتشي: «أووه! تبدو وكأنك تتكلم عن شخص آخر، هذا يبرهن لك بأن النساء مخلوقات لا يمكن التنبؤ بما سيقمن به».

«حسن، لكنهن مطيعات على كل حال».

«يجب أن نكون شاكرين جداً لهذا».

إذاً في الخامس والعشرين من كانون الثاني 1990 كانت آخر زيارة لها للمحامي، وبعد ثلاثة أشهر بدأت العمل في مكتب إيماي أي في العشرين من نيسان. إنها فترة قصيرة لتنقلب فيها مائة وثمانين درجة، هل يعقل أن يكون مبلغ تأمين والدتها قد فعل كل هذا؟

وصل هونما وميزوجوتشي إلى منتصف الطريق إلى الباب حيث كان هناك مراجعان ينتظران، عندما قال ميزوجوتشي: «الآنسة سيكين كانت... كيف أقول هذا؟... تميل إلى رفقة الرجال، لذلك لا أظن أنها تستطيع أن تبتعد عن عالم الحانات بهذه السهولة... لقد قالت

ذات مرة إنها تنوي ادخار بعض المال لتصلح أسنانها، كانت لديها تلك الأسنان المعوجة، كما تعلم، وقد حاولت أن أقنعها بأنها لم تكن بهذا السوء، لكن لا، لقد أرادت أن تقوّمها».

كانا يسيرأن ببطء، لكن هذه المعلومة جعلت هونما يجمد في مكانه «أسنان معوجة؟ تلك السيدة سواجي قالت الشيء نفسه... لكن انتظر هل كانت أسنانها معوجة؟ لابد أنها صفة واضحة جداً حتى تركت انطباعاً ثابتاً إلى هذه الدرجة، إن صورتها في السيرة الذاتية لا تفيدنا بشيء، لأن فمها كان مغلقاً، كما أن جان لم يذكر أي شيء عن أسنانها، أو ربما كانت قد أصلحتها قبل أن تتعرف إليه، من المحتمل أنها استعانت بنقود التأمين لهذا الغرض».

تغيرت مائة وثمانين درجة في الفترة الواقعة ما بين 25 كانون الثاني وحتى 20 نيسان 1990.

لا، هذا مستحيل ما هذا الذي يفكر فيه؟ هذه ليست قضية. إنها مجرد خدمة يقوم بها من أجل قريبه.

سأله ميزوجوتشي وقد بدأ صبره ينفد: «هل هناك شيء؟».

بدت وكأنها شخص آخر.. في وقت قصير جداً.

شعر هونما برغبة في لطم جبهته. إنه بعيد عن العمل منذ شهرين وهو في طريقه ليفقده. ما هي الخطوة الأولى والأكيدة التي يجب القيام بها في بداية أي تحقيق؟ أن تتأكد من الهوية، أن تحدد هوية الشخص الذي تقوم بالبحث عنه، وهكذا فلن تضيع وقتك في طرح الأسئلة على الناس ثم تكتشف بأنك تلاحق الشخص الخطأ.

هل الاسم والوجه هما لنفس الشخص؟! إن مسألة الأسنان المعوجة

لا تضيف الكثير ولكن مع هذا فهي تستحق الاهتمام.

إنه لا يستطيع أن يصدق كيف أن جان لم يحضر معه صورة لها، وكيف لم يطلب منه هو ذلك؟

أخرج السيرة الذاتية وفتحها أمام ميزوجوتشي: «هذه السيدة التي في الصورة هي شوكو سيكين صحيح؟».

نظر ميزوجوتشي إلى الصورة وبقي يحدق فيها طويلاً. عدّ هونما إلى العشرة، لقد كان ظنه في محله. بدت وكأنها شخص آخر، في وقت قصير جداً.

قال المحامي وهو يهز رأسه ببطء: «لا». ثم أبعد الورقة باستياء قائلاً:

«هذه ليست شوكو سيكين التي أعرفها، أنا لم أَرَ هذه المرأة من قبل ولا أعرف من تكون، ولكنها ليست شوكو سيكين. إنها شخص مختلف تماماً».

# ✧ 6 ✧

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساء عندما وقفت السيارة أمام أحد المباني وترجل منها هونما. عندها ذهب جان ليبحث في آخر الشارع عن مكان ليركن سيارته. إن هذا المكان يبعد خمس عشرة دقيقة مشياً على الأقدام من محطة هونانتشو، عند تفرع مترو أنفاق مارونوتشي باتجاه الضواحي. كانت البناية حديثة وذات نوافذ كستنائية اللون على الطراز الحديث. تعيش شوكو في الشقة رقم 103 في الطابق الأرضي – الزاوية الشمالية الشرقية. جميع سكان البناية ركنوا دراجاتهم الهوائية في الخارج، تحت نافذتها تماماً.

كان جان قد اتفق مع هونما أن يقله إلى الشقة، لكن من الواضح أنه لم يكن مسروراً الآن، فقد رفض هونما أن يطلعه وهما في الطريق على تفاصيل التحقيقات التي قام بها في النهار، لذا فهو يقود بشكل سيئ.

«أتعلم، كان من المفروض أن أعمل اليوم حتى وقت متأخر، لكنني غادرت حوالي الساعة السادسة كي آتي إلى هنا، لذا يجب عليك أن تخبرني شيئاً ما على الأقل».

كان يتكلم بنزق وهو يدس يده في جيبه ليخرج مفتاح الشقة.

قال له هونما بهدوء مستنداً إلى أحد الأعمدة في المدخل: «لا أظن

أن تفويت بضع ساعات من العمل الإضافي سوف يلطخ سجلك الوظيفي».

كان جان قد احتفظ بمفتاح شقة شوكو في محفظته بدلاً من علاقة مفاتيحه، فهكذا لن تراه والدته، وبينما كان يفتح الباب تنفس بعمق وقال: «ألا تظن أني أشعر بانزعاج شديد؟».

لكن هونما تجاهله ودخل قبله: «أين الضوء؟».

أدار جان مفتاح الكهرباء الذي كان وراء هونما فأضاء المصباح المعلق بالسقف، ثم خلع الرجلان حذاءيهما ودخلا.

بعد أن غادر مكتب المحامي، كان هونما قد اتصل بمكتب جان وطلب إليهم أن يطلبوه على جهاز الإخطار الخاص به ومن ثم اتصل به جان في أحد المقاهي.

«اسمع، أتعلم في أي مكان يحق لشوكو أن تنتخب؟».

كان السؤال مفاجئاً لذلك لم يرد جان أول الأمر، ثم قال: «ولماذا تريد أن تعرف؟».

«هل تعرف؟».

«بالطبع أعرف، في عنوانها في هونانتشو، إنها تسكن هناك منذ فترة».

«حقاً؟»

«أجل، ففي خلال انتخابات مدينة طوكيو صدرت بطاقتها من هناك».

«جيد، إذاً أريد منك أن تحصل على نسخة من وثيقة إقامتها. هل تظن أن بإمكانك أن تفعل هذا وأنت تقوم بجولاتك الخارجية؟».

«ولِمَ أنت بحاجة إليها ؟»

«لا أستطيع أن أشرح الآن، لكنك إذا أخبرتهم في مكتب الحي بأنك خطيبها وأنها طلبت إليك أن تحصل على النسخة من أجلها فلا أظن أنهم سيرفضون، خذ معك ما يثبت هويتك، فإذا قالوا لا، حسناً لا، لكن ابذل ما في وسعك».

«آه، حسناً سأحاول».

أعطى هونما هذه التوجيهات لجان وتوجه إلى البيت، كان يعاني من صداع شديد طوال طريق عودته بالقطار.

حوالي الساعة السابعة وعندما جاء جان ليقله كان الوضع متأزماً للغاية، وكأن ابنه ماكوتو قد تحول إلى قنبلة على وشك الانفجار، فقد علم بأن والده يخطط للخروج ثانية تلك الليلة. كان هونما يعرف بأن ماكوتو كان قلقاً أو بالأصح كان يشعر بالخوف، منذ وفاة والدته في حادث سيارة وهو على هذه الحال، فوالده هو كل ما تبقى له الآن وإن أصابه مكروه... كانت هذه الفكرة تصيبه بالذعر، ولم يكن يقبل بأن يقوم والده بأية مجازفات أو يواجه أي خطر مهما كان صغيراً.

لقد قرر هونما أن يصالحه عندما يجد الفرصة سانحة، إلا أن الوقت لم يكن مناسباً هذه الليلة. وبينما كان هونما يغادر دخل الصبي غرفته وأغلق الباب على نفسه.

وعندما ركب هونما السيارة قال له جان مباشرة: «أنا آسف لم أستطع الحصول على وثيقة الإقامة».

«إذا لقد كنت مخطئاً عندما قلت أنها قدمت طلباً للحصول على وثيقة إقامة جديدة من مونانتشو؟».

«لا، لقد رفضوا فوراً وقالوا إن كوني خطيبها لا يكفي. فأنا أحتاج إلى توكيل رسمي منها حتى أتمكن من الحصول على وثيقة الإقامة الخاصة بها».

هذا كثير من أجل طلب كهذا، ربما كان الموظف الذي وجده جان خلف النافذة نموذجاً حقيقياً للموظف الحكومي.

«هل كان لديها شريك سكن؟».

التفت جان إلى هونما في حين كانت يداه على المقود، ورمقه بنظرة استغراب: «أتقصد إن كان هناك شخص يسكن معها؟ لابد أنك تمزح».

«إذاً هل قابلت صاحب البيت الذي تستأجره؟».

«لإلقاء التحية فقط، فهي سيدة تعيش في الجوار، وكانت شوكو تتوقف لتتبادل معها الحديث في بعض الأحيان».

لا يبدو أن هناك أي تغيير. فشوكو سيكين التي يعرفها جان تعيش في شقة هونانتشو وهي تحمل الاسم نفسه منذ البداية وعلاقتها بمالكة الشقة جيدة، كما أنها مسجلة لتنتخب هناك. لكن ماذا لو كانت صاحبة الاسم الحقيقية قد باعتها سجلها العائلي؟ ربما حدث ذلك بعد أن أعلنت إفلاسها ولم تعد قادرة على إعالة نفسها. وماذا لو كانت قد باعته إلى سيدة في مثل عمرها ولكنها بحاجة إلى عائلة؟

والاحتمال البشع هو أن تكون شوكو سيكين الحقيقية قد ماتت، لم يكن هونما بالتأكيد يرغب في مناقشة أي من هذه الاحتمالات، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير بها، لذلك بقي صامتاً طوال الطريق، أما جان فلم يرفع رجله عن دواسة البنزين.

كان الجو بارداً داخل الشقة، مثل مزاج هونما.

الحمام على الجانب الأيسر من المدخل، وعلى اليمين مطبخ صغير. وفي المطبخ يوجد ثلاجة وخزانة وميكروويف وضع فوق طاولة ذات عجلات إلى جانب الحائط، أما المساحة المتبقية فلم تكن تكفي إلا لشخص واحد ليتحرك ضمنها.

كل شيء كان مرتباً وأنيقاً، حوض غسيل الأطباق كان يلمع من كثرة الفرك وقد وضعت في إحدى زواياه زجاجة شراب فارغة، من المؤكد أنها تركت هناك منذ أن جاء جان إلى هنا آخر مرة. عدا ذلك، لم يكن هناك أي شيء في غير محله، وقبل أن يغادر هونما المطبخ، دارت المروحة بسبب الهواء الخارجي دورتين ثم توقفت فلاحظ هونما أن شفراتها كانت تلمع.

كانت غرفة الجلوس بالنظافة نفسها، مستطيلة الشكل وعريضة، تكفي لأن تكون غرفة نوم أيضاً. في الخلف ومن جهة اليمين وضع سرير لشخص واحد وكان الغطاء قد فرش فوق الوسادة.

على الرف الذي فوق السرير، يمكنك أن ترى مصباحاً وكتابين من تلك الكتب ذات الأغلفة الورقية. الأول بعنوان «سافر وحدك إلى أمريكا». أما الثاني فقد كان «أفكار التسوق الأوروبية»، موضوعان مختلفان واتجاهان متعاكسان، وغلاف الكتاب الذي يتحدث عن أمريكا كان قد تمزق من كثرة الاستعمال. بجانب السرير تماماً وتحت النافذة هناك سلة المهملات الفارغة.

تحتوي الغرفة أيضاً على خزانة في الحائط بالإضافة إلى خزانة ملابس كبيرة الحجم ومكتبة. أما الهاتف اللاسلكي، فقد وضع فوق

طاولة صغيرة ذات أدراج ولها عجلات.

في إحدى الزوايا وفوق سجادة انتصب كرسيان وطاولة خشبية مستديرة، وبجانب الطاولة كانت هناك سلة من الخيزران فيها سترة صوفية لم تجهز بعد وكرات مختلفة من الصوف غرزت فيها إبر الحياكة.

«كانت تحيكها من أجلي، فمن المفترض أن نذهب للتزلج في الشهر القادم».

«وهل كانت تملك زلاجات».

أومأ جان برأسه: «إنها في الخارج، داخل صندوق على الشرفة».

فتح هوئما باب الشرفة، فوجد بجانب الحاجز الذي يفصل هذه الشرفة عن شرفة الشقة المجاورة – أي في المكان الذي من المفترض أن يبقى فارغاً لاستخدامه في حال حدوث حريق– واحداً من صناديق التخزين التي نراها في كتالوجات البضائع الذي تباع عبر البريد، وفي داخله زوجان جديدان من الزلاجات وحقيبة ضخمة جداً لأحذية التزلج، وكلاهما كانا مغلفين بأكياس بلاستيكية بشكل أنيق.

سأله هوئما: «منذ متى وأنتما تتزلجان؟».

«شوكو بدأت تتزلج في السنة ما قبل الماضية. أما بالنسبة لي، فأتزلج منذ أن كنت في المدرسة الثانوية».

«ومتى قامت بشراء كل هذه المعدات؟».

«في خلال السنتين الماضيتين أيضاً، اشترت في البداية ملابس التزلج، وعندما حصلت على مكافأة صيف وشتاء السنة الماضية أحضرت الزلاجات والأحذية. أنا أذكر هذا جيداً، فقد ذهبنا لشرائها

معاً». ثم أضاف بنبرة حزينة: «كانت دائماً تدفع نقداً، حتى ولو كان المتجر يشجع على استعمال بطاقة الائتمان».

بقي هونما صامتاً ولم يقل شيئاً، كان يتمنى أن يخبره بأن شوكو سيكين هذه ليست هي المرأة التي أفلست، وهذا يعني أنها لا تدعى شوكو، لكن الوقت لم يحن بعد. كانت الزلاجات من ماركة روزينولد والأحذية من سالمونز وكلتاهما ماركات مستوردة.

«أليست معدات التزلج هذه غالية الثمن؟».

انحنى جان ليلمس الكيس الذي وضع فيه الحذاء وقال:

«ليس إلى هذه الدرجة، وخصوصاً إذا كانت تصاميمها قديمة بعض الشيء، فالتصاميم الجديدة سترهقك إذا اشتريتها دفعة واحدة، لذلك من الأفضل أن تشتري شيئاً واحداً في كل مرة.... هذه الماركات ليست مكلفة بالنسبة لشخص مبتدئ. أظن أنها اشترت بدلة التزلج من كريسون».

وضع هونما الحذاء جانباً ونظر حوله فرأى صندوق معدات مقلوباً على جنبه وبالقرب منه زجاجة صغيرة عليها غطاء، وقد لفت بقطعة قماش وتصدر منها رائحة قوية.

قال جان وهو يحدق في الصندوق: «ما هذا؟».

«جازولين». وأعاد هونما الزجاجة إلى مكانها ثانية.

بعد أن وقف لخمس دقائق فقط خارجاً في هواء الليل، شعر هونما بأن أصابعه قد شلت. إن الحاجز الإضافي الذي ثبت على الدرابزين، من أجل الخصوصية على ما يبدو، كان يحجب أي شعاع للشمس ولم تكن هناك حبال لنشر الغسيل.

«كيف كانت تتدبر أمر الغسيل؟».

«كانت تذهب إلى مغسل الثياب فليس هناك متسع في الشقة لوضع غسالة ولا لتجفيف الغسيل، وبكل الأحوال بما أنها تعيش في الطابق الأرضي فهي لن تنشر ملابسها الداخلية على مرأى من الجميع».

عادا إلى الداخل، فسحب هونما كرسياً وجلس عليه ثم ألقى نظرة أخرى على المكان، لا الستائر ولا أي قطعة من الأثاث الداخلي كانت تبدو ذات جودة عالية، ما عدا خزانة الثياب التي بدت مصنوعة من خشب صلب ومن المؤكد أنها كلفت مبلغاً كبيراً، إنها شيء يدوم طويلاً، لذا من المحتمل أنها أقنعت نفسها بشرائها وقررت أن تتباهى هذه المرة فقط.

«كم تدفع من أجل الإيجار؟ هل أخبرتك؟».

رفع جان بصره عن السترة التي لم تجهز بعد والتي كان قد نشرها أمامه – كانت من دون أكمام– ونظر إلى هونما بانشداه، فأعاد هونما السؤال ثانية.

«آه.. حوالي ستين ألف ين».

«إنه رخيص».

لكنها شقة صغيرة ومظلمة، والأسوأ من هذا كله أن لا تكون معزولة جيداً، ولكن مع هذا إنها تقع في البلدة وهي جديدة إلى حد ما.

«من الواضح أن صاحبة الشقة قد بنتها على هذا الشكل كحيلة للتهرب من دفع الضرائب، فهي لا تستطيع أن تنفق عليها الكثير من المال وإلا ستجلب لنفسها مشكلة. لقد كانت شوكو فخورة نوعاً ما

لأنها وجدت شقة كهذه».

ثم نظر إلى هونما نظرة ارتياب وسأله: «ما الذي دفعك لتسأل هذا السؤال؟».

في هذه الأثناء كان هونما مشغولاً بخزانة الملابس فبعد من أن عاينها بدقة وعن قرب لاحظ وجود لطخة أو بالأحرى تغيراً في لون أحد المقابض، ربما قاموا بتخفيض سعرها لهذا السبب. يمكنك أن تلاحظ بوضوح أن الشخص المقيم في هذه الغرفة بارع في اصطياد الصفقات.

«هل لديك فكرة ما الذي أخذته معها؟».

جلس جان على السرير ونظر إلى الخزانة: «بعض الثياب وحقيبة بوسطن التي تستعملها في الرحلات دائماً ودليلها والختم».

«هذا كل شيء؟ هل أنت متأكد؟»

«بالطبع، إن شوكو تحتفظ بأغراضها الثمينة داخل علبة حلويات معدنية تحت سريرها». ثم انحنى للأسفل وأخرج علبة مربعة الشكل مكتوب عليها اسم محل حلويات مشهور في جينزا، لقد كانت فارغة، كل ما بقي كان عبارة عن ختم صغير باسم «سيكين».

هذا طبيعي فلا علاقة لها بهذا الاسم، حدث هونما نفسه، ثم قال لجان: «أود منك أن تجد لي ثلاثة أشياء، وأول شيء ألبوم صورها».

«سنجده في المكتبة على الأغلب».

«ثم كتاب المذكرات المدرسية السنوي الخاص بها».

«لماذا؟».

«هل رأيته من قبل؟».

أجفل جان ولم يجب.

«هل رأيته؟».

هز رأسه وقال: «لا، لقد قالت إنها لا تريد أن تتذكر الماضي أبداً، ولا حتى المكان الذي جاءت منه».

«لكن الانسان يحتفظ عادة بمثل هذه الأشياء، فهل تظن أنها ربما استأجرت مخزناً في مكان آخر؟».

«أنا متأكد أنها لم تفعل ذلك، فقبل كل شيء هي ليست بحاجة إليه، ثم إنها تعيش وحدها وليس لديها الكثير من المال، فقد كانت تعمل في شركة إيماي للآلات، صحيح؟ وهي تعيش على هذا المرتب وليست في وضع يمكنها من أن تدفع أجور أشياء إضافية».

«لا بأس، جد لي كتاب المذكرات السنوي أو أي شيء آخر من هذا القبيل».

«وما هو الشيء الثالث؟».

ثم نهض على قدميه واستند إلى الحائط كي يتوازن مثل شخص يمشي وعيناه مغلقتان، لم يكن يعلم ما الذي يخفيه هونما وإلى أين سيؤدي كل هذا.

«من المؤكد أنها تلقت بعض الأوراق من محاميها أو من المحكمة عندما أعلنت إفلاسها، فهل بإمكانك أن تلقي نظرة لترى ماالذي حل بهذه الأوراق؟».

تجعد فم جان عند الزوايا وكأنه رأى أن هذا أفضل من أي شي كان على وشك أن يقوله.

وفي نصف الساعة التالية، كان الرجلان يفتشان الغرفة المنظمة

بصمت. كانت هناك فراغات في الخزانة مكان الملابس التي أخرجت. وأخيراً استطاع جان أن يجد ألبوم الصور فقط، كان في المكان الذي عرف أنه سيجده فيه بالتحديد.

أما هونما فقد عثر على زجاجة عطر صغيرة وضعت خلف خزانة الكتب، ولما فتحها فوجئ برائحتها القوية. وإذا وضعت شوكو هذا العطر في مكتب إيماي، فإن الرجل المُسِّن سيصاب بنوبة.

سأل هونما والزجاجة في يده: «هل هذا هو العطر الذي كانت تستخدمه؟».

تجعد أنف جان: «لا، لم تستخدم يوماً مثل هذه الرائحة القوية، بل كان عطرها لطيفاً على شكل بخاخ صغير تحمله في حقيبة يدها».

أعاد هونما الزجاجة إلى خزانة الكتب. إنه وبالمختصر المفيد، مكان مريح ونظيف ويمكنك أن تستأجره كما هو بكل سهولة من دون أن تعيد ترتيب أي شيء.

لكنها اختفت، كان هونما يحدث نفسه، اختفت مثل العنكبوت، من دون أي أثر، تاركة شبكتها خلفها.

قال هونما لجان: «هذا يكفي اليوم، هل تمانع إن أخذت ألبوم الصور معي؟ سأعيده حالما أنتهي منه».

«وفي أي شيء تحتاج إليه؟».

«وهل يجب عليّ أن أشرح لك ما أفعله عند كل خطوة؟».

نظر إليه جان وقد وضع ألبوم الصور تحت ذراعه وقال:

«لكنها صور خطيبتي».

«من الأفضل أن تقول خطيبتي السرية، ألست أحاول مساعدتك

في إيجادها؟ ألست كذلك؟».

أصدر جان صوتاً كالشخير يدل على التذمر، إلا أنه سلمه ألبوم الصور مباشرة.

عندما تكلم جان هذه المرة كان صوته خافتاً وكئيباً: «ما الذي يجري هنا؟ أنت لم تلفظ اسم شوكو ولا حتى مرة واحدة طوال الوقت، لقد كنت تقول فقط «هي»، و«لها»».

«حقا؟».

«ولم أردت أن تفتش شقتها؟».

لم يجب هونما على السؤال بل خرج وأغلق الباب تاركاً جان وحده مع سؤاله في الشقة المظلمة، لكن السؤال الأهم كان: من الذي يسكن في هذه الشقة يا ترى؟.

## ✧ 7 ✧

كانت الساعة تشير إلى العاشرة عندما وصل هونما إلى البيت حاملاً ألبوم الصور. لقد كان منهكاً، فتوقف قليلاً ليرتاح في مدخل البناية، وتوقف مرة أخرى في الطابق الثالث، في منتصف الممر المؤدي إلى شقته. الغريب في الأمر أن باب الشقة الخارجي لم يكن مقفلاً. لقد اكتشف هذا عندما كان يدير المفتاح ليفتحه ليجد بأنه قد قام بقفله وعند المحاولة الثانية سمع صوت أقدام إيساكا وهو آت ليفتح له الباب من الداخل.

«هل أتيت لتحرس البيت؟».

«لقد تأخرت هيسي في حفلة رأس السنة وشعرت بالملل وحدي، لذا جئت لأشاهد التلفاز مع ولدك».

لقد بدا إيساكا مرتبكاً بعض الشيء.

في الحقيقة كان ماكوتو غاضباً جداً ولم يرغب إيساكا بتركه وحيداً.

أخفض هونما صوته: «آسف لكن هل سبب المشاكل؟».

هز إيساكا رأسه ونظر باتجاه غرفة ماكوتو: «إنه نائم، لقد أخبرني بأن لا أوقظه إطلاقاً عندما تعود إلى البيت».

ابتسم هونما بسأم وقال: «هذا الصبي... إنه مخبول».

كتم إيساكا ضحكته واتجه الاثنان نحو غرفة الجلوس حيث كان التلفاز لايزال يعمل، لكن عندما دخل هونما إلى هناك، قام إيساكا بإطفائه وأشعل الأضواء، ثم راح يتفحص هونما تماماً كما يفعل الخياط وهو يأخذ قياس الزبون: «هل كان يومك صعباً؟».

«لقد تجولت كثيراً ولفترة طويلة، تبدو الأمور خارجة عن السيطرة قليلاً».

وضع هونما ألبوم الصور على الطاولة فنظر إليه إيساكا بفضول ثم سأله:

«ما رأيك بكأس من الجعة؟».

لقد توقف هونما عن الشرب وعن التدخين منذ أن خرج من المستشفى، على الرغم من أنه كان مهملاً قليلاً في الفترة الأخيرة. عندما لا يتمكن من النوم فإن القليل من الكحول ستكون أفضل من الحبوب المنومة، لكن الليلة وبعد كل هذ التعب سينام حتى مساء الغد.

اقترح عليه إيساكا وهو يتجه نحو المطبخ: «هل أحضر بعض القهوة؟».

فقط أعط إيساكا مئزراً وضعه أمام موقد أو حامل صحون وسترى، إن هذا مكانه المفضل.

يعيش إيساكا مع زوجته هيسي في شقة بغرفتي نوم في الجهة الشرقية من الطابق الأرضي، ليس لهما أولاد. وقد بلغ الخمسين هذه السنة ولكنه يبدو أكبر من ذلك أما هيسي فهي في الثالثة والأربعين، أي أكبر من هونما بسنة واحدة ولكنها تبدو أصغر من عمرها بعشر

سنوات، وهي تدير مع إحدى صديقاتها مكتباً للتصميم الداخلي يقع في المنطقة الحديثة من البلدة، ويبدو أن عملها رائج جداً فهي لا ترتاح إلا في عطلة رأس السنة.

كان إيساكا يعمل في شركة معمارية تتعامل مع مكتب هيسي إلى أن بدأ الركود وقلت أعمال البناء، ولأن هيسي لاتزال قوية بالإضافة إلى أن لكليهما مدخرات فقد قررا أن يبقى إيساكا في البيت حتى تتحسن الأحوال، وهكذا أصبح إيساكا الزوج الذي يبقى في البيت. يتقاسمان الأعمال المنزلية دائماً، وهكذا لم يكن هناك أي شجار حول الترتيبات الجديدة، وبعد عدة أشهر اكتشف أنه يميل إلى القيام بأعمال البيت، فقرر أن يجعلها وظيفة له وبدوام كامل.

وهو الآن يقوم بأعمال التنظيف والغسيل من أجل أسرتين في المبنى المجاور، هذا بالإضافة إلى هونما، لكن ذلك لا يعني أنه وزوجته قد توقفا عن اقتسام الأعمال المنزلية بينهما وبالتساوي.

قال إيساكا وهو يصب القهوة: «لقد قال ماكوتو إنه غاضب لأن العم جان جاء إلى هنا وطلب منك أن تقوم «بخدمة حمقاء» من أجله».

ضحك هونما وهو يحك وجهه وقد وضع مرفقيه على مسندي الكرسي: «خدمة حمقاء بالفعل، إنها تجعلني عاجزاً عن التفكير».

عندما توفيت شيزوكو لم يتمكن هونما من أخذ إجازة طويلة من العمل، لذا كان مجبراً على ترك ماكوتو وحده، لكن إيساكا وزوجته عرضا عليه تقديم المساعدة والاعتناء بالصبي. وهكذا أصبحا يأخذانه إلى المدرسة صباحاً ثم يعيدانه في المساء، بل كانا يقومان بكل الأشياء

من أجله، وبفضلهما تمكن هونما وماكوتو من الإحساس بالحياة من جديد، لذلك كلما حدث أمر مع هونما، سواء في البيت أم في العمل، فإنك تراه يناقشه معهما. في الحقيقة، منذ دخوله إلى المستشفى أصبح هونما يعتمد عليهما أكثر فأكثر.

سأله إيساكا وهو يحرك معلقتي السكر اللتين وضعهما في الفنجان «ماذا هذه المرة؟ شخص مفقود؟».

هز هونما رأسه وقال: «إنها خطيبة جان، لقد تركته.. أو.. أعتقد أنه بإمكاننا أن نقول هذا».

«هل تقصد أنها.... أوه، من الأفضل أن تضع بعض السكر».

قال إيساكا ذلك قبل أن يتمكن هونما من شرب فنجانه.

«عندما تكون مرهقاً عليك أن تتناول قليلاً من السكر، أنا أقول هذا لهيسي دائماً. إن امتناعك عن السكر بسبب الحمية التي تتبعها وتناولك لتلك الفيتامينات عندما تشعر بالتعب سيجعلك تهلك نفسك، لا شيء أكثر فعالية منذ ذلك، عندما تكون متعباً فالسكر أفضل شيء».

وبعد هذه النصيحة الحكيمة تناول هونما قهوته الحلوة فكان مفعولها كالسحر، ربما لم تخفف من إرهاقه لكنها أراحت أعصابه بالفعل.

عاد إيساكا إلى الحديث السابق: «إذاً ماذا عن خطيبة جان؟».

أجاب هونما: «كائنة من كانت، مازلت غير متأكد من أي شيء، كما أن الأمور لا تبدو جيدة».

كان هونما يتكلم ببطء شارحاً ما يدور في رأسه. لقد أعاد سرد كل

أحداث اليوم موضحاً كيف أن الأشياء كانت تزداد غرابة وغموضاً، السيرة الذاتية المزيفة أولاً، ثم الصورة الشخصية المجهولة، وكان إيساكا يومئ برأسه مع كل عبارة.

قال هونما وهو يحك خلف رقبته: «يبدو الأمر لي وكأن شخصاً يستخدم اسم شخص آخر، وليس الاسم فقط بل لقد استعارت حياة هذا الشخص بكاملها إلى حد ما. لكن هذا الأمر ليس جديداً ففي عام 1955 انتحل رجل هوية أحد الأشخاص مستخدماً سجلاً عائلياً مسروقاً وقد حوكم بتهمة الاعتداء على حقوق الآخرين. لقد أحدثت هذه القضية ضجة كبيرة لأنها كانت الأولى من نوعها في اليابان، وللمرة الأولى تبرز الأهمية القانونية للهوية الشخصية في بلد يرتكز في كل شيء على العائلة».

حتى قدوم الاحتلال الأمريكي في أواخر عام 1940، لم يكن الفرد يتمتع بأية حقوق في اليابان. في الحقيقة، إن فكرة «الحقوق» بحد ذاتها كانت مستوردة من الغرب، وبدلاً من ذلك كانت العائلة دائماً هي المسؤولة أخلاقيا وقانونياً عن تصرفات أفرادها، وكل هذا الكلام حول عدم القيام بأعمال تسيء إلى سمعة العائلة كان أشد من مبادئ كونفوشيوس. وحتى في يومنا هذا إذا أمعنت النظر في الأمر، فستجد أنك لست شخصاً مستقلاً بذاته، بل أنت مجرد سطر جديد يضاف إلى سجل العائلة كلها. وهذا السجل يحفظ في الموطن الأصلي للعائلة ويكون ملكاً لأفرادها، ويدون فيه كل شيء يستجد فيها وبالتفصيل الولادات الجديدة وحالات الوفاة والزواج. فعندما تتزوج الفتاة يتم حذفها من سجل عائلة والديها ويوضع في سجل جديد يكون فيه

الزوج هو رب الأسرة.

إن هذه الوثائق وثائق رسمية وهي سرية، لكن في الحقيقة يمكن لأي فرد من العائلة أن يحصل عليها. فإذا كنت بحاجة إلى إثبات للهوية الشخصية، لنقل مثلاً، عندما تريد أن تتزوج أو في حال حصلت على ميراث، عندها يجب عليك أن تتوجه شخصياً إلى مكتب الحكومة المحلي وتطلب نسخة رسمية من السجل العائلي، وسيطلبون منك أن توقع على استلامها بختم مصدق عليه رسمياً ويحمل اسم العائلة، كل شيء قانوني وحسب الأصول.

بعد ذلك جاء الأمريكيون وطبقوا النظام الديمقراطي، إلى حد ما. ونتيجة لتطبيق قانون التصويت والانتخابات المحلية، أصبح من الضروري المواظبة على معرفة أحوال الناس. وهكذا فنحن بحاجة إلى نوع آخر من الوثائق وهو: وثيقة الإقامة، وهي وثيقة شخصية ومؤقتة. أي أنها تبقي سارية المفعول طالما ظللت تعيش في مكان ذي عنوان معروف ومحدد، غير أن هذا في الوقت نفسه لا يؤثر على عنوانك الدائم في مسقط رأسك.

وإذا أردت القيام ببعض الإجراءات الرسمية العادية مثل الحصول على بطاقة اشتراك في مكتبة، فأنت بحاجة إلى وثيقة الإقامة وليس للسجل العائلي. أما في حالة الإجراءات القانونية الأكثر تعقيداً فأنت بحاجة إلى الاثنين معاً. لكن إذا كنت تعيش في مكان بعيد، فالحصول على السجل العائلي بالطرق القانونية سيستغرق وقتاً طويلاً جداً، فالرجل الذي سرق السجل العائلي عام 1955 بقي بعيداً ولم يقم بأي تغييرات لأنه إذا فعل سيكشف أمره بالتأكيد عند نقطة معينة، لأن

الشخص الحقيقي أي صاحب السجل العائلي المسروق، إذا رأى أن وثيقة إقامته أو أي شيء آخر قد تغير، فسيعرف في الحال أن هناك خطأً ما. ولهذا السبب بقي ذلك الرجل مختبئاً ولم يغير شيئاً في الأوراق، أي أنه قام باستعارة الاسم فقط، وهذه هي نقطة الخلاف بينه وين شوكو سيكين «خطيبة جان».

إيساكا: «ليس مستغرباً هذه الأيام أن يقوم الناس ببيع وشراء سجلاتهم العائلية، أقصد مثل أولئك النساء من جنوب شرق آسيا اللواتي يتزوجن على الورق من رجل ياباني من أجل الحصول على تصريح عمل».

بدا واضحاً أن إيساكا كان سعيداً بنفسه لأنه فتح هذا الموضوع.

«هيه... دعنا نفكر في الموضوع، ما هي الغاية الأساسية من السجل العائلي؟».

«الناس في الغرب ليس لديهم سجل عائلي».

«هذه هي ! إنه موجود في اليابان فقط».

«وإن يكن، هذا لا يعني بأنه عديم الفائدة تماماً. إنه يساعد في الحد من بعض المشاكل».

«مثل ماذا؟»

«تعدد الزوجات». حاول هونما أن يكتم ضحكته وتابع يقول:

«أنت ترى ذلك طوال الوقت في الأفلام والروايات الأجنبية. هناك في أميركا كل ما يحصلون عليه هو شهادات الميلاد وعقود الزواج، وإذا افترضنا أنك ولدت وتزوجت وتوفيت في ثلاث مدن مختلفة، أي إن وثائقك ستتناثر عبر البلاد من دون أن يكون هناك أي مرجع

أساسي لها، وبما أن البلاد واسعة جداً فسيكون تعدد الزوجات أمراً ميسرا. أما هنا في اليابان فبنظرة واحدة على السجل العائلي نستطيع أن نكتشف ما إذا كان الشخص قد سبق له الزواج من قبل».

«أي ليس هناك مجال للخداع».

«لا، وأفضل شيء يمكن أن تقوم به هو أن تنقل سجلك هنا وهناك، وهكذا يصعب على الناس أن يكتشفوا أنك تزوجت من قبل».

«حسناً، لكن إذا كانت هذه هي الفائدة منه فقط، فمن الأفضل التخلص منه لأن مثل هذا النظام يشكل عبئاً ثقيلاً على الناس».

أجل، كما قال إيساكا، يجب أن تكون هناك طريقة أسهل، تدابير قانونية أقل تعقيداً لحماية خصوصية الناس من دون الحاجة لكل هذه الإجراءات المعقدة.

«أتفق معك في أن له مساوئ كثيرة، ولا داعي لذكر كل تلك الصعوبات التي واجهتنا في موضوع التبني أتذكر؟ لم يتم تطبيق القانون الخاص بالتبني إلا منذ خمس سنوات فقط».

لاحظ هونما أن إيساكا وافق على هذه المداخلة بإيماءة من رأسه، إلا أن وجهه كان خالياً من أي تعبير. إنه يحاول جاهداً أن يتصرف بعدم اكتراث.

إن ماكوتو لم يكن ابن هونما وشيزوكو الحقيقي، بل تبنياه عندما كان لايزال طفلاً صغيراً، وكان هذا قبل أن يسمح قانون التبني بعدم تسجيل اسمي الوالدين البيولجيين للطفل في سجل العائلة التي ستقوم بتبنيه.

إن البشر قساة القلب بالفطرة، ما إن يصادفوا شخصاً مختلفاً بعض

الشيء حتى يسارعوا إلى توجيه لكماتهم إليه، فعندما كان ماكوتو لايزال في دار الحضانة، انتشر الخبر بطريقة ما - يبدو أن إحدى المدرسات التي كانت قد رأت السجل همست بذلك في أذن صديقة أخرى، وهكذا لم يمض وقت طويل حتى بات الجميع يعرفون بمسألة التبني. كان الأولاد وقتها في سن الرابعة فقط ولذلك لم يهتموا، أما الأمهات فقد تصرفن بحماقة شديدة فانفعلت شيزوكو هي أيضاً بدورها وغضبت وشعرت بالكآبة لبعض الوقت.

عندها تناقش هونما وشيزوكو ودرسوا الأمر وقرروا بأنه مادام ماكوتو سيكتشف الأمر في النهاية، فالأفضل أن يخبراه به بنفسيهما عندما يبلغ الحادية عشرة كي لا يسمعه من أحد آخر، وبعد ذلك بثلاث سنوات فقد هونما شيزوكو، لكن مازال هناك سنتان.

قطع إيساكا سلسلة أفكار هونما وقال: «لا أظن أن تلك الفتاة، خطيبة جان، كانت على علم بأن شوكو سيكين مفلسة».

«ربما أصابتها الدهشة عندما عرفت أكثر من أي شخص آخر».

لا عجب أن لونها غدا أبيض كشرشف السرير، لقد كانت غلطة فادحة.

«لا بد أنها أدركت بأنه إذا بدأ الناس يبحثون في قضية الإفلاس هذه فسيكتشفون بأنها ليست شوكو ولهذا السبب هربت».

«وبأقصى سرعة».

قال إيساكا بهدوء وجدّية: «ولكن إلى أي جحيم توجهت».

«لقد انتابني هذا الشعور الرهيب نفسه، لكنني حتى الآن لم أعرف شيئاً عن وثيقة إقامتها».

«أخشى أن جان كان نزقاً بعض الشيء وربما فقد أعصابه عند نافذة الموظف في مكتب الحي».

لكن بما أن هونما لم يطلع جان على القصة كاملة، فهو لم يعرف كم كانت هذه المهمة ضرورية.

تابع إيساكا: «لم لا تجعل أحداً من مكتب التحقيق يحضرها لك؟ رئيس الفرع لن يدقق على طلب مثل هذا، صحيح؟ ولن ينتبه أحد، إنه أمر في غاية البساطة... إلا إذا كنت أنت لا تريد أن تلجأ إلى هذه الوسائل».

«لا، لأن.. حسناً... هذا تحقيق خاص وهو لا يزال ضمن حدود العاصمة طوكيو، وإذا انتشرت الأمور أبعد من ذلك فلن أكون قادراً على معالجة المسألة وحدي، وسألجأ إلى طلب المساعدة الإقليمية».

«ماذا لو ذهبت إلى السلطات وشرحت لهم المسألة، ألن يقدموا لك الدعم؟».

«لن يحدث هذا، فموظفو الحكومة شديدو التمسك بالنظام فيما يخص هذه الأشياء، ويجب عليهم أن يكونوا كذلك».

أسند إيساكا ذقنه على يده وأخذ يفكر ملياً: «ماذا لو جعلت فتاة بعمر شوكو سيكين نفسه تقريباً، تذهب وتقول بأنها هي شوكو، هل تظن أنهم سيتحققون من بطاقتها الشخصية؟».

هز هونما رأسه. «أشك في هذا.. لكن لا، لا يمكن التنبؤ بهذه الأمور».

ابتسم إيساكا ابتسامة خبيثة وقال: «حسن إذا، الأمر محسوم، سنجعل هيسي ترسل إحدى الفتيات اللواتي يعملن

معها في المكتب».

«لا، لا يمكننا أن نفعل هذا، إنها مجازفة كبيرة».

«هذه حالة طارئة، سأتحدث إلى هيسي».

غادر إيساكا حوالي الساعة الحادية عشرة، لكن هونما لم يكن قد شعر بالنعاس بعد فراح يتصفح ألبوم الصور، من الواضح أنه ليس لدى جان وخطيبته خبرة في التصوير، ثم إنهما معاً منذ سنة ونصف ومن المؤكد أنهما أخذا يلتقطان الصور منذ أن بدآ بالخروج معاً، لكن هذا الألبوم مملوء حتى النصف فقط، إما هذا.. وإما... أوقف هونما تقليب الصور. لدينا هنا شخص يعيش في قلق دائم مدعياً أنه شخص آخر، وهذا يتطلب حذراً مستمراً: لا تلتقط الصور، لا تترك أي دليل.

حتى دائرة معارفها الصغيرة كان لها معنى أيضاً، إنها شخص قد جهز نفسه للمعركة، فقد كانت مستعدة للهرب عند أي إحساس صغير بالخطر.

تذكر هونما زجاجة الغازولين التي كانت في الصندوق داخل شقة هونانتشو، إن صبياً مدللاً مثل جان لن يعرف بماذا يستخدم فهو لم يقم بأي من الأعمال المنزلية أبداً، أما هونما فقد عرف مباشرة، لقد رأى شيزوكو تستخدمه ذات مرة في إزالة الدهن عن مروحة المطبخ، لهذا السبب كانت الشفرات تلمع، من المؤكد أن خطيبة جان لم تتوقف لتنظيف المروحة قبل أن تهرب، بل كانت تقوم بتنظيف كل شيء بشكل روتيني، كل يوم.

لا تكون صداقات، ولا تترك أثراً.

ولكن ماذا لو جرت الأمور بشكل طبيعي وتزوجا؟

ماذا لو اكتشف أمرها بعد أن يكونا قد أسسا لحياة جديدة معاً، ماذا سيحدث عندها هل كانت ستهرب؟

الصورة الأخيرة في الألبوم كانت صورة كبيرة لوجهها وقد أخذت من مسافة قريبة، كانت واقفة أمام أبراج قلعة سندريلا داخل ديزني لاند في طوكيو. من المحتمل أن هذا كان موعدهما الأخير، وربما كان ذلك في عيد الميلاد الماضي أو عشية رأس السنة، كانت تبتسم، وقد ظهرت أسنانها جميلة ومستقيمة.

بدت له سيدة شابة شديدة الاهتمام بالتنظيف وبمظهرها الخارجي أيضاً، إنها تنظف أرض الشقة، وترتب المكتبة مستخدمة مفكاً من صندوق العدة، ثم تمسح شفرات مروحة المطبخ بخرقة منقوعة بالغازولين.

إن المنظف العادي يكفي، لكن لكي تجعلها في غاية النظافة، لاشيء أفضل من الغازولين، هذا ما كانت تقوله شيزوكو، وبعد أن سبب لها احمراراً في الجلد أصبحت تستخدم كمية وافرة من مرطب اليدين بعد الانتهاء منه. من الصعب أن تصدق بأن سيدة لديها البراعة نفسها التي كانت تتمتع بها شيزوكو في القيام بشؤون المنزل يمكن أن يكون لها ماضٍ ملوث.

فجأةً سمع هونما صوتاً يأتي من خلفه فأدار رأسه: «ماذا تفعل خارج السرير؟».

إنه ماكوتو وقد وقف هناك غاضباً مطرقاً في الأرض كأي طفل في العاشرة من عمره.

«إذا كنت ستتجول هنا وهناك ضع عليك بعض الثياب، هل أنت

ذاهب إلى الحمام؟».

ما زال ماكوتو لا يجيب.

قال هونما بصوت منخفض: «بماذا تفكر؟ لا أستطيع أن أخبرك شيئاً إذا بقيت مكشراً».

لم يكن هونما يسمع سوى صوت تنفس ماكوتو، أووه، لقد أصيب بالبرد ثانية، حدث هونما نفسه.

«لا تستطيع التنفس من أنفك، صحيح؟».

رمقه ماكوتو بنظرة مفادها: «أبداً، على الإطلاق».

«استمر بالوقوف هكذا حافي القدمين عشر دقائق أخرى وستصاب بالزكام».

أشار ماكوتو إلى كرسي بإيماءة من ذقنه وقال: «هل أستطيع الجلوس؟».

«أجل تفضل».

جلس ماكوتو على الكرسي واستدار نحو والده ثم قال له بغضب: «أين كنت؟».

«هنا وهناك».

أشار إلى ألبوم الصور «ما هذا؟».

«لقد استعرته من العم جان».

«ماذا طلب إليك العم جان أن تفعل؟ أهو شيء بهذه الأهمية حتى يدفعك للخروج وأنت لست بحال جيدة؟ ألم تعد بأنك ستبقى في البيت حتى تتحسن؟».

كانت كلماته تصبح أسرع وأسرع ثم تنتهي بدمدمة، لابد أن ماكوتو

قد أتعب رأسه الصغير بالتفكير عندما كان في السرير يخطط لقول كذا وكذا لكنه على الأغلب نسي كل شيء لحظة فتح فمه ليتكلم.

قال هونما بشكل مباشر: «أنا آسف، لقد نكثت بوعدي ولا يجدر بي أن أفعل هذا».

كان ماكوتو ينظر إليه بلا مبالاة.

تابع هونما: «لكن اسمع، إن العم جان في مأزق حقيقي، وهو بحاجة إلى شخص يمد له يد العون».

«لم يفعل العم جان أي شيء لمساعدتنا، فلماذا عليك أن تساعده؟ يبدو الأمر غريباً بعض الشيء بالنسبة لي».

إن ماكوتو على حق في هذا.

«هل تعتقد هذا حقا؟».

«أجل».

«إذا كانت الأمور تسير على هذا النحو فلن نقدم المساعدة لأي شخص».

هدأ الصبي قليلاً لكنه تظاهر بأنه يسعل ثم تابع احتجاجه: «لكن لمَ جاء إلينا؟ ألا يستطيع العم جان أن يطلب المساعدة من أحد آخر؟».

«مثل من؟».

«لم لم يذهب إلى الشرطة؟».

«الشرطة لن تحرك ساكناً في هذه المرحلة وأنا أعرف هذا صحيح؟».

بدأ ماكوتو يؤرجح رجليه وقد نفد صبره: «هل يبحث عن شخص ما؟».

«نعم».

«وهل صورة هذا الشخص موجودة في ألبوم الصور؟».

هز هونما رأسه.

«هل أستطيع أن أرى؟».

أراد ماكوتو أن يلقي نظرة على الشخص الذي جعل والده يخلف بوعده.

أراه هونما الصورة الأخيرة في الألبوم وقال: «هذه السيدة».

حدق الصبي في الصورة بانتباه شديد ثم قال: «هذه ديزني لاند، أليس كذلك؟».

«على الأرجح».

«إنها سيدة جميلة.. ها؟».

«أنت تظن ذلك أيضاً؟».

«ما رأيك أنت يا أبي؟».

«حسناً، طبعاً إنها جميلة.

«أنا متأكد بأن العم جان يجدها رائعة».

«هذا مؤكد».

«وهل هربت منه؟».

فكر هونما للحظة ثم قال: «هذه ليست طريقة جيدة لوصف الموضوع».

أطرق ماكوتو في الأرض وعاد يؤرجح رجليه، لقد ذهب مزاجه السيئ.

«أتعلم... اليوم»..

«ماذا؟».

«لقد ضاع بلوك هيد».

لقد أصبح دماغ هونما غير قادر على تجميع المعلومات، إنها تمر عبر جمجمته فحسب.

«ماذا؟».

«ضاع بلوك هيد، لم يرجع إلى بيت كازي الليلة الماضية. أتظن أن أحداً قد أخذه؟».

بلوك هيد هو كلب عائلة كازي، إنه كلب مهجن وجده ماكوتو وكازي في أثناء لعبهما في الحديقة، لقد أراد ماكوتو الاحتفاظ به لكن هونما لم يسمح له، فاقتناء الحيوانات أمر غير مسموح به في المبنى الذي يعيشون فيه، هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن يريد أن يزيد من أعباء إيساكا، غير أن كازي نجح بإقناع والديه بالسماح لبلوك هيد، كما أطلقوا عليه بعد ذلك، بالبقاء معهم على أن يأخذه ماكوتو في نزهة من وقت لآخر.

«لقد كبر بلوك هيد الآن وهو يحتاج في بعض الأحيان إلى قضاء ليتلتين أو ثلاثاً في الخارج».

إن بلوك هيد في الحقيقة كلب بالغ، لكنه مازال صغير الحجم، لدرجة أنه يمكنك أن تلتقطه بيد واحدة. ربما تجري فيه دماء كلب من نوع صغير، وهذا يفسر طبيعته أيضاً فهو مسالم جداً ويركض حتى نحو الأشخاص الغرباء. وعلى الرغم من كل المحاولات لتعليمه أبسط الحركات كالمصافحة أو التدحرج فهو مازال لا يستطيع أو لا يريد أن يتعلم، ومن هنا جاء اسمه «بلوك هيد» أي «البليد». إن كلباً مثل هذا

يمكن لأي شخص مارٍ في الطريق أن يقوده بعيداً.

«لا داعي للقلق، اعطه بعض الوقت فقط وسيعود غداً في الصباح الباكر على الأرجح».

إذا هذا هو سبب انزعاج ماكوتو. من المؤكد أنه كان قلقاً لأن والده خرج يتجول ماشياً على رجله المصابة، لكنه في الوقت نفسه كان بحاجة إلى أحد يتعاطف معه في مسألة الكلب.

«وإذا لم يرجع، هل أستطيع الذهاب للبحث عنه؟».

«لا أرى مانعاً في هذا؟».

ثم بعد لحظات: «أبي، أنت قلق من أجل صديقة العم جان؟».

«طبعاً أنا قلق».

«وأنا قلق على بلوك هيد أيضاً، لكن لا ترهق نفسك كثيراً كي لا تتصل بك تلك السيدة من مركز العلاج الفيزيائي ثانية، اتفقنا؟».

إن علاج هونما الفيزيائي كان مكثفاً جداً، فعندما تغيَّب عن إحدى الجلسات، اتصلت به المعالجة الفيزيائية ووبخته من أجل ذلك، إن مثل هذه الأمور تشوه صورة الأب.

«أجل أعدك بذلك».

ضحك ماكوتو في نفسه وهو ينزل عن الكرسي لكنه ضرب بمرفقه ألبوم الصور وألقى به على الأرض، فأفلتت منه صورة، التقطها هونما بسرعة فإذا بها صورة فورية لأحد البيوت، التقطت من الأمام وملأت الإطار كله.

سأل الصبي وهو يمط عنقه ليرى «ما هذا؟».

كان بيتاً فاخراً من بيوت الضواحي ومبنياً على الطراز الغربي،

جدرانه بنية بلون الشوكولا، والنوافذ والأبواب محاطة بزخرفة بيضاء، وقد اصطفت أحواض الزهور إلى جانبي المدخل. أما السقف المائل، فقد انحدر بعناية فائقة فبدا وكأنه قبعة نسائية.

في المقدمة ترى سيدتين تعبران الصورة من اليمين إلى اليسار. ويبدو أن كلتيهما كانتا تعرفان بوجود الكاميرا في أثناء مرورهما من أمام البيت، فإحداهما كانت تنظر للكاميرا مباشرة أما الثانية فقد أدارت رأسها ورفعت يدها قليلاً فبدت وكأنها تلوح. كل منهما كانت ترتدي تنورة زرقاء اللون وسترة ملائمة تحتها قميص أبيض بأكمام طويلة مع ربطة عنق بلون أحمر داكن، إنها ثياب العمل الرسمية على الأغلب.

بيت وسيدتان، وعدا ذلك ظهر جزء من السماء الزرقاء في الزاوية العليا اليسرى من الصورة، هذا بالإضافة إلى شيء ما يشبه برجاً معدنياً لم يظهر إلا جزء صغير منه. غير أن هونما استطاع بعد برهة أن يميز هويته: إنها أضواء ملعب بيسبول.

فتح هونما ألبوم الصور ثانية فاكتشف أن الصورة سقطت من جيب في الغلاف الداخلي. فقد كان هذا الجيب مخصصاً لحفظ مسودات الصور مما يفسر عدم رؤيته لهذه الصورة من قبل.

بعد أن رجع ماكوتو إلى سريره جلس هونما يحدق في الصورة، منظر أمامي لأحد البيوت، هذا كل شيء، وفجأة تمر سيدتان من أمامه، إما أن يكون هذا ما حدث أو أنهما وقفتا أمام الكاميرا عن قصد. لكن لا، من الواضح أن البيت هو موضوع الصورة، إذا لم احتفظت بها، هل هذا بيتها؟ إن كان كذلك، فربما يكون مفتاحاً لحل اللغز، لكن ماذا عن مجموعة المصابيح هذه؟ هل يقع البيت إلى جانب الملعب؟ إنه أنيق

جداً بالنسبة للمكان، كم عدد الملاعب الموجودة في اليابان على كل حال؟

قرر هونما أن يحتفظ بصورة البيت مع الصورة القريبة لوجه خطيبة جان، لذلك وضعها داخل دفتر ملاحظاته، وفي هذه الأثناء كانت ساعة الحائط في غرفة ماكوتو تدق معلنة حلول منتصف الليل.

# ✧ 8 ✧

في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، وصلت هيسي ومعها النسخ المطلوبة من السجل العائلي ووثيقة الإقامة. لقد احمرّ خداها بسبب البرد القارس، وبقي نفسها معلقاً في الهواء بلون أبيض كلون حذاء الرياضة الذي كانت ترتديه. وبالنسبة لشخص يقود سيارة أودي حمراء اللون ويتحمل نفقات الدفع لسكرتيرة وثلاثة مصممين فإن ملابسها لم تكن رسمية إلى حد ما.

قالت وهي تنزع عنها سترتها الصفراء كلون الخردل: «لقد ذهبت راي التي تعمل في المكتب وحصلت عليها. هذا صحيح، يمكنك فقط أن تذهب إلى هناك وتقول «هذا أنا» لا شيء أبسط من هذا».

ما إن رأت هونما عن قرب في المطبخ حتى صاحت: «يا إلهي، إنك تبدو مثل أسير حرب تم إنقاذه من مكان ما».

حدث هونما نفسه وهو يفرك ذقنه، إنه ربما سيبدو أفضل قليلاً، إن هو حلق ذقنه لكنه لم يكن يشعر بسوء إطلاقاً هذا اليوم: «هل أبدو متعباً إلى هذه الدرجة؟».

«لا، ليس تعباً بل على العكس تماماً، أنت تبدو أصغر بعدة سنوات، يجب أن تكون قد اكتفيت من البقاء حبيساً في هذا المكان».

أضاف إيساكا الذي كان يمشي في المدخل حاملاً بيده مكنسة

صغيرة: «خصوصاً بعد أن تذوق طعم الحياة في الخارج».

«أجل هذا صحيح، إن الحياة الوحيدة التي أعيشها في الخارج هي «الغواصات».

«ماذا؟».

«أتعرفين آلات رفع الأثقال، إنهم يجعلونك تستخدمينها في مركز التأهيل».

قالت هيسي وقد بدت لا تعرف شيئاً عن الموضوع: «أوه، ويسمونهم بعد ذلك وحوشاً؟».

ثم أخرجت من حقيبتها الكبيرة الحجم وثيقة إقامة موضوعة داخل ملف رسمي ووضعتها على الطاولة إلى جانب نسخة طبق الأصل من السجل العائلي وقالت: «ها هي، تحقق بنفسك، كل ما طلبت».

كانت شوكو سيكين قد سجلت في وثيقة إقامة هونانتشو، بطبيعة الحال، على أنها مقيمة وحيدة.

- رب الأسرة: شوكو سيكين.
- العنوان: هونانتشو 5–4–3 حي سو غيناي – طوكيو.
- المقيم «1».
- الاسم والشهرة: شوكو سيكين.
- تاريخ الميلاد: 14– 9 – 1964.
- الجنس: أنثى.
- العلاقة: رب الأسرة.
- السجل العائلي: هونانتشو 3–4–5، سوغينامي، طوكيو.

انتقلت بتاريخ 1 – نيسان 1990 من مينا ميماتشي 2 –5 –2 مدينة

كاواجوتشي – سايتاما.

هذا يعني أن الانتقال من كاواجوتشي تم بعد زيارة شوكو لمكتب المحامي ميزوجوتشي قبل سنتين في الخامس والعشرين من كانون الثاني، وقد بدأت عملها الجديد في شركة إيماي في هذه الفترة نفسها أيضاً. وهكذا من المحتمل أن التغيير في الهوية قد حدث قبل نيسان 1990.

«إن السجل العائلي يقول إنها ولدت في أوتسونوميا، لكنها كتبت في السيرة الذاتية أن عنوانها الدائم في طوكيو... وهكذا ستظن أنها تقصد عنوانها الجديد الذي سجلته عندما انتقلت. لكن انظر، لم يكن هذا هو السبب، لقد أنشأت السجل العائلي الخاص بها:

- المسكن: هونانتشو 3 –4 –5، سوغينامي –طوكيو.
- صاحب التسجيل الأساسي: الآنسة شوكو سيكين.
- تفاصيل التسجيل: تم إنشاؤه في 1 – 4 – 1990.
- المعلومات الشخصية: ولدت في 14 – 9 –1964 في آيتشوزاكاتشو – اوتسونوميا.

سجلت من قبل والدها في 20 – 9 – 1964.

حذفت من السجل العائلي الخاص بشوجي سيكين: آيتشوزاكاتشو 2001.

أوتسوناميا في 1 – 4 – 1990.

- الأب: السيد / شوجي سيكين / متوفى.
- الأم: السيدة / يوشيكو سيكين / متوفاة.

- صلة القرابة: ابنة.
- الاسم: شوكو.
- تاريخ الميلاد: 14 – 9 – 1964.

ولحسن الحظ، بما أن هذا اقتضى إنشاء سجل عائلي جديد وليس فقط نقل السجل القديم إلى مكتب حكومي مختلف، لذلك فإن القائمة الرسمية للعناوين تضمنت العنوان الأخير فقط:

- العنوان: هونانتشو 3 – 4 – 5 سوغينامي – طوكيو.
- تاريخ الإقامة: 1 – 4 – 1990.
- الاسم: شوكو.

كان هذا كل شيء. إن الغاية من قائمة العناوين كان التحقق من أماكن السكن التي دونها رب الأسرة فقط، لذلك فإن سجل أوتسونوميا الخاص بوالدها لم يكن مرفقاً.

ليس عليك سوى أن تلقي نظرة على الملف المحفوظ باسم والدها وسوف يريك كل شيء، بما في ذلك العناوين الجديدة التي استخدمتها شوكو سيكين الحقيقية في كل مرة انتقلت فيها وحصلت على وثيقة إقامة جديدة، قبل أن تأتي تلك الفتاة التي انتحلت شخصيتها وتنشىء سجلاً عائلياً خاصاً.

إن العنوان الأخير في تلك العناوين يجب أن يكون: ميناميماتشي 2 – 5 – 2 مدينة كاواجوتشي – محافظة سايتاما، حيث كانت تعيش شوكو سيكين الحقيقية عندما كانت تعمل في نادي لاهاينا الليلي، وذهبت لتسأل ميزوجوتشي إن كان بإمكانها الحصول على مبلغ التأمين الخاص بوالدتها.

بينما كان هونما جالساً يتأمل الوثائق، شعر بقشعريرة تسري في ذراعيه.

قالت هيسي بهدوء: «ربما كنت أبالغ لكن»...

«ماذا؟»

«إنه شيء غريب، فتلك الفتاة لم تكتف بسرقة سجل شوكو سيكين، بل كان هدفها منذ البداية أن تجعل كل شيء ملكاً لها».

«تقصدين قيامها بإنشاء سجل عائلي جديد؟».

كان لدى هونما الإحساس نفسه بوجود شيء ما.

تابعت هيسي: «وهناك أيضاً ذلك البند (متوفى) بجانب اسم كل من والدها ووالدتها، يجب أن تسأل عن الموضوع لتتأكد».

سأل إيساكا: «حقا؟».

«بالطبع، أنا أعرف هذا لأنهم عندما توفيت والدتي سألوني إن كنت أريد أن أضيف كلمة (متوفاة) إلى جانب اسمها أم لا».

قطب هونما جبينه وبقي محدقاً في الأوراق وتابعت هيسي:

«لكن لم فعلت كل هذا يا ترى؟ أهي مسألة شخصية؟ لكنها الشخص الوحيد المدون في السجل، أو ربما أرادت أن تقطع كل العلاقات مع والدي شخص آخر، أو... أوه أظن أني بالغت كثيراً أليس كذلك يا عزيزي؟».

هذا السؤال الأخير كان موجهاً لزوجها.

نظر هونما إلى كلمة (متوفى) مرة أخرى، إن ما قالته هيسي يبدو منطقياً جداً. فهذا السجل العائلي خاص بشخص ما وبوالديه، ربما تكون اشترته أو سرقته، لكنها وبكل الأحوال نجحت في ذلك

وجعلت الأمر يبدو حقيقياً.

قال إيساكا: «فكر بالأمر، إنها ليست مسألة سهلة أن يقوم شخص بأخذ مكان شخص غريب عنه تماماً».

كان كتفا إيساكا المتهدلان يوحيان بأنه هو الآخر يشعر بالقلق.

«ليس سهلاً على الإطلاق، ولكنه ليس مستحيلاً إذا قمت به بالشكل الصحيح».

«ومع ذلك، ضع السجل العائلي جانباً.... إذا كنت تعمل فهذا يعني أنك انضممت إلى برنامج التأمين الصحي ونظام التقاعد، صحيح؟ وهذه كلها منظمة وفق قاعدة حماية محلية.

إن التأمين الصحي في هذه الأيام، أو على الأقل ذلك النوع الذي يقدمه رب العمل، يعتمد على الاسم والعنوان الذي دونته في السيرة الذاتية التي قدمتها عند البدء بالوظيفة، فإذا تركت العمل سيتم حذفك أتوماتيكيا من البرنامج وستنضم ثانية عندما تبدأ بالعمل في مكان جديد، وفي آخر يوم لك في العمل عليك أن تسلم بطاقة التأمين، وهكذا فإنه من الصعب جداً أن تتنقل مستخدماً بطاقة شخص آخر وهذا بدوره يعني أنه لا حاجة للتدقيق العميق».

لاحظت هيسي أن زوجها ينظر إليها مستغرباً فأومأت له وقالت: «إن راي تقوم بكل ما يتعلق بالأوراق الخاصة بمكتبنا، نحن لا نعرف شيئاً عن هذا الموضوع».

تابع هونما: «إن كنت مشتركاً في التأمين الصحي الوطني بدلاً من أي برنامج صحي آخر مقدم من قبل صاحب العمل، فهذا يعتمد على وثيقة الإقامة، وعندما تنتقل وتتسجل في عنوانك الجديد، عليك أن

تثبت بأنك انسحبت من البرنامج السابق – سواء كان التأمين الصحي الوطني أو أي نوع آخر. والأمر ذاته ينطبق على صندوق معاشات التقاعد أيضاً، ومرة أخرى، التدقيق غير ضروري.

ورغم أنه من المفروض على كل شخص أن يتسجل في برنامج التقاعد الوطني لكن الكثير من الناس لم يفعلوا».

حدق إيساكا في الوثائق في حين تابع هونما حديثه:

«عندما كانت شوكو سيكين الحقيقية تعيش في كاواغوتشي، كانت تعمل في نادٍ ليلي، لذا وعلى الأغلب أنها كانت تملك بطاقة التأمين الصحي الوطني وليس تأميناً آخر. وعندما بدأت شوكو المزيفة العمل لدى مكتب إيماي كان عليها أن تحصل على بطاقة تأمين جديدة، وكل ما كان عليها القيام به هو أن تأخذ البطاقة إلى مكتب البلدية في كاواغوتشي وتقول: (لقد استلمت عملاً وأريد أن ألغي بطاقة التأمين الصحي الوطني)، عندها سيقومون ببعض الإجراءات البسيطة ويقارنون الحسابات ثم يلغون عقد التأمين. بضع كلمات مهذبة وانقضى الأمر».

«إم م»...

«المهم في الأمر هو أنه عندما تدخل سيدة إلى مكتب البلدية وتقول: (أريد أن ألغي بطاقة التأمين الوطني) فإنهم لن يقارنوا الشخص الواقف أمامهم بصورة موجودة لديهم في أحد الملفات، لن يشك أحد بشيء، ليس عليك إلا أن تأخذ صورتك مع بطاقة التأمين وانتهى الأمر. طالما أنه لا يوجد تناقض واضح في العمر أو الجنس فهذا يعني أن بإمكان أي شخص أن يذهب إلى هناك مدعياً أنه يحمل الأوراق الصحيحة ويقول

(هذا أنا ) ثم ينفذون طلبه خلال دقائق.

والأمر نفسه يحدث عندما تريد إنشاء سجل عائلي جديد، وعندما تتزوج، أو عندما تقدم طلباً لاستخراج وثيقة إقامة جديدة في حال غيرت عنوانك. كلها الشيء نفسه.

ربما ينظرون في الأوراق التي بحوزتك، لكنهم لن يلقوا على وجهك ولو نظرة خاطفة، وستبقى في أمان إلا في حال واحدة: أن يقوم الشخص الحقيقي بإثارة المشاكل».

كان إيساكا مستغرقاً في تفكير عميق، لقد بدا وكأنه يبحث عن خلل ما في خطة هذه السيدة.

«ماذا لو كان لدى الشخص تأمين على حياته الشخصية؟ ألن يتحققوا من الأمر؟ وعندها سوف يكتشفون أنه ليس الشخص نفسه صاحب بوليصة التأمين؟ ثم إن الموظفين الذين يعملون في تلك الأماكن لديهم ذاكرة جيدة للوجوه، أليسوا كذلك؟».

فكر هونما قليلاً ثم هز رأسه وقال: «إن معظم دفعات التأمين، في هذه الأيام، تقتطع بشكل أوتوماتيكي من الحساب البنكي، فكل ما عليك فعله هو الرجوع إلى كشف الحساب لتتأكد بأن الدفعات تقتطع بانتظام. وحتى في حال انتهت مدة صلاحية البوليصة فبإمكانك تجديدها بالطريقة نفسها، ولن تحتاج أبداً إلى أن تقابل مندوب شركة التأمين. وبكل الأحوال، أي مندوب هذا الذي سيتذكر وجه أحد العملاء بعد عشر أو خمس عشرة سنة ؟».

هزت هيسي رأسها موافقة وقالت: «وإذا غيرت رأيك فبإمكانك أن تلغي بوليصة تأمينك، طبعاً هذا لن يعجب المندوب وربما سيحاول

أن يناقشك في الموضوع، لكن طالما إنك تملك الوثائق المطلوبة فلن يتحقق من قصتك إطلاقاً».

نظر هونما إليها وقال: «بقيت مشكلة واحدة، مكتب التوظيف».

حسب ما قالت الفتاة التي تعمل في مكتب إيماي، فإن شوكو سيكين قالت إنها كانت تعمل بدوام جزئي فقط إلى أن تسجلت في مكتب التوظيف في نيسان 1990.

لكن هذا الكلام لا ينطبق مع ما قاله المحامي لهونما.

«قال ميزوجوتشي إن شوكو سيكين الحقيقية كانت تعمل بدوام كامل في شركة كاساي التجارية سنة 1983، وبعد ذلك بسبعة أعوام عندما بدأت السيدة، التي تظاهرت بأنها شوكو، العمل في مكتب إيماي وذهبت إلى نافذة الموظفين الجدد في مكتب التوظيف العام، لا يمكن أن يكونوا قد تحققوا من شيء وإلا لكانت قد حدثت مشكلة».

«أستطيع أن أطلب من أحد الأشخاص الذين يعملون معنا أن يتصل ويتأكد، مع أنني أشك أن يتخطى الأمر مسألة الاسم ورقم التسجيل. لكن ومع ذلك، أتساءل كيف يمكن لشخص أن يقول إن هذه هي المرة الأولى التي يعمل فيها ثم ينجو بفعلته؟».

لكن إذا استطعت أن تجعل مكتب التوظيف يتأكد إن كان لديه ملفان لشوكو سيكين واحدة مولودة في 14–9 – 1962 عندها سيثبت ذلك أن هناك ثمة تغيير.

مهما بلغت درجة نسيان الناس، لا يمكن لأحد أن ينسى إن كان قد عمل في وظيفة ما من قبل.

سألت هيسي: «متى تركت شوكو سيكين الحقيقية العمل

في شركة كاساي؟».

«ربما بعد أن أعلنت إفلاسها مباشرة، لا بد أن الدائنين قد مارسوا الكثير من الضغط عليها، لذا كان من الصعب عليها أن تبقى».

«أي أنها تركت العمل في بدايات عام 1986 تقريباً، هذا جيد، فمكتب التوظيف يحتفظ بالبيانات الموجودة لديه لسبعة أعوام. لقد أخبرني بذلك ذات مرة أحد أصدقائي وهو يعمل محاسباً».

بينما كان هونما يدون ما قالته هيسي، صفق إيساكا بيده فجأة وضحك قائلاً: «هيه، ماذا عن جواز السفر ورخصة القيادة؟ إنها مرفقة بصورة شخصية أليس كذلك؟ وينبغي أن تظهر إن كان هناك أي تبديل صحيح؟».

بقي هونما صامتاً لذلك كررت هيسي سؤال زوجها: «هل تحقق قريبك جان كوريساكا من هذا الأمر؟»

«لا، لم يفعل بعد».

كان إيساكا على حق، لكن إذا كانت شوكو سيكين الحقيقية تملك رخصة قيادة، فلا بد أن خطيبة جان ادعت بأنها لا تقود سيارة. إن رخصة القيادة هي آخر شيء يمكن أن تحتاج إليه والأمر ذاته بالنسبة لجواز السفر، فلا بد أن خطيبة جان لم تخطط لقضاء شهر العسل خارج البلاد.

مجرد صورة صغيرة وستنكشف اللعبة.

قال هونما وهو ينقر بإصبعه على العنوان الموجود في وثيقة الإقامة:

«سأذهب للبحث في كاواجوتشي، آخر مكان نعرف أن شوكو

الحقيقية كانت تعيش فيه، ربما يفيدنا بشيء أن نعرف كيف كانت تعيش في ذلك الوقت».

نظرت هيسي إلى زوجها: «في الليلة الماضية، عندما سمعت بهذه القصة، خطرت لي فكرة مريعة..».

دقق إيساكا في وجهها: «مريعة؟».

سألها هونما: «أتقصدين حول ما حدث منذ سنتين؟».

عبست هيسي قليلاً ثم قالت: «لقد توفيت والدة شوكو سيكين، صحيح؟ وهكذا أصبحت نقود تأمينها جاهزة».

أكمل إيساكا: «وإذا كانت شوكو قد قررت أن تحصل على هذا المال»..

قال هونما وهو يبعد كرسيه عن الطاولة ليقف على قدميه: «لا، ليس هذا فقط، المال ليس هدفها الوحيد فعائلة سيكين مؤلفة من أم وابنتها، وعندما تموت الأم لن يتبقى لشوكو أي شخص يعتني بها».

من أبرز الصفات التي تميز هذه الفتاة هي قلة علاقاتها، أي أنها فتاة يمكن أن تختفي من دون أن يسعى أحد لإيجادها.

يالها من مصادفة، إن ما اقترحته هيسي هو تماماً ما كان هونما يفكر به طوال الليلة الماضية. أولاً العائلة التي من حولها، ثم هي نفسها.

نهضت هيسي وقالت لزوجها: «ربما من الأفضل أن تنهي التنظيف وبعدها نستطيع أن نتناول الطعام معاً، اتفقنا؟ وفي هذه الأثناء سأوصله إلى المحطة».

إن اللون الذي كان وجهها يشع به عندما وصلت قد تلاشى الآن.

## ✧ 9 ✧

مجمع كاواجوتشي السكني كان عبارة عن بناية قديمة بأربعة طوابق وفيها محلان صغيران في الطابق الأرضي، كتبت أسماؤهما على لوحات معلقة في الواجهة. أحد المحلين كان متجراً للبقالة يلمع من شدة النظافة، ومن الواضح أنهم قاموا بتجديده حديثاً. أما الآخر فكان مقهى يدعى باتشوس، وهو يطل على العالم من خلال نوافذ ملونة وقذرة.

بعد إلقاء نظرة سريعة على المكان لم يتمكن هونما من أن يتبين مكان الشخص المسؤول عن البناية، وعلى الرغم من أن الولد الجالس خلف طاولة الحساب في محل البقالة بدا ذكياً، إلا أن هونما قرر أن يبدأ من باتشوس.

إن معظم الموظفين إما أن يكونوا أشخاصاً يذهبون إلى الفراش في وقت متأخر أو أنهم لا يحبون التعاطي مع أحد، ولهذا فهم ليسوا مصدراً جيداً للحصول على المعلومات وخاصة حول ما يحدث في حيهم.

ذات مرة وإثر قضية سطو مسلح، عرج هونما على عدة متاجر في المنطقة لكن العاملين هناك بالكاد استطاعوا تذكر وجه أي أحد من الزبائن، ناهيك عن الأحداث التي جرت في الشارع.

كان الباب مفتوحاً، غير أنَّ لوحة تحمل كلمة (مغلق) لاتزال معلقة عليه. دخل هونما فوجد خلف الطاولة فتاة شابة ورجلاً في منتصف العمر يضحكان معاً وقد غطت رغوة الصابون أيديهما حتى المرفقين.

قال الرجل بصوت حاد: «آسف، فنحن لم نفتح بعد». ومسح وجهه بأحد معصميه فترك خطاً من الرغوة البيضاء فوق شاربه المشذب بعناية.

وقف هونما بجانب الباب وراح يشرح له أنه يبحث عن شخص ما يمكن أن يعرف سيدة كانت تعيش في هذه البناية، وسأله إن كان بإمكانه أن يخبره أين يمكن أن يجد المالك أو سمسار العقارات.

«أنا مالك البناية». ثم جفف الرجل يده بمنشفة وخرج من وراء الطاولة تاركاً بقية الصحون للفتاة.

«قلت إنها كانت تعيش هنا، منذ متى كان ذلك؟».

«سنة 1990، أي السنة ما قبل الماضية، أنا متأكد إلى حد ما من أنها كانت لاتزال تعيش هنا في نيسان الماضي في الشقة رقم 401 اسمها شوكو سيكين وكانت تعمل في حانة».

ضاقت عينا الرجل عندما كان ينظر إلى هونما نظرة فاحصة: «إنك تعرف الكثير عنها فهل أنت قريب الآنسة شوكو سيكين يا سيدي؟».

راح هونما يشرح القصة المعروفة والرجل يهز برأسه طوال الوقت، ثم التفت إلى الفتاة التي تغسل الصحون وقال: «أكيمي، اذهبي واستدعي والدتك وأخبريها بأن تحضر معها ملفات الشقق، افعلي ذلك في الحال».

«أوه حسناً».

خرجت الفتاة من وراء الطاولة وإذا بها ترتدي تنورة قصيرة رائعة تكشف عن ساقين بالروعة نفسها. لو لم يكن هونما قد استنتج مسبقاً بأنهما أب وابنته لكانت خطرت بباله أفكار سيئة.

جلس الرجل وقال مشيراً إلى كرسي قريب: «تفضل بالجلوس».

أخرج سيجارة من جيبه وأشعلها في حين كان هونما يقدم له بطاقته، عندها أخذ الرجل يتفقد جيوبه كلها عدة مرات لكنه لم يجد علبة بطاقاته، فقال والسيجارة تهتز بين شفتيه: «تخيل لو أنني في الخارج».

«أعتذر لإزعاجك، لابد أنه يجب عليك أن تستعد لفتح المقهى».

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة صباحاً.

ابتسم الرجل وهز رأسه: «إننا نفتح مساء، لدينا كاراأوكي وكل شيء».

إن هذا المقهى الصغير يبدو مثل حانة، والرفوف التي توضع عليها الكؤوس كانت قديمة جداً وسطح الطاولة أسود قاتماً وفي إحدى الزوايا وضعوا ستارة، ربما كانوا يضعون وراءها المعدات الموسيقية.

«هل تذكر شيئاً عن هذه الآنسة شوكو سيكين؟».

«حسناً، دعنا نرى... في الحقيقة أنا لا أهتم كثيراً بأمور الشقق، لقد تركت هذه المسألة لزوجتي. ستكون هنا بعد لحظات».

في تلك اللحظة عادت ابنته أكيمي، فأطلت من باب في الجهة الخلفية للمقهى وصاحت:

«أبي، لقد طلبت إليَّ أن أحضره إليها فقد أوشكت أن تقفز من

مكانها عندما أخبرتها بأنه قريب للآنسة سيكين».

كانت نوبوكو تجلس في مكتب ذي مساحة صغيرة محاطة بدفاتر الحسابات. تمتلك العائلة عقارين آخرين للإيجار إلى جانب هذا المبنى، وكانت السيدة كونو تقوم بإدارتها كلها.

قام كونو بإيصال هونما إلى مكتب زوجته وانسحب، إنه رجل هادئ لكنه خجول بعض الشيء.

حالما بدآ بالحديث، أخرجت نوبوكو صندوقاً ورقياً بحجم صندوق البرتقال تقريباً وقد طبع عليه اسم شركة روزالين وإلى جانب الاسم شعار على شكل وردة زهرية اللون.

«لقد احتفظت بهذا طوال الوقت، لم أعرف ماذا أفعل به». وربتت على أعلى الصندوق.

«الآنسة سيكين تركت كل هذه الأشياء وراءها عندما انتقلت، لكني لا أستطيع أن أرمي أشياء أحد آخر».

«أي نوع من الأشياء هي؟».

رفعت نوبوكو حاجبيها الجميلين، ولم تكن قد رسمتهما: «في الواقع لقد تركت كل ممتلكاتها عندما ذهبت، كل شيء».

انحنى هونما للأمام: «رحلت من دون أن تقول شيئاً؟».

«لقد تركت ملاحظة قالت فيها إنها لا تملك شيئاً سوى الحظ السيئ، ولهذا ستغادر طوكيو لتبدأ من جديد وطلبت مني أن أتخلص من أغراضها، حسناً، سأخبرك شيئاً، إنني أعمل هنا منذ وقت طويل لكن للمرة الأولى أصادف مستأجراً يفعل هذا».

«هل أخذت حقيبة السفر فحسب؟».

«أعتقد هذا، لا أعرف».

«إذا أنت لم ترينها؟».

«لا، فنحن لا نعيش هنا في هذه البناية. لكن في صباح اليوم الذي غادرت فيه وجدت مغلفاً محشوراً في علبة البريد مع مفتاح الغرفة».

«متى كان ذلك؟».

سحبت نوبوكو مجلداً مليئاً بالأوراق وقد كتب على ظهره بقلم رصاص (سجل إيجارات كاواجوتشي) وقالت: «كان هذا منذ سنتين، سنة 1990، يا إلهي من الصعب التصديق بأن كل هذا الوقت قد انقضى».

كانت شوكو سيكين قد ذهبت لرؤية المحامي في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني في تلك السنة، والفتاة التي انتحلت شخصيتها وصلت إلى مكتب إيماي واستأجرت شقة هونانتشو في شهر نيسان.

وقد تم إصدار السجل العائلي الجديد في الأول من نيسان، فإما أن تكون الاثنتان قامتا بتغيير مكانيهما أو أن شوكو سيكين الحقيقية اختفت.

«كان ذلك في آذار، أليس كذلك؟».

أخذت نوبوكو تقرأ في الملف بسرعة ثم هزت رأسها وقالت: «هذا صحيح في 18 آذار، كان يوم أحد وفي صباح ذلك اليوم، كما قلت لك، وجدت رسالتها».

لقد غادرت هذا المكان في يوم سبت، ابتعدت وحدها تاركة وراءها أثاث منزلها وجميع ممتلكاتها، من دون أن تقول كلمة واحدة

لصاحبة البيت.

«هل أستطيع أن ألقي نظرة على تلك الرسالة».

«آسفة، لم يخطر لي أن أحتفظ بها».

حسناً، هذا ليس مفاجئاً جداً، حدث هو نما نفسه.

«هل كانت من ذلك الصنف من المستأجرين الذين يمكن أن تتوقعي قيامهم بهذا التصرف؟ هل كانت فوضوية، أو»...

أمالت نوبوكو رأسها فبدت وكأنها تتعمق في ذكرياتها: «لا، ليس تماماً وهذا ما أدهشني، أقصد أنها أحياناً كانت تضع القمامة في الخارج ليلاً، أو تصدر ضجة عالية وهي تصعد الدرج عندما ترجع إلى البيت في وقت متأخر، لكنها أمور تافهة».

«هل كانت تدفع الإيجار في وقته؟».

«أجل، كل شهر ومن دون تأخير».

«لقد كانت تعمل في أحد النوادي الليلية على ما أظن، فهل سبب هذا أية مشاكل عندما انتقلت للسكن هنا؟».

ابتسمت نوبوكو، فظهرت خطوط الضحك حول عينيها مما جعل وجهها يبدو أكثر جمالاً.

«إن كنت سأقلق بسبب أمور كهذه فلن أحصل على أي مستأجر، إننا نأخذ مقدماً إيجار ثلاثة أشهر ونوقع عقداً صارماً، لذا فنحن لا نمانع ما يفعله المستأجرون في البيت أو في العمل، ولكن ضمن الحدود».

إن للسيدة كونو مظهر سيدات الأعمال، ولم تكن تضع أية مساحيق تجميل، لكن يبدو أنها لم تكن مدركة لمدى جاذبيتها.

«لا، كانت فتاة جيدة ومستأجرة مثالية حقاً، لقد كانت تلقي التحية كلما تقابلنا».

لكنها اختفت من دون سابق إنذار، وتركت خلفها كل ما تملك وهذا لا يمكن أن يكون مؤشراً جيداً.

إذا كانت شوكو الحقيقية قد باعت سجل عائلتها فلماذا اختفت؟ على الأقل كان بمقدورها أن تقول شيئاً لصاحبة البيت.

آخر مرة تواجدت فيها شوكو سيكين في هذا المكان كانت بتاريخ 17 آذار منذ سنتين، ثم وفي الشهر التالي مباشرة بدأت امرأة مختلفة حياة جديدة في هونانتشو تحت الاسم نفسه.

بدأ هونما يشعر بالارتباك ولما لاحظ أن نوبوكو تنظر إليه قرر أن يسألها عن صندوق الورق.

«أيمكنني إلقاء نظرة؟».

«أجل، بالطبع». فوضعت الصندوق على الطاولة وفتحته ثم قالت: «لقد بعت بعض الأثاث ورميت الباقي لكن هذه الأشياء».

لم يكن هناك الكثير من الأشياء، ثلاثة أشرطة تسجيل، خمسة أزواج رخيصة من أقراط الأذن وعلبة فيها دبوس زينة بالإضافة إلى دفتر حسابات عادي، دونت بعض الملاحظات على صفحة واحدة منه فقط، وبطاقة التأمين الصحي الوطني وقد انتهت صلاحيتها في 31 – 3 – 1990 وقد حملت عنوان هذه الشقة. كان في العلبة أيضاً بطاقة اشتراك في مركز للتجميل لكنها كانت قد تجعدت، واثنان من الكتب الورقية الغلاف، وكلاهما من الروايات التاريخية. بالمختصر: كل الموجودات كانت غير مهمة.

«ماذا يوجد على أشرطة التسجيل؟».

«موسيقى على ما أعتقد، لقد جربتها ابنتي ذات مرة وبدت وكأنها سجلت عن الراديو، هذا ما قالته».

بخلاف ذلك كان يوجد بضع أوراق مبعثرة، نشرة إعلانية من مشفى طوكيو بعنوان (إلى مرضانا) وفي داخلها فاتورة مطوية ومحررة باسم شوكو سيكين بتاريخ 7 –7 – 1988 من أجل استشارة طبية ولم تكن بتلك الأهمية لولا رقم الهاتف المدون على الهامش بقلم حبر.

قال هونما مشيراً إلى الرقم: «هل جربت الاتصال بهذا الرقم؟».

أومأت نوبوكو قائلة: «في الحقيقة، نعم فقد ظننت أنه يمكن أن يكون رقم أحد أصدقائها».

«ثم؟».

ربتت برفق على الصندوق وقالت: «هذا ما توصلت إليه».

«ماذا؟»

«روزالين، إنها شركة تبيع البضائع عبر البريد. أعتقد أن الآنسة سيكين وجدت بالصدفة إعلاناً للشركة في غرفة الانتظار في المستشفى فقامت بتدوين رقم الشركة، وربما طلبت إليهم بعد ذلك أن يرسلوا لها كاتالوجاً»

ألقى هونما نظرة أخرى على الصندوق وقال: «هل هذا اسم شركة بيع عن طريق البريد؟».

«أجل، لكن لا أظن أنها تهم الرجال كثيراً، فهم يبيعون الألبسة الداخلية النسائية والجوارب وما إلى ذلك».

«الألبسة الداخلية؟».

قالت ضاحكة: «وتعرف أيضاً بالملابس الداخلية».

تحت كتيب المستشفى كان هناك إعلان ملون لمقبرة ( مقبرة البستان الأخضر ) في أوتسونوميا.

قالت نوبوكو وكأنها كانت تقرأ أفكار هونما: «ربما كانت تخطط لشراء قبر من أجل والدتها».

«إذاً أنت تعرفين بموت والدتها؟».

«طبعاً، لقد كفلتها والدتها عندما انتقلت إلى هنا، ولهذا شعرت الآنسة سيكين أن عليها أن تخبرني بأن والدتها قد ماتت».

«توفيت في حادث حسب ما أذكر؟».

قالت نوبوكو وقد بدت حزينة بعض الشيء: «قالوا إنها سقطت عن السلالم بالقرب من بيتها».

«في أوتسونوميا؟».

«أجل، كانت والدتها تعيش هناك وحدها، وكانت لاتزال تعمل وبصحة جيدة تماماً».

«وهل حزنت الآنسة سيكين لموت أمها؟».

«حسناً، لقد كانت تلك صدمة كبيرة لها، على الرغم من أن علاقتهما لم تكن جيدة في أغلب الأحيان».

ذلك لا يحدث فرقاً، حدث هونما نفسه، فإذا لم تكن شوكو سيكين الحقيقية قريبة من والدتها ولم تكن لديها النية في الرجوع إلى بلدتها إطلاقاً، فلماذا اختارت أن تعيش هنا في كاواجوتشي حيث لا تحتاج سوى إلى تغيير قطار واحد فقط لتصل إليها؟ لقد قال جان إنها لم تكن تحب التحدث عن بلدتها، لكن تلك كانت شوكو المزيفة التي لم تكن

تريد أن تقترب من أوتسونوميا.

أعاد هونما الأشياء إلى الصندوق وسألها:

«هل يمكنك الاحتفاظ بها لبعض الوقت؟».

«بكل تأكيد، لكن أتمنى أن تخبرني في حال وجدتها».

«بالطبع سأفعل».

تفحصت نوبوكو محتويات الصندوق بحركة سريعة بإصبعها وقالت:

«أهذا كل شيء؟».

فكر هونما قليلاً ثم سألها: «هل أستطيع استعارة أشرطة التسجيل؟».

«تفضل، فربما تستحق الاستماع إليها».

ثم خطر لهونما أن يسأل، ليكون متأكداً. «ألم تجدي صوراً قديمة في شقتها؟ أو أي شيء مثل كتاب المذكرات المدرسي؟»

هزت نوبوكو رأسها وقالت: «لا، لو أني وجدتها لكنت احتفظت بها، لكنني أظن أن الصور هي من الأشياء التي يأخذها الشخص معه إذا كان مغادراً على عجل، مهما كانت الظروف ألا تظن هذا؟».

«أجل». ثم طلب منها أن تسمح له بتدوين عنوان والدة شوكو الموجود لديها في الملف.

«بالمناسبة، هل يمكن أن يكون لديك صورة للآنسة سيكين؟».

«لا أعتقد، فنحن لا نحتك كثيراً بالمستأجرين».

«هل تعرفين إن كانت تربطها علاقة جيدة مع أيّ أحد آخر من السكان؟».

فكرت نوبوكو ملياً: «لكن لا أحد من السكان الموجودين حالياً كان موجوداً في ذلك الوقت، لقد حصلنا على عدد لا بأس به من المستأجرين».

الفضل يعود إلى مهارتها في الإدارة من دون شك، فكلما كثر المستاجرون زادت المبالغ المودعة.

«هل حاولت الاتصال بالمكان الذي كانت تعمل فيه بعد أن اختفت؟ أعتقد أن اسمه كان لاهاينا وهو ناد ليلي في شيمباشي».

قطبت نوبوكو جبينها وقالت: «أجل لقد فعلت ذلك لكنهم كانوا متفاجئين مثلي، لقد قالوا: «ماذا؟ لقد رحلت؟»».

«ولم تظهر بعد ذلك».

«صحيح، جاء يوم الاثنين وليس هناك خبر عنها، لقد اتصلوا بي فهي لم تأخذ كامل أجرها».

اضطرب هونما ثانية، لا مجال للخطأ الآن، إن شوكو سيكين لم تختف لأسباب خاصة بها، بل لقد أجبرت على ذلك.

«هل كان لديها أصدقاء رجال يمرون لزيارتها؟».

قال هونما ذلك متلعثماً بكلماته، من المؤكد أن الصديق الحميم يعرف شيئاً ما.

«إننا لا نراقب المستأجرين، أليس من الأفضل أن تسأل في الحانة حيث كانت تعمل؟».

ثم نهضت بسرعة واتجهت نحو الباب الذي ترك مفتوحاً، وبينما كانا يخرجان قالت له: «يبدو أنك تتألم. هل تعاني من التهاب المفاصل؟».

«لا، لقد تعرضت لحادث».

«وعلى الرغم من هذا خرجت لتبحث عنها بنفسك؟ لم لا تبلغ الشرطة فحسب؟ أليس إيجاد الناس المفقودين هو عملهم؟».

ابتسم هونما بملل وقال: «متأكد أنهم سيقومون بإيجادها إذا طلبت منهم ذلك... لكن لا بأس سيكون كل شيء على ما يرام».

عند دخولهما المقهى وجدا الزوج مازال وراء الطاولة يصنع القهوة، أما البنت فكانت تنظف النوافذ. الآن وقد اجتمع أفراد العائلة الثلاثة معاً قرر هونما أن يسأل سؤالاً أخيراً، فأخرج الصورة وقال: «هل رأى أحدكم هذه المرأة من قبل؟ في خلال فترة إقامة السيدة سيكين هنا؟».

نظرت نوبوكو أولاً إلى صورة ( خطيبة جان ) ثم أكيمي وأخيراً السيد كونو وهزوا رؤوسهم الهزة الخفيفة نفسها كل في دوره، إن طريقتهم في التعبير متشابهة جداً، لقد بدا واضحاً أنهم عائلة واحدة.

«حسن، أشكركم على كل حال».

وهو في طريقه إلى البيت بعد ظهر ذلك اليوم، توقف هونما أمام المحطة لكي يكبر الصورة. ألقى الشاب الذي يعمل في محل التصوير نظرة على البيت البني بلون الشوكولا وقال بتثاقل: «ما المفترض بهذا أن يكون؟».

«لهذا السبب أريد أن أكبر الصورة، كي أكتشف ذلك».

«حقاً؟ إذاً هل تريدني أن أعيد لك الصورة الأصلية الآن؟ أستطيع أن أرجعها خلال ثلاثين دقيقة، أما الصورة الكبيرة فستكون جاهزة بعد غد».

«رائع، يمكنني الانتظار لنصف ساعة».

الكرسي في محل التصوير كان صغيراً بالإضافة إلى أن أرجله تهتز. وبينما كان هونما ينتظر لم يدخل أي زبون، كان يشعر بالبرد وعدم الراحة وفجأة ومن دون تفكير، خرج من المحل واتجه إلى هاتف عمومي في آخر الشارع وطلب رقم ميزوجوتشي، فأجاب صوت نسائي، لابد أنها الآنسة سواجي الخبيرة في الأدب.

لم يكن المحامي موجوداً، لقد سافر في عمل لعدة أيام.

«سيعود بعد غد».

«أود مقابلته إن أمكن، هل أستطيع الحصول على موعد؟».

صمتت للحظات ثم قالت: «أنا آسفة، إن جدول مواعيده ممتلىء».

تنهد هونما «فهمت».

لكن لم يبدو عليه أنه مستعد للاستسلام.

ضحكت الآنسة سواجي: «إن السيد ميزوجوتشي يتناول طعام الغداء في المكان نفسه دائماً، إنه مطعم للمعكرونة بالقرب من المكتب، لم لا تحاول أن تقابله هناك؟ سيكون لديك حوالي ثلاثين دقيقة لتتكلم معه».

المطعم يدعى ناغاس، دون هونما العنوان ثم شكرها وأغلق الخط، في هذه الأثناء كان الشاب من محل التصوير قد خرج يبحث عنه.

عندما وصل هونما إلى البيت كانت الساعة تشير إلى الثالثة. إيساكا لم يكن هناك، لابد أنه ذهب إلى شقة أخرى أو خرج للتسوق.

وضع القليل من الماء ليغليه من أجل صنع فنجان من القهوة وجلس

على أحد كراسي المطبخ يفكر في خطوته التالية.

جرب الاتصال بمكتب التحقيق، ولم يتخيل أنهم سيجيبون بسرعة، لكنه كان متأكداً بأن الشخص الذي أراده لم يكن موجوداً، لذا قام بالرد على الهاتف محقق من قسم آخر.

ارتبك هونما قليلاً لدى سماعه آخر الأخبار ثم أغلق الخط وجلس يشرب قهوته. أعادوا الاتصال به بعد عشرين دقيقة، لكنه لم يترك الهاتف يكمل رنته فالتقط السماعة بسرعة ليسمع صوتاً أجش يقول: «هيه، لقد رددت بسرعة! أنت تتكلم من المقبرة أليس كذلك؟»

إنه سادو فوناكي، كان مع هونما في الصف نفسه في كلية الشرطة، لكن عندما بدآ حياتهما المهنية ذهب كل واحد منهما باتجاه إلى أن نقل فوناكي منذ سنتين إلى قسم العمليات، الباب المجاور تماماً لمكتب هونما في القيادة العامة.

«قيل لي إنك اتصلت لذلك عاودت الاتصال، لا أستطيع التحدث وحولي كل هذه الآذان المصغية، إذا ما الأخبار؟».

كان فوناكي رجلاً قصير القامة غير أنه قوي البنية ولا مشكلة لديه في أن يتكلم كلاماً قذراً بصوت عال. تعمل عائلته بالتجارة في طوكيو منذ أجيال، في بيع الهياكل البوذية في الجهة الشرقية من المنطقة التجارية.

«أعتذر لأني أزعجتك فأنا أعرف كم أنت مشغول، لكني أريد أن أطلب منك خدمة».

ضحك فوناكي بصوت خشن: «سأضعها على حسابك بكل بساطة، وسأجعلك تسدد عندما تعود إلى العمل».

«اتفقنا، لكن تأكد من تنفيذ طلبي أولاً، هل تعتقد أنك قادر على تنفيذه بوجود رئيس القسم؟».

«لا مشكلة في هذا، ذلك المسّن الخسيس لا يلاحظ أي شيء يحدث من حوله، فما الذي تريده مني؟ أن أسرق بنكا؟».

«لا لا، بل بعض الوثائق من مكتب التوظيف العام وكوة وثيقة الإقامة في مكتب الحي».

قرأ هونما لفوناكي تاريخ ميلاد شوكو سيكين وعنوانها ثم تابع يقول: «ما أريده هو أوراق توظيفها، وإن لم أكن مخطئاً ستجد أن الشخص نفسه قد تسجل مرتين في مكتب التوظيف على أنه يعمل للمرة الأولى ولحساب شركتين مختلفتين».

«ماذا؟ وما هي أسماء هاتين الشركتين؟».

أخبره هونما بأنها شركة إيماي وشركة كاساي التجارية، فدون فوناكي اسميهما وعنوانيهما من دون الحاجة إلى إعادة أي منها، كان دائماً سريعاً نوعاً ما.

«وما الذي تحتاج إليه من مكتب الحي؟».

«وثيقة إلغاء للسجل العائلي للشخص نفسه، وأريد نسخة إضافية من طلب الإلغاء أيضاً».

قرأ هونما العنوان الدائم لشوكو سيكين في أوتسونوميا قبل الإلغاء.

أخفض فوناكي صوته قليلاً وقال: «إن طلبك صعب بعض الشيء، لكن هل أنت قادر على العمل؟ كنت أعتقد أن المعالجة الفيزيائية طلبت منك عدم النزول إلى الشارع».

«إنها خدمة أقوم بها لأجل قريبي، لقد طلب مني أن أقتفي أثر أحد الأشخاص، وماكنت لجأت إليك لولا هذا، لكن تبين أن هناك أمراً غامضا في المسألة».

«ماذا تعني؟»

ثم سمعه هونما يأخذ نفساً عميقاً: «هل تبدو وكأنها قضية كبيرة؟».

«أجل».

«إذاً عد إلى هنا، لم لا تعود؟ فكر جيداً ووفر على نفسك الجهد، لماذا ترهق نفسك بالعمل وحدك؟».

«هذا كل شيء، ليس لديَّ الكثير من المعلومات حتى الآن، لكني أريد فقط أن يبقى الموضوع سرياً في الوقت الحاضر».

«هل أخبرك أحد من قبل بأنك شخص عنيد؟».

«أنا آسف، قم بما طلبته منك فحسب».

سمع بعد ذلك صوتاً يشبه الخشخشة فعرف أن فوناكي يحك رأسه وهي إشارة واضحة على أنه استسلم.

«حسناً، حسناً أنا فقط آمل أنك عندما قلت ( قريبي ) لم تكن تقصد ماكوتو».

كان فوناكي بمثابة العم المحب لهذا الصبي.

«لا لا، ليس هو، إنه أحد أقربائي من بعيد، في الواقع إنه ولد ابن عم شيزوكو، هل لديك أية فكرة ماذا يدعونه؟».

«هل تسألني أنا؟».

وكان على وشك أن يغلق الخط لكن هونما عاجله بسؤال آخر:

«هل ذهبت لرؤية ذلك الشخص مدبر الزيجات مؤخراً ؟».

في الحقيقة كان فوناكي قد بلغ الثانية والأربعين من عمره لكنه مازال أعزب ولايزال يحاول من وقت لآخر إيجاد زوجة مناسبة.

انفجر فوناكي ضاحكا: «أجل طبعاً، ذهبت الأحد الماضي، لقد رتب لي موعداً مع تلك الأرملة، إن لديها ولداً في الحادية والعشرين من عمره فقط لا أكثر».

«وأنت رأيت أنها جيدة؟».

«وكيف عرفت؟».

«من نبرة صوتك».

«كاذب، إن صوتي هو نعيب الغراب القديم نفسه كما في السابق».

وفجأة أصبحت لهجته جادة: «هيه، قلت إنك تحاول أن تقتفي أثر أحدهم».

«نعم».

«أهي سيدة؟».

«ألم يكن هذا واضحاً جداً؟ نعم، لكن»...

«أهي حية؟»

صمت هونما قليلاً وكأنه يقول، لقد كان فوناكي ذكياً جداً، إن ثمانية أو تسعة احتمالات من عشرة تقول إن شوكو الحقيقية قد ماتت، لكن الوقت مبكر جداً لنحدد إن كانت قد قتلت أم لا. الشيء الوحيد الأكيد هو أن تلك المرأة التي تحمل اسمها لاتزال على قيد الحياة في مكان ما.

قال هونما بهدوء محدثاً نفسه. «إنها على قيد الحياة، هذا أكيد وسوف أجدها».

ساد الصمت على الخط للحظات إلى أن قال فوناكي أخيراً: «اعتن بنفسك». وأغلق الخط.

وضع هونما الهاتف جانباً وجلس في مكانه لبعض الوقت مستنداً إلى الطاولة ثم بذل جهداً كبيراً، ليقف على قدميه ويذهب إلى غرفة ماكوتو لاستعارة آلة التسجيل الخاصة به ليجرب أشرطة شوكو سيكين.

كان الشريط يحتوي على أربعين أغنية من تلك الأكثر شيوعاً، أغاني حب في أغلبها، ألحان منسية تماماً، وبينما كان يستمع أُغلقت عيناه. إن وجه نوبوكو كان آخر شيء ومض خلف جفونه.

# ✧ 10 ✧

للمرة الثانية يأتي جان بعد أن تجاوزت الساعة التاسعة، وكالعادة، كان مزاجه سيئاً بعض الشيء. فهل لأنه يرزح تحت ضغط العمل إلى هذه الدرجة، أم أنه وببساطة لا يستطيع أن يغادر إلا بعد أن يذهب مديره إلى البيت؟ على أيّة حال، لم يكن قد نزع معطفه بعد عندما قال فجأة: «ما الذي تريدنا أن نتحدث به؟».

تردد هونما قليلاً فقد كان يخطط لما يجب عليه أن يقوله:

«اجلس، فهذا سيستغرق بعض الوقت».

«هل هي شوكو؟ هل وجدتها؟».

هز هونما رأسه: «الأمور لا تبدو على ما يرام، يجب عليك أن تجلس».

لكن يبدو أن جان لم يفهم بعد: «لقد كنا نبالغ قليلاً أليس كذلك؟».

«أنا لم أقل هذا».

«حسناً حسناً، هات ما عندك، لا أرى سبباً لهذه المطمطة».

في هذه الأثناء كان ماكوتو في غرفته مشغولاً بألعاب الكمبيوتر، وبين الحين والآخر كنت تستطيع سماع الأصوات الصادرة عن اللعبة. وفي الوقت نفسه كان صوت محرك الثلاجة في المطبخ يصدر

هديراً منتظماً، فبدت هذه الأصوات كلها موسيقى مرافقة لهونما وهو يكشف قصة شوكو كاملة أمام جان، خطوة خطوة، السيرة الذاتية المزيفة ثم سجلها العائلي ووثيقة إقامتها، وفي أثناء ذلك كان هونما قد فرش الوثائق على الطاولة، أما جان فقد خلا وجهه من أي تعبير وأصبح كما لو أنه وضع قناعاً لكن بعينين حقيقيتين، وعندما بدأ يتكلم تفاجأ هونما من شدة تأثره.

قال جان بصوت متقطع كما لو أنه كان يحبس أنفاسه طوال الوقت: «يبدو الأمر لي وكأنه دعابة».

«لسوء الحظ هذه هي الحقيقة».

بدأ جان يضحك ويهز يديه نصف المفتوحتين: «هل تظن أنني سأصدق هذا؟ أن شوكو ليست شوكو؟ هذه سخافة!».

أدرك هونما أن أي شيء سيقوله في الوقت الحاضر لن ينفع.

قال جان بغضب: «نحن نتكلم عن الفتاة التي سأتزوجها».

أجابه هونما بهدوء وبلهجة حذرة: «ربما هي كذلك. ولكنها ليست شوكو سيكين، إنها شخص آخر كلياً ولهذا لم تكن تعرف بأمر الإفلاس الذي حدث من حوالي خمس سنوات».

لو أنها كانت على علم بذلك، لما سمحت لجان أن يستخرج لها بطاقة ائتمان مهما ألح عليها.

«لقد ذهبت إلى شقة كاواجوتشي اليوم ولم أجد أية أوراق هناك، لا يوجد أي دليل. بالنسبة لها الإفلاس لم يحدث أبداً. إن خطيبتك لم تر أي شيء يتعلق به ولم تكن لديها أدنى فكرة عنه».

ربما تكون شوكو سيكين الحقيقية قد تخلصت من كل المستندات

على اعتبار أنها ذكريات سيئة.

«لابد أن هذا كله شكل صدمة بالنسبة إليك، أنا أعلم، لكن بعد أن وصلت إلى هذه النتائج أظن أنني سأكمل البحث لأعرف إلى أين سيقودنا كل هذا».

توقف هونما ونظر إلى جان، كانت عيناه قد جمدتا.

«ماذا تنوي أن تفعل؟ هل توافقني في هذا؟ سأحتاج إلى مساعدتك حقاً، فأنت تعرفها جيداً سأكون بحاجة إلى كل أنواع التفاصيل مهما كانت صغيرة».

مرت دقيقة تقريباً قبل أن يجيب جان: «أنا... لا أعرف شيئاً».

كان كومبيوتر ماكوتو مايزال يصرصر ويبقبق مخترقاً السكون الذي حدث.

فجأة رفع جان رأسه ونظر إلى هونما مباشرة ولأول مرة: «آه لقد فهمت».

«فهمت ماذا؟».

«كانت هذه فكرة شوكو!».

عادت عينا جان إلى الحياة أخيراً وتفجر غضبه الخامد: «فهمت، لقد وجدت شوكو وقد طلبت إليك أن لا تخبرني. أليس كذلك؟ شوكو تريد أن تقطع علاقتها بي ولهذا طلبت منك أن تقوم بكل هذا الهرج والمرج لابد أنها وجدت شخصاً آخر فاخترعت هذه القصة، أنا لست أحمق لهذه الدرجة».

انحنى إلى الأمام وضرب الطاولة بقوة فرمى صحن السجائر على الأرض.

توقفت الضجة الصادرة من غرفة ماكوتو، ثم فتح الباب وأطل منه رأس صغير. في هذه الأثناء نهض هونما على قدميه وأمسك بذراع جان «أتعتقد هذا حقاً؟»

رجع جان إلى الوراء ببطء وجلس في كرسيه منهاراً، ممسكاً رأسه بكلتا يديه. أما ماكوتو فقد تسلل إلى الصالة لكنه تردد للحظة قبل أن ينطلق بسرعة نحو الباب الأمامي.

بدا جان وكأنه يبكي تقريباً... إلى أن رفع رأسه وانفجر يقول: «هذا يكفي، كان عليَّ أن لا أثق بك أبداً، هل تظن أنني سأجلس هنا وأستمع إلى هذه الحماقات؟ أنا لست غبياً إلى هذه الدرجة».

ثم سحب معطفه عن المشجب.

بقي هونما جالساً في كرسيه فقد كان يعلم أن جان لن يذهب إلى البيت بهذه البساطة ومن دون أن يقوم بمحاولة أخيرة كي يسترد كرامته.

ولقد كان على حق، فقد توقف جان قبل أن يصل الباب وراح يبحث عن محفظته في جيب السترة ثم أخرج بعض الأوراق النقدية وقال: «هذه أتعابك، لابد أن هذا المبلغ يكفي!» ثم ألقى بها في وجه هونما.

عدة أوراق من فئة العشرة آلاف تطايرت في الهواء، من دون أي احترام أو تعبير عن الشكر.

قال هونما في نفسه: «أوه... لقد تذكر النقود، لقد لعن وسب وفقد صوابه وبعد أن قيل كل شيء، كان المال هو الورقة الأخيرة بالنسبة له. إنه موظف بنك حقيقي.

كان جان يتنفس بصعوبة.

«هل أرتك صورة لبيت فاخر بلون الشوكولا مبني على الطراز الغربي؟».

«بربك... ماذا تحاول أن تفعل؟ سيكون عليك أن تحسن أداءك أكثر من هذا».

كان هذا آخر شيء قاله، ثم سمع صوت الباب الأمامي يفتح ويغلق بقوة ووقع أقدامه وهو ينزل الدرج.

جاء ماكوتو مسرعاً برفقة إيساكا وقد اتسعت عيونهما من الدهشة.

«أنت بخير يا أبي؟».

قال هونما وهو يجمع النقود عن الأرض: «أنا بخير».

«أكيد؟ ألم تصب بأذى؟».

بدا إيساكا شاحباً: «لقد قلقت كثيراً، كل ما قاله ماكوتو إنك كنت في ورطة ولما خرجنا من المصعد كان هذا الشاب يندفع من باب الشقة مثل خفاش هارب من النار».

ثم وقعت عيناه على النقود: «ما هذا؟».

«أجري وأتعابي».

قال ماكوتو باستياء: «لقد رماك بها!».

انفجر إيساكا ضاحكا: «لكنها ثلاثون ألف ين فقط، ياله من بخيل».

قال هونما وقد بدأ يضحك هو أيضاً: «لا، في الحقيقة، إنه مبلغ كبير».

صاح ماكوتو وقد كان هو الوحيد الذي بقي غاضبا: «ياله من تافه».

ربت هونما على رأس ولده: «لا داعي لكي تغضب هكذا، لقد تلقى صدمة كبيرة وهو الآن مضطرب بعض الشيء». ثم رفع أحد حاجبيه وأضاف: «بالمناسبة أيها الشاب، تبدو مولعاً جداً بألعاب الكمبيوتر تلك، هل تقوم بتسجيل كم تبقى من الوقت المخصص للعب لهذا الأسبوع؟».

إن الوقت المحدد لماكوتو هو سبع ساعات أسبوعياً، فإذا تأخر ولو لعشر دقائق سيحرم من اللعب لبقية الأسبوع.

«مازال لدي ساعتان، أنا أدون ذلك لا تقلق».

«جيد».

انصرف ماكوتو إلى لعبته تاركاً الرجلين وحدهما.

سأل إيساكا: «تبدو وكأنك لم تعد معنياً بالقضية، ما الذي تنوي فعله الآن؟»

«سأكمل التحقيق، فبكل الأحوال أنا لم أتولَ القضية رسمياً، فلماذا يجب أن أتوقف الآن؟».

«ستتابع البحث؟».

«بالتأكيد». ونظر من النافذة، كانت المباني كلها قد غرقت في الظلمة، وهناك في مكان ما في هذا الظلام كانت المرأة المفقودة.

سأله إيساكا: «ما هي خطتك؟».

«سأتحقق من شوكو سيكين الحقيقية، كيف كانت تعيش ومعرفة طبيعة المشاكل التي واجهتها، فإذا أمسكت بطرف الخيط، فربما

سأعرف ما الذي أوصلها إلى تلك السيدة التي تبحث عن هوية جديدة؟».

تمتم إيساكا بينه وبين نفسه «إن هذا مثل البحث عن المشاكل».

سأخرج في جولة سريعة بالسيارة القديمة، مثل تلك التي ذكرت في كتابات السوترا والتي تنقل الآثمين إلى الجحيم. قرأ إيساكا:

على عجلات من النار
تولد الأحزان
إني أسمعها تصر خارج بوابتي
إلى أين يا ترى؟ إلى أين؟

ابتسم إيساكا وقال: «في الليلة الماضية عندما كنت أحدث هيسي عن الإفلاس وكل تلك الأمور، قفزت هذه الأبيات إلى ذهني. إنها إحدى قصائد الأنتولوجيا القديمة (جوهرة النصر) على ما أذكر».

أجل، إن عجلات القدر تدور من حولنا. لقد حاولت شوكو سيكين أن توقفها، فقفزت من العربة في إحدى المرات، لكن بعد ذلك، ومن دون أن تدرك، تسلقت المرأة التي انتحلت شخصيتها وعادت إلى العربة.

لكن أين هي الآن؟ فكر هونما بحزن، والسؤال الأهم... من هي يا ترى؟

# ✧ 11 ✧

ما إن انحنى ميزوجوتشي تحت الستارة المعلقة على باب مطعم ناجاس حتى لفه البخار الذي يملأ المكان. كان صاحب المطعم واقفاً وراء طاولة مصنوعة من خشب غير مصقول، مرتدياً مئزراً أبيض نظيفاً وقد رفع الغطاء عن القدر لتوه.

توجه ميزوجوتشي إلى طاولة صغيرة في الخلف وجلس إليها. كانت نظارته قد غشت بسبب البخار، إلا أنه وعندما دخل هونما بعد عدة دقائق استطاع أن يراه ورفع يده ملوحاً له.

قال المحامي مشيراً إلى كرسي وراء الطاولة: «هل استطعت أن تجد المكان بسهولة؟»

«أعتذر لإزعاجك وأنت على وشك تناول طعامك».

«لا بأس، لقد أخبرتني مساعدتي بأنك ستحضر إلى هنا».

خلع نظارته ليمسحها ثم أضاف: «أنصحك بتناول المعكرونة بثمار البحر المقلية والخضار».

وعندما جاءت النادلة وفي يدها كأس من الماء طلب هونما طعامه. لقد انقضت ساعة الازدحام غير أن المطعم ما يزال مكتظاً، ومع ذلك، فالمكان لم يكن صاخباً جداً لدرجة تمنعهما من الحديث، بل في الحقيقة كانت هذه الضجة مناسبة للموضوع الذي سيناقشانه.

سأله ميزوجوتشي، وهو يعيد وضع النظارة على عظمة أنفه: «هل حققت أي تقدم؟».

لقد بدا أصغر سناً من دون النظارات.

«لست متأكداً إن كنت أستطيع تسميته تقدماً، إن الأمور لا تلبث تزداد تعقيداً أكثر فأكثر».

اتسعت عينا ميزوجوتشي قليلاً خلف النظارات: «هل عرفت شيئاً ما؟».

أومأ هونما برأسه وقال: «إنها قصة طويلة». وبدأ بالكلام.

وبما إنه كان قد سرد القصة نفسها لجان في الليلة الماضية، كان حديثه الآن أكثر تركيزاً وترتيباً. يبدو أن التدريب يعطي نتائج جيدة في أي شيء.

وعندما وصل الطعام أمسك ميزوجوتشي عيدان الأكل وأشار لهونما كي يبدأ بالأكل وجلس هو يستمع فقط وبهدوء تام، لم يبدُ مندهشاً أو متفاجئاً. إن المحامي الموهوب لا يسمح بأن تظهر انفعالاته على وجهه.

أنهى هونما قصته في الوقت الذي كان ميزوجوتشي قد فرغ من طعامه فقال له: «فهمت، الآن أنت ستأكل وأنا سأتكلم».

نظر هونما إلى الساعة، لكن ميزوجوتشي هز رأسه وقال: «إن كنت قلقاً بشأن الوقت فلا داعي لذلك سأبقى بقدر ما يتطلب الموضوع».

ثم نزع نظارته ليمسحها مرة أخرى بمنديله وراح يرتب أفكاره، ثم قال: «قلت لي إنك تريد أن تستعلم عن شوكو سيكين وعن شكل الحياة التي كانت تعيشها، حسناً أنا مستعد لأخبرك بما أعرف عساني

أستطيع أن أطرد بعض المفاهيم الخاطئة من رأسك».

«مفاهيم خاطئة؟».

«أجل. قل لي إن كنت مخطئاً فأنا أرى أن تفكيرك قد ذهب بذلك الاتجاه، شوكو سيكين قادت نفسها إلى الإفلاس، والأسوأ من هذا أنها كانت تعمل في ناد ليلي، ومن يعرف كم من الوقت بقيت هناك ولهذا كانت مسرفة وامرأة فاجرة بشكل عام.... الخ. وبما أن أسلوب حياتها كان على هذا النحو، فالتوصل إلى علاقاتها الشخصية يتطلب بعض الجهد أم أنني مخطئ؟».

وضع هونما عيدانه ليشير للمحامي بأنه لا يختلف معه فيما قاله. إن ملخص حديث ميزوجوتشي يشبه تماماً ما قد أشار إليه إيساكا، إن معظم الناس الذين يصادفون هذه الكلمات (الإفلاس الشخصي) سيتوصلون غالباً إلى هذه النتائج نفسها.

ضحك المحامي فلمع في فمه طقم كامل من الأسنان، وعلى الرغم من أنها أسنان صغيرة إلا أنها جيدة لشخص في مثل عمره.

«ذلك أحد المفاهيم الخاطئة، والحقيقة هي أن الأشخاص الصادقين والمخلصين والخجولين حتى هم الذين يقعون في هاوية الإفلاس في أيامنا هذه وذلك بسبب سياسة عمل صناعة الائتمان».

مد يده إلى جيب سترته وأخرج مفكرة جلدية سوداء اللون ذات صفحات مطوية من الزوايا ووضعها أمامه ثم قال: «في أي سنة ولدت يا سيد هونما؟».

«سنة 1950».

«إذاً أنت في الثانية والأربعين». ثم أضاف مبتسماً: «عليَّ أن

أعترف بأنك تبدو أصغر سناً. هذا يعني بأنك كنت في العاشرة تقريباً عندما بدأ كل شيء. لقد كان متجر ماروي أول من أطلق رصاصة تدني الأسعار سنة 1960، وبالطبع فإن بطاقتهم الحمراء الصغيرة هي الآن واحدة من أشهر بطاقات الائتمان، لكن الأمور كانت مختلفة تماماً في ذلك الوقت.

كل ما قاموا به في الواقع هو أنهم قرروا استخدام كلمة (ائتمان) بدلاً من الكلمة المعروفة (الدفع بالتقسيط)، ولم يضيفوا أي خدمات جديدة إطلاقاً بل استخدموا الكلمة فقط والتي يبدو أنها أعجبتهم بسبب جاذبيتها الغربية. ويجب ألا ننسى أنه في عام 1960 تمت اتفاقية الحماية بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وفي هذه السنة نفسها تأسست بطاقة (ذا دينرز كلاب) والتي كانت معروفة حتى في ذلك الوقت بالتدقيق الشديد وعضويتها المميزة، ولا تزال تعتبر واحدة من أكثر البطاقات الموثوقة التي تستخدم في هذه البلاد».

هذا يعني أنها في سنتها الثانية والثلاثين.

تابع المحامي:

«سنة 1960 كانت أيضاً السنة الأولى فيما يسمى فترة النمو السريع، أي عندما بدأنا نشق طريقنا لنكون قوة اقتصادية عظمى، ونتيجة لتوسع الاقتصاد أصبحت صناعة الائتمان ضرورية».

كان ميزوجوتشي يتكلم بطلاقة وكأنه كرر ذلك الحديث عدة مرات من قبل.

«في الحقيقة، أشك في أن اقتصاد اليابان ومستوى معيشتنا سيزدهر حقاً يوماً ما دون تمويل تجارة تجزئة كهذه، لكن منذ ذلك

الحين لم يحدث أي تراجع.

حسناً، دعنا نرى، لقد استخدمت لتوي مصطلح (تمويل تجارة التجزئة)، ولأكون أكثر دقة يجب أن أقول (التمويل الاستهلاكي). وهذا يمكن أن يقسم إلى قسمين. الأول: لدينا مبيعات الائتمان والتي هي في الأساس صناعة بطاقتك الائتمانية. القسم الآخر: (القروض الاستهلاكية)، وهي قروض تمنح مقابل ودائع ثابتة أو بوضع الادخار البريدي كرهينة، ومصطلح القروض الاستهلاكية يشمل الاستدانة من بطاقة الائتمان أو حتى مما يدعى شركات التمويل الاستهلاكي، وكما تعلم يسمي الناس هذه الأماكن بـ (قروش القرض) هل أنت معي؟».

كان هونما قد انتهى من تناول الطعام وبدأ يدون ملاحظاته.

«الفئة الأولى، مبيعات الائتمان، وتقسم إلى نظامي الدفع بالتقسيط ومن دون تقسيط. وهذا ببساطة يدلنا فيما إذا كانت البطاقة تخول حاملها أن يختار أن يكون الدفع خلال عدة أشهر. إن بطاقة الائتمان الصادرة عن البنك لا تمنحك خيار الدفع بالتقسيط، إلا أن البطاقات غير البنكية يمكنها ذلك. وهناك أيضاً دفعات دورية بسيطة يتم التعاقد عليها من أجل سلع معينة، وفي مثل هذه الحالة لست مضطراً لتمتلك بطاقة. وهكذا يكون لدينا نظاما التقسيط ومن دون التقسيط وكل واحد منهما مقسم إلى: «السلعة المفردة» و«حامل البطاقة».

تحرك المحامي في مقعده ثم مال نحو الأمام ليتحقق من بعض الأوراق التي أخرجها من دفتر ملاحظاته: «الآن، وحسب معلوماتنا لعام 1990، إذا ألقينا نظرة على ريع الائتمان وعلى فئة التقسيط، فسنجد أولاً أن مبلغ الائتمان الذي تم تحديده مؤخراً قد وصل تقريباً

باليَّن الياباني إلى أحد عشر تريليوناً. أما فئة «من دون التقسيط» فوصل ريعها تقريباً إلى اثني عشر تريليوناً.

في الفئة الضخمة الأخرى (القروض الاستهلاكية) تقول المعلومات في السنة نفسها إنها اقتربت من ثلاثة أضعاف ذلك، أو حوالي أربعة وثلاثين تريليوناً، اجمع الاثنين معاً فيصل المجموع إلى...».

من الواضح أنه يملك الجواب مسبقاً ولم يكن بحاجة إلى أية عمليات حسابية، إلا أنه قام بذلك بقصد التباهي.

«حسناً إنها أكثر من سبعة وخمسين تريليوناً في القروض الاستهلاكية لعام 1990. إن الصناعة وعلى نطاق الميزانية الوطنية هي على ما هي عليه».

«إنه مبلغ كبير».

«إنها سبعة وخمسون تريليوناً، وهي تشكل أربعة عشر بالمئة من إجمالي الإنتاج الوطني لليابان في تلك السنة، أو عشرين بالمئة من دخل الفرد. إن هذه الأرقام هي نفسها في أمريكا، لا شك في هذا، فالتمويل الاستهلاكي أصبح الركيزة الأساسية في حياتنا الاقتصادية».

الأسوأ من ذلك، أن الصناعة لم تظهر أية بوادر استقرار، وهنا أشار ميزوجوتشي إلى ملاحظة ثانية.

«إن النمو في حجم التمويل الاستهلاكي كان مذهلاً، ففي عام 1980 وصل المجموع إلى 21,5 تريليون. دعنا نضع مؤشراً عند وصول هذا الرقم إلى مئة، حسناً بعد خمسة أعوام، أي في عام 1985 وصل المؤشر إلى 165 والمجموع الكلي 34,75 تريليون. وفي عام 1990 صعد المؤشر إلى 272 أي أنه تضاعف ثلاث مرات في

غضون عشر سنوات فقط».

رسم المحامي خطاً بإصبعه على سطح الطاولة وقال: «لنفترض أننا رسمنا مخططاً بيانياً وجعلناه مرتبطاً بالارتفاع في إجمالي الانتاج الوطني، حسناً هذا الخط هو إجمالي الإنتاج الوطني... وهنا التمويل الاستهلاكي.»..، رسم خطاً منحدراً بمقدار أربعين درجة.

«إنه يبدو مثل التزلج على الجليد أليس كذلك؟ ربما يكون مقداراً ضئيلاً، لكن هل هناك قطاع آخر يمثل هذا النمو؟».

«تبدو مثل فقاعة ضخمة».

فكر ميزوجوتشي ملياً ثم هز رأسه «إن الناس يسمون هذه الفقاعة بالفقاعة الاقتصادية والتي انفجرت السنة الماضية، وهذا شيء مختلف. أما بالنسبة لسوق المال، فإذا وجد واحد اليوم فسيكون شبحاً، فليس هناك سوق حقيقية، ولم يكن يوماً إلا عندما بدأ الناس باستعمال العملة، قصاصات من الورق وأقراص معدنية هذا كل ما هناك. هل أنا مخطئ؟».

«لكن في الحقيقة»..

لقد كان المحامي يستعد ليكمل حديثه فقط: «إن مبلغ عشرة آلاف ين يجعل تلك الأوراق ذات قيمة كبيرة بخلاف بعض القطع النقدية التي تفقد قيمتها بمجرد أن تضع قدمك خارج باب صالة للألعاب، إن أية آلة بيع ستقبل قطعتك النقدية من فئة المئة ين.

هذا لأننا جميعاً وافقنا على ذلك. إن أي صبي لا يزال في المدرسة يعرف ما هو النظام النقدي، وكيف أنه شبح وأن كون النقود هي عقد اجتماعي هو وهم كبير. الحمد لله لأننا لسنا مضطرين أن ننزل

خنزيراً مذبوحاً من فوق التلال لنبادله بالثياب والخضراوات والأرز من أجل إطعام عائلاتنا. نحن أحرار من كل هذا، وذلك لأن مجتمعنا تأسس على الاقتصاد النقدي، فأنا أستطيع أن أكسب لقمة عيشي وأنا أحاول مساعدة الناس الآخرين في حل مشكلاتهم. صفقة لابأس بها، ها؟».

أومأ هونما برأسه فقط.

ثم تابع المحامي: «كنا قد عرفنا سوق المال بأنه شبح، لكنه شبح يلقي ظلاً مختلفاً إلى جانب واقعنا الاجتماعي. إن لواقعنا الاجتماعي قيوده بالطبع، أي ما يسمح به المجتمع فقط. ومن جهة أخرى، فإن التمويل الاستهلاكي قد نما نسبياً ولم يكن القصد أبداً أن يكون ضخماً بهذا الشكل، لقد تم تضخيمه على نحو مفتعل، تماماً مثل المحاكاة.

سيد هونما، أنت طويل القامة نوعاً ما لكن طولك لا يزيد عن ستة أقدام أليس كذلك؟ لنفترض الآن أن ظلك يصل إلى ستين قدماً، هذا لن يشكل فرقاً. صحيح؟».

كان الحديث منمقاً بشكل كبير، أسلوب بارع في الكلام لمحام يرافع في إحدى قضاياه.

«دعنا نلقي نظرة من باب التسلية فقط على عدد بطاقات الائتمان الصادرة حسب قاعدة بيانات السنة المالية المنتهية في آذار 1983، لقد كانت 57,5 مليون بطاقة، بحلول عام 1980 حوالي 87 مليون بطاقة، في عام 1990 تجاوزت 166 مليون بطاقة، أي أن نسبة التزايد هي 16,5٪، والرقم الصادر يدل على أن هناك الكثير منها في محفظة المستهلكين».

تساءل هونما في نفسه، هل كانت شيزوكو تملك بطاقة ائتمان يا

ترى؟ ليست باسمها على الأقل.

«بالمناسبة، إنني أتحدث عن بطاقات الائتمان كما لو أنها كلها الشيء نفسه، لكن في الحقيقة هذه أيضاً يمكن أن تنقسم إلى عدة مجموعات. في الواقع هناك ثلاث مجموعات رئيسية:

أولاً: البطاقات الصادرة عن البنك، مجموعة يو سي ودي سي، ومجموعة جي سي بي وأيضاً فيزا جابان، إنها عشر شركات على العموم، وهي تنال حصة الأسد وتحقق أعلى الأرقام فيما يتعلق بعدد البطاقات وتكرار الاستخدام».

تحقق ميزوجوتشي من المعلومات ثم تابع:

لدينا هنا 20,2٪ نسبة الزيادة في معدل النمو بين عامي (1983 – 1990).

ثانياً: البطاقات غير المرتبطة بالبنك: نيهون شيمبان، أورينتال فينانس، غريتر ميركانليل.. إنها حوالي ثماني شركات، ومعدل نموها 16,1٪ وهو معدل ضخم أيضاً.

ثالثاً: لدينا ما يسمى بالبطاقات التابعة لتجارة التجزئة، ومتاجر ماروي طبعاً تقع ضمن هذه المجموعة، غير أن جميع المراكز التجارية وحتى المتاجر الرئيسية تقوم في هذه الأيام بإصدار بطاقات الائتمان الخاصة بها، صحيح؟ كل بطاقة من هذه البطاقات تصلح للاستخدام فقط في سلسلة المتاجر التي أصدرتها، الأمر الذي يعد خسارة بالنسبة لها لكنها تعوضها بإقامة تخفيضات خاصة على البضائع وإلغاء الرسوم.

ثم إن المتاجر ليست متشددة جداً بالنسبة للفحص حتى إنه

بإمكانك أن تحصل على بطاقة وأنت واقف عند طاولة الحساب، وفي هذه الأيام، حتى أماكن التسوق في محطات القطار أصبحت تصدر بطاقة الائتمان الخاصة بها، وهذه الفئة أظهرت مؤخراً معدل نمو بنسبة 19,2٪. إنه تضخم حقيقي، وهي تزداد لدرجة أنك لا يمكن أن تمشي في الشارع من دون أن تصادف حملة لبطاقة ما أو لأخرى. أخبرني هل لديك أية بطاقة ائتمان؟».

كان سؤالاً غير متوقع لذلك تلعثم هونما قليلاً وهو يجيب:

«أنا.. آه.. نعم لديَّ واحدة، إنها يونيون كريدت على ما أعتقد».

«إنها جيدة، أليست كذلك؟ خصوصاً لشخص مثلك يمكن أن يطلب للعمل في أي ساعة، أنت لا تعرف متى يمكن أن تخرج من البيت مسرعاً في منتصف الليل. في إحدى المرات سرقت محفظة ابنتي الصغرى ولم يعثروا على السارق، ومنذ ذلك الحين وهي تخاف أن تخرج حاملة معها نقوداً وباتت تعتمد على بطاقات الائتمان بشكل كامل تقريباً. إن كنت ممن يستخدمون البطاقات وتعرضت للسرقة، فيمكنك أن تضمن الحد الأدنى من الخسائر على الأقل».

«مثلما إذا كنت مسافراً».

«هذا صحيح، وبالإضافة إلى هذا فالبطاقة تفيد في الكشف عن الهوية، وهذه بلا شك واحدة من نقاط قوتها، ربما لأنني متخصص بقضايا الإفلاس وأقوم دائماً بمساعدة الضحايا، فأنت تفترض أنني أعتبر بطاقات الائتمان أصل الشر، وأنني أتمنى أن يقوموا بإلغائها جميعها، لكن الأمر مختلف تماماً في الواقع».

«لا، أنا لا أظن هذا».

تابع ميزوجوتشي: «جيد، إذاً ها هو التمويل الاستهلاكي يلقي ظلا طوله ستون قدماً لشيء ما طوله ستة أقدام فقط، والأسباب الرئيسية لهذا هي التمديد المفرط للبطاقة، والفائدة المرتفعة، بالإضافة إلى سعر رسوم العمولة، والآن نأتي إلى لب الموضوع»...

سكت قليلاً ليختار مثالاً ثم قال:

«منذ حوالي السنة توليت قضية إفلاس شخصي لموظف في الثامنة والعشرين من عمره، كان لديه ثلاث وثلاثون بطاقة ائتمان مختلفة ووصل مجموع ديونه إلى أكثر من ثلاثين مليوناً، ولم يكن لديه أية أملاك تستحق الذكر، فما رأيك في هذا؟».

ثلاثون مليوناً، إنه مبلغ لا يتأمل موظف حكومي بسيط مثل هونما أن يراه، ولا حتى تعويضاً عن نهاية الخدمة.

«والآن، كيف تظن أن شخصاً يتقاضى فقط مئتي ألف شهرياً، استطاع أن يستدين ثلاثين مليوناً؟ من الذي سيقرضه كل هذا المبلغ؟ ولم قد يفعلون ذلك؟ هذا هو ما قصدته بالائتمان المفرط».

تناول كأس الماء الذي أمامه، غير أنه وجده فارغاً فأعاده إلى الطاولة.

«إن السيناريو المثالي للغرق في الديون يكون كالتالي: أولاً يحصل الشخص لنفسه على بطاقات ائتمان فيجدها سهلة وفي متناول يده من أجل التسوق والقيام برحلات، إنها رائعة وبسيطة. وبطاقة واحدة تكفي للقيام بالخدعة بشكل جيد، فبعد فترة وجيزة ومن دون تفكير في الأمر سيحصل على بطاقتين إضافيتين، وإذا افترضنا أنه موظف في

شركة نظامية فهذا يعني أنه لن يواجه أية مشاكل مع إجراءات التدقيق وستقوم المراكز التجارية والبنوك والمحلات بتشجيعه للحصول على بطاقات الائتمان وسيقولون: (احصل على بطاقة وستحظى بكل تلك الخدمات والميزات، والكثير من المعاملات الخاصة)، وهكذا سيضيف عدة بطاقات أخرى إلى محفظته. وبعد فترة من الزمن سيبدأ باستخدامها ليس من أجل التسوق فقط بل من أجل السحب النقدي أيضاً، ومرة أخرى لأنها سهلة جداً، عندها يكون قد قام بانتقال تدريجي من استخدام بطاقات الائتمان إلى الاستدانة منها، وهذا الانتقال يحدث من دون أن يشعر به تقريباً. وفي حال كانت البطاقات صادرة عن البنك سيقوم الصراف الآلي بسحب النقود مباشرة من الحساب الشخصي. أما إذا كانت البطاقات غير بنكية أو بطاقات تجارة التجزئة، فستجد في مكان ما داخل المتجر أو قريباً منه واحدة من تلك الآلات البهيجة الطلة التي تبدو كصراف آلي بنكي، ضع البطاقة فقط ثم أدخل الرقم السري وستجد أنها عملية سهلة كما لو كنت تأخذ النقود من حسابك الخاص، إنها طريقة في غاية البساطة لتراكم الديون».

جاءت النادلة لتأخذ الصحون وأعادت ملء الكؤوس، فشكرها ميزوجوتشي بحركة من يده وتابع حديثه: «هذا ما نسميه مثالاً نموذجياً، ولن تصدق ما أكثر الموكلين الذين يقولون لي إنهم بدأوا باستدانة النقود عن طريق الخطأ؟».

«عن طريق الخطأ؟».

«أجل، يريد الموكل أن يسحب نقوداً من حسابه الشخصي، لكنه بطريقة ما يدخل بطاقة الائتمان في الصراف بدلاً من بطاقة البنك،

وبما إنه كان قد اختار الرقم السري ذاته لجميع بطاقاته فستخرج النقود بكل الأحوال، ربما سيستغرب لماذا لم تظهر ورقة إتمام الإجراء أي رصيد متبق، فقط المبلغ المسحوب، أو ربما لن يلاحظ ذلك، لكن غالباً لن يستمر ذلك إلا لنهاية الشهر عندما يتلقى فاتورة بطاقة الائتمان، وعندها سيدرك خطأه».

«لابد أنها ستكون صدمة كبيرة خاصة وأن الفائدة المحتسبة على رأس ذلك».

«ربما، لكن يمكن لهذا أن يدفعه إلى التفكير (هيه... إن استدانة النقود أمر سهل) ولن تفاجئه الفائدة في هذه المرحلة فهي لن تكون مرتفعة جداً. إنها مجرد ثلاثة آلاف ين لكل مئة ألف، ولكنه سيغرق مع مرور الوقت».

تناول ميزوجوتشي نصف كأس الماء وأكمل حديثه:

«إنه يستخدم البطاقة بشكل اعتيادي في التسوق، ومن أجل سحب الكاش ووسائل الراحة، وهو لا يسحب المبالغ الكبيرة كلها دفعة واحدة، بل مبلغاً صغيراً في كل مرة، وهكذا لن يشعر أبداً بأنه يقوم بشيء خطير، لكن ومع ذلك، القروض تبقى قروضاً، وعندما تستحق الدفع عليك أن تسددها.

تخيل رجل أعمال شاب قد بدأ حياته المهنية للتو، ولنفترض أن مدخوله يصل إلى مئة وخمسين ألف ين، إن بإمكانه أن يدفع ربما ما بين عشرين إلى ثلاثين ألفاً شهرياً من أجل المشتريات، إن أربعين إلى خمسين ألفاً ستكون صعبة، وإذا لم يكن حذراً فإنه سيدرك ذلك عاجلا أم آجلاً على كل حال، عندها سيبدأ بالاستدانة من البطاقة،

وحتى يسدد دفعات الشركة (أ) فإنه يسحب نقوداً على حساب بطاقة الشركة (ب) وحالما يفعل هذا سيتفاقم الأمر حتى يصل إلى درجة أنه لم يعد بإمكانه الاستمرار بالاستدانة من البطاقة مرة أخرى، فماذا سيفعل باعتقادك؟».

«سيلجأ إلى الشركات التي أسميناها بـ (قروش القروض)؟».

«بالضبط، وسيفعل الشيء نفسه مع هذه الشركات. فقبل مدة كان يستدين من الشركة (ب) ليسدد دفعات الشركة (أ) سيتجه بعد ذلك إلى الشركة (ت) و(ث) و(ج). إن بعض شركات التمويل الاستهلاكي العديمة الضمير تقود العملاء إلى الشركات الأخرى، الشركات ذات المواصفات المتدنية، طبعاً، والأقل نفوذاً والتي تكون متساهلة في مسألة التدقيق، وبما أنهم بحاجة إلى أي صفقة يمكنهم الحصول عليها، فهم لا يحددون سقفاً لمجموع الديون وهذا بدوره سيؤدي إلى ارتفاع الفائدة. هذا هو نظام عملهم.

كل ما يستطيع أن يفكر به الزبائن هو متى تستحق الدفعة التالية، وإن كان هناك قرض آخر يمكنهم الحصول عليه فسيتجهون إليه، إن هذا فقط جزء من الحلقة المفرغة».

«ولهذا السبب قلت إنهم أشخاص شرفاء ويعملون بجد؟».

هز ميزوجوتشي رأسه مؤكداً: «تماماً، إنهم أشخاص جبناء لن يفكروا أبداً بالخروج في منتصف الليل، لكن بطريقة أو بأخرى عليهم أن يسددوا ديونهم، هذا هو الشيء الوحيد الذي يتخيلون أنفسهم يقومون به، وهكذا يقومون بإغراق أنفسهم أكثر فأكثر، إنهم يستمرون بالعمل الشاق حتى يصيبهم المرض أو ما هو أسوأ من ذلك؟».

«وقضية شوكو سيكين؟ هل كانت إحدى قضاياك؟».

قال المحامي إن شوكو، في البداية، كانت تعمل في الليل بدوام جزئي بالإضافة إلى وظيفة نهارية بدوام كامل، لكن الأمور كانت تسير من سيئ إلى أسوأ، حتى لم يعد هناك مكان تذهب إليه إلا أسوأ مكان على الإطلاق وهو مكان إعادة شراء التجهيزات.

«أنا متأكد أنك وفي مجال عملك قد سمعت بهذه المؤسسات العجيبة، فأنت تحصل على بطاقة ائتمان، ثم تشتري أية سلعة يطلبون منك شراءها، لكن من طرف ثالث وبالمقابل يدفعون بعض النقود التي تكون عادة أقل من سبعين بالمائة من القيمة الحقيقية للبضاعة، لكنك بعد ذلك ستكون ملزماً بدفع الفاتورة كاملة. غالباً ما تتوافر لديهم بطاقات القطار السريع بأعداد كبيرة، ويتم تسويقها عن طريق سماسرة الائتمان وتعرض على أنها بطاقة ذات خصومات عالية. أنا أشتري منها من أجل رحلات العمل، وهي قانونية تماماً مع أنها رخيصة بشكل مضحك».

تجعدت شفتا المحامي في ابتسامة ساخرة.

«عندما تكون جزءاً من اللعبة ستجد أنها محكمة جداً ومن الصعب حقاً أن تنسحب منها، فكلما كنت نزيهاً أكثر ستكون جدياً أكثر، أي أنك ستغرق أكثر وستظل تتخبط بقدر ما تستطيع لكن بعد فترة وجيزة لن تكون قادراً على الحركة إطلاقاً، وفي النهاية ستبحث عن أي وسيلة ممكنة وغالباً ما تكون فعلاً إجرامياً.

حسب معايير التفكير السليم، فإن فكرة قيام شركة بإقراض عشرة وعشرين مليوناً لفتى في العشرينيات من عمره هي جنون، ولكنه

يحدث. فهذه الشركات تقرض وتقرض المال في كل الأنحاء طالما أنهم ليسوا هم من سيتحمل العواقب، وفي أثناء ذلك سيقومون بتجميع كل تلك الفائدة التي تراكمت، فعادة يكون الفرد هو الخاسر الوحيد وليس البنك، ولا تلك الشركات المسماة بقروش القروض. إن المسألة تبدو نوعاً ما هرماً مقلوباً والدائنون في أسفله يقدمون الدعم للمدينين في القمة، وكل ما يحتاجه الأمر هو زلة صغيرة وتصبح في الأسفل، وستتكدس فوقك الديون أكثر وأكثر إلى أن تسحقك تماماً.

كانت الأمور مختلفة فيما مضى، عندما كان الخيار الوحيد هو مكتب الرهنيات. في تلك الأيام لم يكن باستطاعتك أن تستدين المال من دون شروط، فلا أحد يرغب بإقراض المال من دون كفالة، مع ذلك لا يمكنني القول إنني أفضل أن تسير الأمور على هذا الشكل، فنحن اليوم نعيش حياة أفضل بكثير».

بدأ المطعم يخلو من الناس، وتيار جديد من البخار الأبيض تصاعد من وراء الطاولة.

تابع المحامي:

«على أيّة حال، كيف نستطيع العودة إلى تلك الأيام التي سبقت القروض الاستهلاكية؟ أقصد إننا نتكلم عن سبعة وخمسين تريليوناً سنوياً، فكيف سنرجع ذلك الجني إلى القارورة؟ هذا مستحيل.

ما أريد قوله هو إنه لا داعي لأن نضحي بعشرة آلاف شخص كل سنة بدفعهم إلى الانتحار أو إجبارهم على ترك بلدهم وارتكاب الجرائم».

«إذا يجب علينا أن نغير بنية الأشياء».

«نعم ونضيق الخناق على نسبة الفائدة المرتفعة بشكل غير معقول. إن أكثر سعر للفائدة التي يحتسبها قروش القرض في أي مكان هو ما بين خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين بالمئة، وحتى أنهم يسقطون في الشقوق بين قانون ضبط أسعار الفائدة وقوانين التمويل المعدلة. إنها منطقة رمادية حيث تميل السلطات إلى القول: (نعم هناك بعض الأمور السيئة تحدث، لكن دعونا لا نكون متسرعين بتوجيه الاتهامات). إنما بالنسبة للفرد المدين فهي أزمة خطيرة... انظر هنا»..

رسم ميزوجوتشي خطاً آخر على الطاولة يبدأ بشكل مائل حوالي 20 درجة ثم يرتفع ليصل إلى 45 درجة.

«الحصول على المال من البطاقة، الكفاح للاستمرار في تسديد الدفعات، اللجوء إلى قروش القروض. تبعاً لهذا الرسم، فإن مليوني ين يتم استدانتها مقابل ثلاثين بالمئة فائدة سنوياً، ارتفعت إلى ستة عشر مليوناً في خلال سبعة أعوام.

جاءني موكل في إحدى المرات وكان شاباً في الثلاثينيات متورط بدين يبلغ اثني عشر مليوناً، تسعة ملايين منها كانت عبارة عن الفائدة التي استمرت بالتضخم حتى خرجت عن السيطرة.

عندما استدان المال في البداية لم تكن لديه أدنى فكرة كم هي مرعبة هذه المسألة، والصراف الآلي طبعاً لا يزعج نفسه ويشرح لك كيف تعمل الفائدة».

تجعد فم المحامي وهو يضحك ضحكة خفيفة.

«وبالطبع هذا يرجع إلى السبب الثالث الذي قلت إننا بحاجة إليه ألا وهو ثقافة أكثر شمولاً وانتشاراً أوسع للمعلومات. تذكر أني

قد ذكرت ذلك عندما بدأ الناس بأخذ القروض النقدية، فهم على الأغلب لم يشعروا أن سعر الفائدة مرتفع جداً».

«نعم أذكر ذلك».

«هذا الفتى بالكاد لاحظ ذلك في البداية، لكني أخبرتك أن الفائدة مثل زينة المرأة تصبح أكثر سماكة مع انقضاء اليوم، حتى كلمة (القرض النقدي) ستبدو مثل السحر.

وبالعودة إلى الحديث عن قروش القروض، الجميع يعرف أنها سيئة وخصوصاً للشباب، لكن اقتراض المال من بطاقة الائتمان لا يشكو من شيء، وفي الحقيقة إن نسبة الفائدة هي بين خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين بالمئة سنويا، أي إنها تقريباً الفائدة نفسها التي تحتسبها الشركات المعروفة بقروش القروض بالضبط، لكن ربما لأن طرق الحساب ليست واضحة تماماً فسيتكون لدينا بسهولة ذلك الانطباع بأن الاستدانة من بطاقة الائتمان أمر جيد وآمن، وهذا هو الخطأ الأول».

فرغ كأس ميزوجوتشي من الماء مرة أخرى.

«إن الشباب، بشكل خاص، سريعو التأثر ومؤسسات التمويل الاستهلاكي تسعى بشكل حقيقي هذه الأيام لتتوسع في سوق الشباب. إنهم يقولون أي شيء ليحصلوا على زبون جديد، وهذا يعتمد على كوننا أذكياء أم لا، ووفقاً لما هو عليه الحال، فلدينا هنا فجوة واسعة. لقد بدأت البنوك الرئيسية في المدينة هذه السنة بإصدار بطاقات ائتمان خاصة بالطلاب، لكن في كل تلك السنوات الماضية، هل قدمت أية مدرسة أو جامعة توجيهات لطلابها حول كيفية استخدام البطاقات

بالشكل الصحيح؟ هذا شيء يمكننا البدء بالقيام به في الحال. لقد سمعت أن المدارس الثانوية في طوكيو جمعت الطالبات قبل التخرج لإعطائهن دروساً حول استخدام مستحضرات التجميل، حسناً إن كان لديهم الوقت ليضيعوه في أمر مثل هذا، فبإمكانهم أن يعلموهم المبادئ الأساسية ليحسنوا التصرف فيما يتعلق بالأمور المالية».

ضرب بقبضته على الطاولة وتابع يقول:

«لست ممن يحبون إلقاء اللوم على الناس في كل شيء، لكن هذا الفتى أغاظني حقاً. إن المشكلة كلها بسبب البيروقراطية، يجب أن تكون هناك هيئة مسؤولة تلاحق صناعة الائتمان الاستهلاكي كلها».

«لا يوجد؟».

«إن مبيعات الائتمان مسؤولية وزارة الصناعة والتجارة، أما القروض الاستهلاكية فتندرج تحت مسؤولية وزارة المالية. إن السلطات التي ينبغي أن تسيطر على الصناعة متفرقة ومشتتة وحتماً هي لا تتواصل بشكل جيد، وهذا على الرغم من أن الكثير من البنوك على سبيل المثال، تقوم بالأمرين، مبيعات الائتمان والقروض النقدية حتى بالبطاقة نفسها في بعض الأحيان».

حرك ميزوجوتشي كرسيه نحو الأمام قليلاً فلاحظ هونما أن صاحب المطعم ينظر نحوهما مبتسماً. من الواضح أنه رأى هذا المشهد عدة مرات من قبل.

«قلت إنك تريد أن تعرف أي نوع من النساء كانت شوكو سيكين. حسناً إذا فلتأخذ كل ما قلته لك حتى الآن على أنه مقدمة طويلة».

«عن الأسباب التي دفعتها للقيام بكل هذا؟»

«صحيح، إذا أنت تفكر بطريقة صحيحة. أنا أعرف أن عالم الائتمان الاستهلاكي ينطوي على كل أنواع المشاكل، مشاكل تنظيمية، ومشكلات الفائدة، سوء الإدارة بالإضافة إلى النقص في التعليم، هذا صحيح، ولكن عندما يتعلق الأمر باستدانة المال فهذه مشكلة تخص الأفراد أنفسهم، فهم إما أنهم يعانون من خلل ما أو ببساطة ليس لديهم فكرة واضحة عن كيفية سير الأمور في هذا العالم.

لاحظ أنه ليس كل الناس في اليابان يعانون من تراكم الديون، فالأشخاص الذين ينظمون أمورهم بشكل جيد نوعاً ما يعيشون في أمان، والخلاصة هي أن تراكم الديون هو انعكاس لفشل ما أو ضعف في الشخصية أم أنا مخطئ؟».

نظر هونما إلى الرجل خلف الطاولة، وقد وقف مكشراً وهو الآن يراقبهما علناً.

«هل أجبت بصدق؟».

«تماماً».

سعل ميزوجوتشي ثم توقف قليلاً قبل أن يسأل: «هل تقود يا سيد هونما؟».

«ماذا؟».

«سيارة، هل لديك رخصة قيادة؟».

«أجل، ولكني لا أقود».

«وهل هذا لأنك مشغول بالعمل كثيراً؟ ليس لديك وقت؟».

«لا، إنه»..

عليه أن يقول شيئاً ما.

«في الحقيقة لقد تعرضت زوجتي لحادث منذ ثلاثة أعوام، كان يوماً ماطراً وقد اندفعت شاحنة باتجاهها من الطريق المقابل».

اتسعت عينا ميزوجوتشي للحظة «وهل.».

«على الفور، ومنذ ذلك الحين لم أقد، حتى إنني لا أملك سيارة، لقد أثر ذلك فيّ بشكل سيئ جداً ولكني مازلت محتفظاً بالرخصة».

تابع المحامي ذلك بصمت، ثم طأطأ رأسه وهزه بسرعة «أنا آسف. لم أكن أعلم».

«لا بأس، لا تقلق». إنه رجل لطيف جداً، حدث هونما نفسه.

«ولكن لماذا تسأل عن رخصة القيادة؟».

«ليس هناك سبب محدد».

جلس المحامي في كرسيه بشكل مستقيم ثم تابع حديثه: «بناء على ما قلته لي، أنا متأكد بأنك ستتفهم».

«ماذا؟»

«لقد كانت زوجتك سائقة حذرة أليس كذلك؟».

«نعم فهي غالباً ما كانت تأخذ ولدنا معها، في الحقيقة لقد كانت حذرة جداً».

«وماذا عن سائق الشاحنة؟»

«لقد نام على المقود بسبب الإرهاق. قال إن لديهم نقصاً في عدد العمال ولم يكن قد نام ولا دقيقة واحدة خلال اليومين السابقين للحادث، ولقد قاد الشاحنة لفترة طويلة في داخل اليابان كاملة، من الشمال إلى الجنوب وبالعكس. عندما سمعت هذا، بصراحة، لم أستطع

أن أوجه له أية اتهامات».

بدا المحامي متفهماً. «هل كانت هناك جزيرة مرورية بين خطوط الطريق؟ كم يبلغ عرض الطريق؟ عندما اتجهت الشاحنة نحوها، هل كانت لدى زوجتك مساحة كافية لتحيد عنها؟».

هز هونما رأسه إجابة على كل الأسئلة.

«إذا من هو المخطئ؟ لنفترض أن ما حدث كان بسبب سائق الشاحنة النعسان، لكن بالتأكيد بعض اللوم يجب أن يقع على صاحب العمل الذي جعل هذا الرجل يعمل تحت تلك الظروف، وعلى الحكومة أيضاً التي لم تكلف نفسها بتزويد الطرقات السريعة التي تتشارك بها السيارات والشاحنات الضخمة بالجزر المرورية الآمنة، هذا بالإضافة إلى أن الطريق كان ضيقاً جداً، أي أن السلطات المحلية التي قامت بتخطيط الطرق تتحمل جزءاً من المسؤولية أيضاً، لكن هذا كله بسبب ارتفاع ثمن الأرض بشكل كبير جداً».

رفع بصره وتابع حديثه:

«هناك الكثير من العوامل التي سببت هذا الحادث، لكن افترض أنني وضعت كل ذلك جانباً وقلت في النهاية، إنه خطأ السائقين معاً فهل هذا عدل؟».

لم يشعر هونما برغبة في الإجابة وكان يعلم أنه ليس ضرورياً أن يفعل هذا. أكمل ميزوجوتشي حديثه:

«من السهل أن تجمع كل الأشخاص الغارقين في الديون معاً وتصدر عليهم حكماً. لكن هذا ليس أفضل من معاقبة كل السائقين الذين تعرضوا الحادث والقول إنهم يقودون بشكل سيئ، ولهذا السبب

حطموا سياراتهم، بل كان يجب ألا يمنحوا رخص قيادة في الأساس، من دون أي اعتبار للظروف المحيطة. والدليل على ذلك، كما سبق وقلت، أن بعض الناس لا دخل لهم في الحوادث».

تذكر هونما يوم جاء سائق الشاحنة ذاك إلى بيته مع أحد المحققين في قسم المرور، غير أنه لم يستطع أن يتخيل وجهه بوضوح. والسائق أيضاً لم يتمكن وقتها من النظر في عيني هونما، كانت يداه ترتجفان وهو يشعل البخور أمام صورة شيزوكو وينثر بعض الرماد. لكن بعد ذلك، وعندما أراد هونما أن ينظف المكان وجد أن البقعة حيث كان الرجل راكعاً على ركبتيه لاتزال دافئة، أي أنه حي، عندها أخذ هونما يرتجف غضباً. إن معرفة أن الذنب لم يكن ذنبه وحده لم تساعد في شيء، بل جعلت الأمر أسوأ.

حدق هونما بالمحامي لعدة لحظات من دون أن يحمل وجهه أي تعبير «أعرف ما الذي تقصده يا سيد ميزوجوتشي».

تابع ميزوجوتشي كلامه متحدثاً ببطء:

«عند وقوع الحوادث المرورية، فإننا نسهب في الحديث عن مسؤولية السائق عن ذلك، لكن ماذا عما يسمى هيئة السلامة؟ وماذا عن صانعي السيارات أنفسهم الذين يؤكدون على توفير الوقود متجاهلين عوامل السلامة في السيارة؟ نعم، جزء من اللوم ينبغي أن يقع على السائق. لكن أن نقول عن أي شخص تحطمت سيارته في حادث إنه سائق فاشل فهذا سخيف، وهذا الكلام ينطبق أيضاً على القروض الاستهلاكية والديون المتصاعدة.

إن الصحافة، وكعادتها في تضخيم الأمور تقول إن قوانين الإفلاس

الحالية بحاجة إلى التغيير في عدة نقاط، لابد أنك قرأت المقالة الصحفية (اكسب النقود عن طريق الإفلاس الشخصي)، هل لديك فكرة عن الإجراءات المتبعة لإعلان الإفلاس؟».

«قليلاً».

بدأ المحامي يشرح:

«إن الخطوات الفعلية بسيطة نوعاً ما. في البداية يجب أن تعلن إفلاسك في أي محكمة محلية لديها سلطة قضائية عليك، فتقدم إليها استمارة إعلان الإفلاس مع نسخة عن سجلك العائلي ووثيقة إقامتك وتقرير عن ممتلكاتك بالإضافة إلى قائمة بأسماء الدائنين، ثم عليك أن تقدم شرحاً مفصلاً للظروف التي دفعتك إلى أن تحمل نفسك كل هذه الديون.

بعد ذلك ستستلم مذكرة استدعاء وطلب حضور إلى المحكمة، وعندها سيقوم القاضي بمناقشة كل تلك الأمور معك، وهذا ما يعرف بـ «استجواب الكفالة». إن تحقيق المحكمة الفعلي وهذا الاستجواب لا يستغرقان وقتاً طويلاً. وفي الحالات الفردية، معظم قضايا الإفلاس تنتهي في خلال شهر أو اثنين من فتح الملف.

وإذا كان الشخص المفلس يملك بيتاً أو أملاكاً عينية، فسيقوم مندوب من قبل المحكمة بتصفية هذه الأملاك وتوزيع المبالغ على الدائنين بالتساوي. في هذه الأثناء لا يستطيع الطرف المفلس أن ينتقل أو يسافر من دون إذن المحكمة، وحتى البريد يتم تحويله مباشرة إلى مندوب المحكمة في بعض الحالات.

وعلى أيّة حال، إذا كان المفلس تحت سن العشرين فالإجراءات

ستكون مختلفة تماماً. لكن ما الذي سيملكه هذا الشاب من أشياء تستحق البيع؟ الثياب؟ أم القليل من الأثاث؟ أم جهاز ستريو.؟ إنها أشياء بسيطة يسمح بالاحتفاظ بها في العادة.

إذا كانت الأملاك لا تستحق الاسترجاع فلن يكون هناك سبب وجيه لاستمرار الإفلاس ولهذا تصدر وثيقة الإلغاء التي تنهي الإفلاس لحظة توقيع الطلب، وبما أن هذه العملية ألغت الإفلاس سيرفع أمر الحجز الذي يمنع الشخص المفلس من السفر.

وعلى الرغم من كل هذا، فنحن لم نر بقية الديون، ففي خلال شهر من الإلغاء سيكون عليك أيضاً أن تقدم طلب إعفاء من الديون، وعندما يصدر هذا الإعفاء، فقط، ستتحرر أخيراً من دفع الديون، وهذا القرار يمكن أن يستغرق ستة أو سبعة أشهر.

عادة يصدر الحكم في القضايا الفردية بالإعفاء، لكن هناك عدة شروط يجب أن تتحقق:

أولاً، يجب ألا يكون لدى الشخص قضية إفلاس أو إلغاء للديون في خلال السنوات العشر الماضية. وبتعبير آخر، تسمح القوانين للشخص بإعلان الإفلاس لمرة واحدة في العشر السنوات كحد أقصى. وإن اكتشاف أي تزوير يمكن أن يبطل الإعفاء، ولا يمكن إخفاء أية ممتلكات أو القيام بخداع الدائنين، كأن تستدين المال بقدر ما تستطيع في حين أنت تتهيأ لإعلان الإفلاس، لكن من جهة أخرى، ليس مهما كيف أسرفت المال ولا كم لزمك من الوقت لصرفه، إلا في بعض الحالات حيث تفسر استدانة المال بشكل مفاجئ وخلال مدة قصيرة بأنها إفلاس متعمد.

ببساطة يجب على الطرف المفلس أن يقلب الصفحة ويبدأ صفحة جديدة. إن هدفنا دائماً هو إنقاذ الشخص المدين، وعلى الرغم من أن هذا الإجراء تعرض مؤخراً للانتقاد الشديد لكونه طريقة مناسبة للقيام ببداية جديدة.

أعتقد أننا سنكون في حال أفضل في ظل نظام يجبر الناس على تسديد ديونهم، لكن من دون تلك الفوائد الخيالية المحتسبة، بل رأس المال فقط، شيئاً فشيئاً وبالتقسيط».

ثم ابتسم وقال:

«لكن كما تعلم في أغلب الأوقات لا يأتي الناس لطلب المساعدة إلا بعد أن يسقطوا في الهاوية، وفي هذه الحال لن يكون لديَّ إلا مهلة قصيرة كي أنصحهم بأخذ الحيطة أو الحصول على وثيقة التأمين، لكن يبقى الشيء الأهم هو إنقاذ حياتهم».

«مفهوم».

«فالديون تدفع الناس إلى الانتحار، تخرب البيوت وتجبر العائلات على الهرب.... لا يبدو هذا منطقياً في هذا الزمن. غير أنَّ المآسي تحدث في كل الأوقات بسبب الجهل التام بتفاصيل الإفلاس الشخصي».

«هل سيتغير هذا يوماً ما؟».

«لاحظنا مؤخراً، وبفضل الجهود التي بذلناها، زيادة في عدد الموكلين الذين يأتون لطلب الاستشارة قبل أن تصبح الأمور خارجة عن السيطرة، كما تزايد عدد الأشخاص الذين يقدمون طلبات الإفلاس الشخصي أيضاً. إن محاكم الإفلاس كلها مزدحمة».

قلب ميزوجوتشي في دفتر ملاحظاته وقال:

«في سنة 1984 فقط، وصل عدد القضايا إلى أكثر من عشرين ألف قضية في كل أنحاء البلاد. تلك السنة كانت سنة ما يسمى بـ «رعب التمويل الاستهلاكي» ومنذ ذلك الحين والعدد يزداد وينخفض، لكن يبدو أنه ازداد ثانية في السنوات القليلة الماضية.

في عام 1990 كان هناك اثنا عشر ألف قضية، لكن في السنة الماضية تجاوز عددها ثلاثة وعشرين ألفا، وهذه السنة ستكون أكثر من ذلك بالتأكيد. ولهذا السبب فإن الخطوط الستة الساخنة المخصصة للائتمان في مكتبنا لم تتوقف عن الرنين ليومين كاملين، آخر الأسبوع، ومعظم المتصلين كانوا أشخاصاً في مقتبل العمر، حتى إننا تلقينا اتصالاً من والدي أحد الأولاد الذي فر من البيت هرباً من ديونه».

إنهما الآن الزبونان الوحيدان في المطعم، تنحنح ميزوجوتشي وهو ينهض واقفاً على قدميه وقال لصاحب المكان وهما في طريقهما إلى الخارج «أراك غدا!».

تمشيا معاً في شوارع جينزا التي عادت إلى حركتها المعتادة، والتي لايمكنك التعرف عليها في هذا الوقت من النهار، الدراجات الهوائية المسندة إلى الواجهات كيفما اتفق، أكياس القمامة مبعثرة هنا وهناك، لا زينة ولا مصابيح.

الحانات تستنزف أهل البلدة في الليل، لكن تلك النقود ترقد في البنك بسلام خلال النهار. وربما تكون جينزا الآن تستريح بعد الإعياء الشديد. ما إن بدآ بالمشي حتى دس ميزوجوتشي يديه عميقاً في جيوب معطفه وقال:

«منذ خمسة أعوام، عندما بدأت بتحضير أوراق الآنسة سيكين

طلبت منها أن تجهز كشفاً بديونها المستحقة، قالت لي عندها: «لا أعرف كيف تورطت إلى هذه الحد، كل ما أردته هو أن أكون سعيدة».

«سعيدة ؟».

«أخشى أنها كانت تتظاهر لا أكثر». ومشى عدة خطوات ثم أضاف:

«إن كنت بحاجة إلى عنوان عملها وما إلى ذلك، فسأقوم بكل ما أستطيع القيام به، وسأطلب من سواجي أن تحضر لك الملفات».

«شكراً لك، إنك بهذا تقدم لي معروفاً كبيراً».

«لكن بالمقابل أريد أن أكون على اطلاع بما يجري».

«أجل طبعاً».

«بالمناسبة، هل تعتقد أن الآنسة شوكو على ما يرام؟».

لم يجب هونما والمحامي بدوره لم يلح.

وقبل أن يذهب كل منهما في طريقه توقفا عند التقاطع الرئيسي في جينزا. وبعد أن توادعا التفت ميزوجوتشي وقال: «لا تنس ما أخبرتك به، هي لم تكن سيئة في الأساس، كانت تقوم بتلك الأشياء لتصنع لنفسها حياة، يجب ألا تنسى ذلك وإلا فلن تصل إليها أو إلى السيدة التي أخذت مكانها».

«حسناً، شكراً جزيلاً للوقت الذي منحتني إياه».

لوح المحامي بيده ومضى مبتعداً. تغير الضوء، واختفى في بحر من الناس.

الكثير من الناس انجرفوا مع التيار لكن كم عدد الذين غرقوا؟

# ✧ 12 ✧

انخفضت الشمس في السماء وتحول لونها الذهبي إلى لون الصدأ الأحمر. تجمع عدد من الأولاد في الفناء، بعضهم كان يحاول تسلق السياج، وبعضهم الآخر جلس القرفصاء في الوحل. كانوا يحكون ظهورهم ويخبطون أرجلهم بقوة. في وسطهم تماماً وقف رجل قصير القامة منفوخ الصدر، وضع يديه على وركيه وراح يصيح ملقياً الأوامر. كان بعيداً جداً عن هونما، فلم يستطع أن يفهم ماذا يقول.

في الحقيقة لم يكن الأولاد يعيرونه انتباههم بالكامل، وبالقرب منهم جلست سيدتان شابتان جنباً إلى جنب على أرجوحتين وفي حضن كل منهما طفل رضيع. كانتا تراقبان الرجل وتضحكان خفية.

قال الرجل: «علينا أن نقوم بهذا بالشكل الصحيح، موافقون؟».

لقد كان يصرخ تقريباً.

نهض أحد الأولاد وكان جاثياً على ركبتيه وسأله: «طبعاً يا سيدي كما تريد، ولكن من تكون حضرتك على كل حال؟».

«أنا؟ ولم تسأل؟ أنا شارلوك هولمز بالطبع!».

نظر بعض الأولاد إلى بعضهم بعضاً رافعين حواجبهم.

كان هونما قد خمن من يمكن أن يكون هذا الشخص وعندما اقترب أكثر، حسم صوته الأمر.

تمتم أحد الأولاد: «أوه... طبعاً، أنت شارلوك هولمز».

«أشهر مفتش عرفه التاريخ، لا أصدق أنك لم تعرفني! ما هذا؟ أولاد هذه الأيام لا يظهرون أي احترام».

قال واحد من الأولاد محاولاً كبت ضحكته: «ولكنك لست هو يا سيدي».

وضعت الوالدتان الشابتان أيديهما على فميهما لتخفيا ضحكاتهما.

رفع الرجل صوته ثانية وقال: «أياً يكن، ليس لدينا وقت للكلام علينا أن نقوم بالبحث مفهوم؟ لذا تفرقوا وابدأوا بالتفتيش».

عندها انتشر الأولاد في كل الاتجاهات.

كان هونما قد وصل إلى زاوية المبنى الذي يعيش فيه عندما دوى صوت من خلفه «هيـــه»...

لكن هونما لم يلتفت ولم يتباطأ في مشيته على الرغم من أن ساقه كانت تمنعه من الإسراع.

كان الرجل القصير يقترب منه: «هيه، ماهذا؟ لا يمكنك أن تجري هكذا وكأنك لا تعرفني!».

لوح هونما بيده خلف ظهره وقال: «أنا لا أعرفك، ولم أرك أبداً من قبل».

صاح ساداو فوناكي بصوت عال: «كاذب!» ولحق به ثم تباطأ ليجاريه في سرعته وقال: «أنت تمر بوقت عصيب أليس كذلك؟».

«شكراً، لم ألحظ ذلك».

«لو كنت أستطيع لتبادلنا الأماكن».

«هيه، هل نستطيع أن نغير الموضوع، ما الذي تفعله هنا على

كل حال؟».

نفخ فونكا صدره وقال بزهو: «أنظم عملية بحث، سأجعل من هؤلاء الصبية فريقاً رائعاً من المحققين».

«ومالذي تبحثون عنه؟»

«كلب، كلب ضائع».

توقف هونما في مكانه: «لا تقل لي إنكم تبحثون عن بلوك هيد؟».

لم يكن فونكا يظن أن هونما على علم بالموضوع: «نعم هذا هو، إنه اسم غبي لكلب، من المحتمل أنه قرر أن يهرب بسبب هذا الاسم».

إذاً بلوك هيد لم يعد بعد.

«إنه كلب لطيف. إلا أنه ليس ذكياً جداً وليس صعباً على أي شخص أن يأخذه معه».

قال فونكا مخفضاً صوته قليلاً «حسناً، آمل فقط أن لا تكون قد دهسته سيارة».

توقفا أمام باب المصعد للحظة كي يلتقطا أنفاسهما.

سأل هونما: «من أخبرك بأمر بلوك هيد؟».

«ماكوتو».

كان ماكوتو شديد التعلق بالعم ساداو، حتى ولو قال عنه إنه يصيح دائماً.

«بينما كنت أنت في الخارج، جمع ماكوتو رفاقه ليقوموا بعملية بحث، وأنا قدمت لهم بعض النصح، هذا كل شيء».

«لكن ماكوتو لم يكن بينهم الآن».

قال فوناكي بفخر: «إنه في مهمة خاصة، لقد ذهب مع إيساكا وكازي ليتفقدوا مأوى الحيوانات».

يبدو فوناكي وكأنه يرتدي البدلة نفسها دائماً. غير أنه في الواقع كان يمتلك ثلاث بدلات من القماش نفسه والتفصيلة نفسها، وقد جعله هذا يبدو كأنه شديد الحرص على ثيابه.

كانت أزرار سترته البنية مفتوحة، فمد يده إلى الجيب الداخلي بحركة تشبه حركة ساحر يقوم بأعمال الخفة وأخرج مغلفاً بني اللون وقال: «هذا هو، كما طلبت بالضبط».

كان الموقد في غرفة الجلوس لايزال دافئاً. فوناكي، الذي كان يتصرف في البيت بحرية، عبر الصالة ليشعل بعض البخور أمام صورة شيزوكو، وفي هذه الأثناء كان هونما يخرج الأوراق من المغلف:

سجل شوكو سيكين الملغى من أوتسونوميا وأوراق توظيفها.

«أشكرك، أنا أدين لك الآن بخدمة».

رفع فوناكي يده شاكراً ثم التفت إلى صورة شيزوكو وقال هامساً: «هيه، شيزوكو إن زوجك منشغل في أمر ما من جديد».

كان فوناكي وشيزوكو صديقين منذ الطفولة، لقد ذهبا إلى المدرسة نفسها. في الحقيقة كان فوناكي هو من عرف شيزوكو على هونما عندما كانا في كلية الشرطة. قال له فوناكي ذات مرة: «لقد كانت بمثابة أختي الصغيرة، ولم أكن أرغب في رؤيتها تتزوج من رجل لا يستحقها». لكن عندما سأله هونما: «ولم لم تتزوجها أنت؟» كان على فوناكي أن يفكر طويلاً، ثم قال في النهاية: «لقد كانت قريبة جداً مني».

لم يكن فوناكي يأتي كثيراً إلى بيت هونما، ولكنه عندما يأتي كان

يقضي بعض الوقت مع صورة شيزوكو، وكان هونما يتركه هناك بقدر ما يحب.

فرش هونما محتويات المغلف على الطاولة وجلس، كان السجل العائلي الملغى واضحاً تماماً:

شوكو سيكين الحقيقية لم تغير عنوانها الدائم ولا مرة إلى أن قامت شوكو سيكين المزيفة باستصدار السجل العائلي الجديد في هونانتشو. والعنوان المدون من قبل رب العائلة أي والدها هو إتشوزاكوتشو 2001، أوتسونوميا.

كان هناك بند إضافي يشير بشكل واضح إلى أنها جعلت إقامتها الحالية في مكان آخر شمال ساكاي 5—10—4 إدوجاوا، طوكيو وذلك في نيسان 1983. لاشك أنها كانت تعيش هناك عندما بدأت العمل في شركة كاساي التجارية.

ذهب إلى حيث الهاتف، قلب في دفتر العناوين ثم طلب الرقم ولما رد عليه صوت سيدة قرأ العنوان الموجود في السجل شارحاً لها أن لديه شيئاً يريد إرساله بالبريد ولذلك فهو يريد أن يتأكد من صحة العنوان، إلا أن السيدة أجابته بأن هذا العنوان لم يكن لشركة بل مبنى لسكن الموظفين.

وضع هونما الهاتف ورفع بصره ليجد أن فوناكي كان يراقبه، عندها قال له فوناكي مرتبكاً:

«ما رأيك بكوب من الشاي؟».

«الشاي في الدرج السفلي».

توجه فوناكي إلى الخزانة وفتح الدرج السفلي وأخرج علبة صغيرة

من الشاي، ثم ملأ الإبريق ووضعه على الموقد.

«أصبحت الخدمة ذاتية الآن، ها؟».

«أجل».

«إذا توقفت عن الحركة نهائياً، فستصبح رجلاً مسناً في وقت قصير».

«أنا أشعر بأنني مسن أصلاً، شكراً لك».

كان مكان الإقامة الثاني المدون في السجل كاسل مانشن كينشيشو، حيث كانت شوكو سيكين تعيش لما تقدمت بطلب الإفلاس، ومن المحتمل أنها عندما تركت سكن الموظفين التابع لشركة كاساي وانتقلت إلى الشقة، بدأت الدفعات تشكل عبئاً ثقيلاً عليها وهذه كانت أول خطوة خاطئة تقوم بها.

عندما يسكن الموظفون الشباب في سكن تابع للشركة التي يعملون فيها، فإنهم يتوقون إلى العيش وحدهم بحرية، من دون التقيد بمواعيد العودة ومن دون وجود مدبرة منزل شديدة الحرص أو أناس مشاكسين جالسين في الصالة. ويبدو أنهم يتغاضون عن النقود التي يدفعونها ثمناً لهذه الحرية. والحقيقة الصعبة التي يبدو أنهم لا يدركونها هي أن الخدمات الضرورية كالكهرباء والغاز والتنظيف تكلف الكثير من المال خارج سكن الشركة.

كان البند الأخير حول المكان الذي انتقلت إليه بعد أن أعلنت إفلاسها، كاواجوتشي في 1990/3/17 عندما اختفت تماماً من دون أي أثر.

بعد وفاة والدتها، اتصلت شوكو سيكين بالمحامي لتسأله عن مبلغ

التأمين، ولم تأت على ذكر أية أملاك، مما يدل على أن والدتها كانت تعيش في بيت للإيجار.

هكذا توضحت الصورة، لقد توفي والدها في وقت مبكر وتركها ووالدتها من دون أي دعم أو معونة. وبناء على المعلومات المدونة في السجل الملغى، فإن والدتها انتقلت من مكانها ثلاث مرات قبل وفاتها في 1989/11/25، وكانت جميع الأماكن التي سكنت فيها ضمن مدينة أوتسونوميا. فلما توفيت كانت تعيش في إتشيوزاكاتشو 2005 بالقرب من عنوان العائلة الدائم. وبقيت تعيش هناك حوالي عشر سنوات.

هل أرادت والدتها هكذا ببساطة أن تبقى في أوتسونوميا بعيدة عن مسقط رأسها؟ أم أنها كانت تحرس العش على أمل أن ترجع ابنتها؟

جلس فوناكي بالقرب من هونما وتناول السجل بعد أن فرغ هونما منه وراح يقلب الصفحات بسرعة من دون أن يقول أية كلمة.

أكدت الوثائق المقدمة من قبل مكتب التوظيف العام شكوك هونما أيضاً. كان هناك رقما تسجيل لشوكو سيكين. الرقم الأول هو الذي صدر عندما بدأت شوكو سيكين الحقيقية العمل في شركة كاساي، أما الرقم الآخر فقد استخدم في نيسان 1990 عندما عملت شوكو المزيفة في مكتب إيماي وتسجلت على أنها تعمل للمرة الأولى.

«لقد قمت بالاتصال بمكتب التوظيف بعد أن حصلت على هذه الأوراق، ولقد دهشوا لوجود نسختين. ولكن هذا لا يعني أن بعض الأشخاص لا يحاولون إخفاء سجل وظيفة سابقة. قيل لي إن مثل هؤلاء الأشخاص يدخلون إلى المكتب فقط ويقولون إنهم يعملون للمرة الأولى. إنهم يقومون بالتدقيق في بعض الأحيان ولكن في حال

عادية مثل هذه الحال، فإنهم عادة يتركونها تمر من دون تدقيق، فهم لا يريدون أن يكونوا مزعجين.

على أيّة حال، إنهم يحتفظون بالسجلات لسبعة أعوام، لذا لن يكون لديهم أية وثائق منذ بدأت شوكو العمل في شركة كاساي، بل منذ أن استقالت من هناك فقط، وبكل الأحوال، فقد بقيت بعد ذلك من دون عمل لفترة من الزمن».

راح هونما يفكر ملياً بكلام فوناكي. عندما بدأت شوكو سيكين المزيفة العمل لدى شركة إيماي لم تكن قد استطاعت أن تحصل على أوراق توظيف شوكو الحقيقية أو وثيقة تسجيلها في مكتب التوظيف، لذلك لم يكن لديها خيار إلا أن تذهب إلى هناك وتدعي أن هذه هي وظيفتها الأولى. أو أنها لم تول الأمر أهمية كبيرة.

لكن لا، فهي لا تبدو فتاة قصيرة النظر، ليس بعد كل ماعرفه عنها. لابد أنها اضطرت أن تلفق كذبة محكمة بما إنها لم تجد بطاقة العمل الصحيحة، فبعد أن تركت شوكو الحقيقية العمل في شركة كاساي ثم حاولت الهرب من محصلي الديون بالانتقال إلى كاواجوتشي والعمل في ناد ليلي، لابد أن بطاقة صغيرة كهذه قد ضاعت بسهولة وسط كل تلك المشاكل التي صادفتها. ولابد أن المرأة التي جاءت بعدها قد قلبت الغرفة رأساً على عقب ولم تجد شيئاً.

بدأ الإبريق يصفر فأسرع فوناكي ليصنع الشاي ثم سكبه في فنجانين وأحضرهما إلى الطاولة. سأل وهو ينفخ البخار المتصاعد من فنجانه: «هل هذه هي الأوراق التي طلبتها؟».

أجاب هونما وهو يرتب الأوراق: «أجل شكراً». ثم شرد قليلاً:

«هل هناك شيء آخر؟».

«في الحقيقة ستقدم لي عوناً كبيراً إذا استطعت أن تعرف إن كان لدى هذه السيدة جواز سفر أو رخصة قيادة».

قال فوناكي وهو ينظر إلى الهاتف: «كان من الممكن أن أتصل هاتفياً لولا أن قسم الجوازات معقد قليلاً ومن المحتمل أن يجيب على الهاتف أحد أولئك الأشخاص الذين يصعبون الأمور. ما رأيك أن أذهب وأعود لك بالأخبار هذه الليلة؟».

«عظيم».

لم يسأله فوناكي عن سبب احتياجه إلى معرفة كل هذه الأمور. لقد عرف ما هو بحاجة إلى معرفته، فحتى الآن كانت هذه مسألة عائلية تخص هونما وهو يقدم المساعدة فحسب. كان هونما سيخبره بكل شيء لو أن القضية كانت أكبر من أن يتولاها وحده.

«هذا يجعلني أدين لك بخدمة عظيمة جداً، لكنني سأعوضك أعدك بذلك».

«الآن».

نظر إليه هونما مستغرباً.

«أنا مشوش قليلاً، ما رأيك لو تعطيني رأيك في مسألة ما؟».

لقد تبين أنه يحقق في جريمة قتل.

«لقد حدثت في ناكانو، في بيت يبعد عشر دقائق عن محطة ناكانو، الساعة الثانية بعد الظهر. اقتحام وسطو مسلح على أحد المنازل التي يعيش فيه رجل وزوجته فقط، وقد قتل الزوج طعناً بالسكين. أما الزوجة، فقد وجدت مقيدة إلى جانبه. نجح السارق بالهرب لكن

الجيران لمحوه وهو يغادر».

«حسناً».

«إن الزوج في الثالثة والخمسين وزوجته في الثلاثين، وهي زوجته الثانية. كانا ثريين جداً».

«هل لهما أولاد؟»

«ليس من هذه الزوجة، لكنهما كانا فاحشي الثراء، فهما يديران متجرين ومقهيين ومحل فيديو. وتملك الزوج بوليصة تأمين على الحياة تبلغ قيمتها مئة مليون ين. عندما تزوجا قبل سنة ونصف لم تستطع عائلته أن تجد فيها أية صفة جيدة تجعله يتزوجها، كانوا يعتقدون بأنها تسعى وراء ماله».

«وماذا حدث بعد ذلك؟».

«أنا أرى أنه قد تم التخطيط لكل هذا الموضوع مسبقاً، لقد ألفت الزوجة كل هذه المسرحية لتحصل على نقود الزوج وبمساعدة شخص آخر».

«هذا معقول».

«حقاً؟» ثم ضرب على الطاولة: «لكن هذه هي المشكلة، ليس هناك أحد، لا يوجد مشتبه بهم».

«ماذا؟»

«لا يوجد حولها أي شخص، حتى لو عرضت حياتها الشخصية بوساطة جهاز التصوير بالأشعة السينية، فلن تجد أي أثر لأي رجل آخر، لا شيء أبداً».

«كيف كان مظهرها؟».

«حسناً يمكننا القول إنك لن ترميها خارج السرير من أجل أكل الرقائق، وهذا ما جذب الزوج إليها بالدرجة الأولى».

تذكر هونما تلك السيدة نوبوكو كونو التي تدير مجمع كاواجوتشي السكني في حين يعمل زوجها في الحانة. إنها امرأة جذابة وذكية أيضاً على الرغم من أنها، وعلى الأغلب، لم تنتبه إلى اهتمام هونما بها إطلاقاً.

«كيفما نظرت إلى الأمر، فستجد أن هناك رجلاً في مكان ما، لكن لا يوجد دليل. هل سمعت بمثل هذه القصة من قبل؟ سيدة جميلة وزوج يكبرها بعشرين سنة»...

سرح هونما بأفكاره وراح يتخيل نوبوكو وهي تحمل الملف تحت ذراعها وتجيب على أسئلته في الوقت الذي كان فيه زوجها وابنتها مشغولين بغسيل الصحون: (أكيمي، اذهبي واستدعي والدتك..).

صاح هونما فجأة: «نعم». مقاطعاً حديث فوناكي الذي لم يكن قد سمع منه شيئاً.

«ماذا؟».

«هل كان الزوج هو الذي يدير كل تلك المتاجر التي قلت إنهما يمتلكانها، أم الزوجة؟».

بدا فوناكي مرتبكاً، وكأنه يجلس في مطعم للمعكرونة وقدم إليه طعام فرنسي.

سأله هونما ثانية: «من منهما؟».

«لماذا تسأل؟ الزوج على ما أعتقد».

«على ما تعتقد؟ وهل اعتقادك هذا مبني على حقائق؟».

«لا، لكن من المؤكد أن المال كان بيد الزوج، في الحقيقة، إن مكتب الضرائب يراقبه فهم يشكون بوجود تهرب ضريبي».

كرر هونما ببطء: «إذا فالزوج يضع يده على المال، ولكن هذا بحد ذاته ليس إدارة للأعمال فهناك أمور يجب أن تؤخذ بالحسبان مثل هندسة الديكور وتحديد أنواع أشرطة الفيديو التي يقومون ببيعها، كل أشكال التخطيط تدخل في نطاق الإدارة فمن يقوم بكل هذا؟».

أجاب فوناكي مباشرة: «نعم نعم إنه الزوج أيضاً. الزوجة لم تكن تتدخل في هذا. فقد كان الزوج يدللها ويطلب منها أن لا تزعج رأسها الجميل بأمور كهذه».

«أليس هناك ما يدل على عدم رضا أو خلاف بينهما حول هذا الموضوع؟».

«حسب معلوماتي، لا، فالزوجة لم تكن تبدو مهتمة كثيراً على أيّة حال».

«ولم أنت متأكد هكذا؟».

«لأنها تبدو هكذا، والموظفون كانوا معجبين بها بعض الشيء، وقد أخبرني مدير أحد المقاهي أنها قدمت بعض الاقتراحات اللطيفة حول الموسيقى المرافقة، وقال إنها تعرف جيداً ما هي الموسيقى التي يمكن أن تعجب الزبائن الشباب. أظن أنها هي نفسها ومنذ زمن ليس ببعيد كانت تقضي معظم وقتها في المقاهي».

«لديَّ سؤالان آخران».

«تفضل».

«ماذا كانت تعمل قبل أن تتزوج؟».

«سكرتيرة عادية تقوم بمراجعة الأوراق، لا شيء خارق للطبيعة بالإضافة إلى بعض الحسابات، مما يدل على أنها كانت تتمتع بشيء من الذكاء والنباهة».

مرة أخرى خطرت بباله نوبوكو كونو.

«السؤال الثاني: قلت إن هناك إشاعة تقول إن لديها حبيباً، فهل هناك دليل على هذا؟».

«لا، أبداً. مجرد كلام. أحياناً كان الجيران والموظفون يشاهدونها في غاية الأناقة. إلا أنها كانت تخرج وحدها بعد ذلك».

«ليس هناك رجل معين. لا أحد يمكنك أن توجه إليه اصبع الاتهام؟».

«هذا ما يثير جنوني».

«وكيف كانت تبدو في تلك الأيام؟».

«تقصد ثيابها؟».

«نعم، هل كانت تلبس طقماً؟ أم ثوباً يابانياً؟ أم ملابس مزركشة؟ وهل كانت تضع عطراً؟ أكانت تتزين أكثر من المعتاد؟ وما شكل حقيبة اليد التي كانت تحملها؟ هل هي صغيرة ومتكتلة وبحجم المنديل تقريباً؟ أم كانت عملية وكبيرة وتكفي لوضع دفتر ملاحظات ودفتر مواعيد بداخلها؟ الحذاء مهم أيضاً، أهو باهظ الثمن؟ أم عملي ومريح؟».

أخرج فوناكي ورقة ودون بعض الملاحظات ثم سأله:

«وبماذا يفيدنا كل هذا؟».

شبك هونما يديه خلف رأسه واستند إلى ظهر كرسيه ثم قال:

«لقد قلت لي إنه ليس هناك دليل معين على وجود رجل في الخفاء،

لذا فقد افترضت أنه لا وجود لرجل. حسناً، فإذا كانت تخرج مرتدية ملابس عادية وتضع عطراً ومساحيق تجميل وتحمل حقيبة عملية وتلبس حذاء بسيطاً، فهذا يحدد الأماكن التي من الممكن أن تذهب إليها».

أومأ فوناكي برأسه وهو يستعجله كي يكمل.

«والاحتمال الأرجح هو»...

«ماذا؟»

«البنك، ولكنه ليس البنك الذي يودع فيه زوجها نقوده، بل إلى بنك آخر يتعامل معها هي مباشرة وسيكون هناك شرح كثير في حال اكتشف زوجها ذلك صحيح؟».

هز فوناكي كتفيه وقال مبتسما: «اعذرني لغبائي... ولكن ماالذي ستفعله في البنك؟».

«تجارة، تمويل».

«من أجل ماذا؟»

«ربما أرادت أن تدير متجرها الخاص، فلديها أفكارها الخاصة حول الإدارة سواء أكانت مقهى أو محلاً لتأجير أشرطة الفيديو».

ضحك هونما وتابع كلامه: «لقد أمضينا أنا وأنت وقتاً طويلاً في هذه الوظيفة يكفي لكي نكون قادرين على وضع بعض الاحتمالات. فعندما ترتكب المرأة جريمة، لابد أن يكون هناك رجل قد ارتكب خطأ في حقها في مكان ما.

إذا صرفنا النظر عن رغبات النساء، فإنهن لا يملكن الكثير من الدوافع الإجرامية. يرتكبن الجرائم بسبب الرجال. صحيح؟ إذاً

فجرائم النساء هي جرائم عاطفية، حتى جريمة قتل الرضع إذا أردت أن تنظر إليها من هذا المنظار».

«صحيح تماماً».

«صحيح أن هذه هي توقعاتنا نحن. لكن يبدو أن الأمور تغيرت مؤخراً، وليس مؤخراً فقط، بل يبدو أنها بدأت بالتغير منذ فترة لا بأس بها. ففي بعض الأحيان لا يكون هدف المرأة أن تحصل على الرجل بل، وكما أصبح مألوفاً في هذه الأيام، يكون هدفها أن تتخلّص من الرجل. لقد أصبحت المرأة أكثر جرأة وشجاعة، ولذلك فإنها ستتخلص من أي شخص يقف في طريقها».

كان فوناكي على وشك أن يقاطعه، لكنه قرر أن يبقى صامتاً، فتابع هونما حديثه:

«ماذا لو أنها لم تتزوج منذ البداية من زوجها من أجل ماله بل من أجل أعماله؟ ربما قالت لنفسها (بعد أن نتزوج يمكنني أن أضع يدي على هذه الأعمال كلها). إن الفتيات اللواتي يعملن سكرتيرات يصلن إلى أواخر العشرينيات من العمر ليجدن أنفسهن لايزلن ينظفن المكاتب ويحضرن الشاي وهذا يسبب لهن الإحباط. وعادة يكون الزواج هو الحل الأمثل، ولكنه ليس الزواج الذي نعرفه. فالزواج الآن يعني الاستقلالية، والحرية، والدراسة في الخارج والعمل. أي أن جميع المجالات مفتوحة وهذا بالطبع يحتاج إلى المال، بل إلى الكثير منه. وربما تكون تلك الفتاة قد فكرت بالزواج من رجل كبير في السن ولكنه في الوقت نفسه رجل أعمال ناجح كخطوة أولى».

قال فوناكي الذي كان يصغي بانتباه: «لكن الأمور لم تسر كما

خططت لها».

«صحيح. فالزوج أعطاها نقوداً وراح يفرط في دلالها ولم يسمح لها بالاقتراب من أعماله. بل كان يقول لها دائماً (لا تشغلي رأسك الجميل بهذه الأشياء). وهكذا لم يتغير أي شيء بالنسبة لها عن الأيام التي كانت تعمل فيها سكرتيرة».

قال فوناكي محتجاً: «الكثير من الناس يفضلون أسلوب الحياة هذا».

«هذا أكيد، إلا أن بعض النساء لسن كذلك».

«نعم أظن هذا».

«من الصعب أن تتقبل سيدة ذات نزعة استقلالية أن يقول لها رجل ما (لا تربكي نفسك بأشياء صعبة جداً بالنسبة إليك)».

«لقد قيل لي إنها لم تكن تتشاجر مع زوجها أبداً».

«ربما لم تتمكن من ذلك، فربما لم يكن يأخذ كلامها على محمل الجد لدرجة أن يتشاجر معها، ومن يعلم قد تكون هذه ضربة أكبر لكبريائها. لذلك من المحتمل أنها كظمت غيظها وراحت تدبر له مكيدة».

صمت هونما قليلاً ليفكر ثم قال:

«والأسوأ من هذا كله أن عليها أن تبرهن أنها ليست أقل قدرة أو ذكاء منه، والتخلص منه كان الطريقة المثلى، وهكذا غافلته وأخرجت كل الغضب المستعر بداخلها».

يبدو الآن وكأن فوناكي استلم لتوه فاتورة الطعام الفرنسي في مطعم المعكرونة.

«لكن ماذا عن الشريك؟ لابد أن هناك شريكاً وهو على الأرجح حبيبها. صحيح؟ لابد أن هناك رجلاً قدم لها المساعدة، أقصد من المحتمل أنه هو من نفذ الجريمة».

«لكن لا يوجد أي أثر لرجل صحيح؟».

«ربما لم أبحث جيداً في الأماكن الصحيحة».

قال هونما بلهجة جافة: «أشك في هذا، إن لم يكن هناك أثر لرجل فعليك أن تفكر في احتمال أن يكون شريكها في الجريمة امرأة، وربما تكون إحدى الفتيات اللواتي كن يعملن معها في المكتب نفسه، اتفقتا على إقامة مشروع معاً، بعد أن تساعدها على التخلص من الزوج المستبد. تخيل هذا، سيدتان تجلسان معاً وتخططان. وإذا عملتا معا، فباستطاعتهما أن تطعنا رجلاً حتى الموت من دون أن يرف لهما جفن».

تنحنح فوناكي وقال وقد بدا مذهولا: «هذا ما حدث فعلاً، فالزوجة لديها صديقة مقربة جداً وقد ساعدتها في كل ترتيبات الجنازة».

«جيد، من الممكن أن تكون هي شريكتها».

قال فوناكي مكشراً: «سأتحقق من هذا».

كان هونما على وشك أن يشجعه ويقول: «هذا هو العمل الجيد». لكنه بدلاً من ذلك بقي صامتاً.

لقد خطر له هذا كله بفضل شوكو سيكين: لا ترتكب النساء الجرائم بسبب العاطفة دائماً.

لقد سرقت السجل العائلي لشخص ما وانتحلت شخصيته،

ولما أحست بأن أمرها سينكشف تخلت عن فكرة الزواج التي كانت تخطط له وهربت، ما الذي كانت تسعى إليه؟ وما الذي دفعها للقيام بكل هذا؟

لم يكن هونما يعرف، ولكنه كان متأكداً من أمر واحد وهو أنها لم تفعل ما فعلته بدافع الحب أو بسبب رجل ما، ولا لأي سبب له علاقة بالعاطفة.

تلك الشخصية التي انتحلتها لا علاقة لها بتاتاً برغبتها في الزواج بجان. فعلاقتها به جاءت بعد ذلك جزءاً من الحياة المزيفة التي خلقتها لنفسها تحت هذا الاسم المزيف. ولما ظهر خلل ما يهدد تلك الحياة، تركت الناس الذين تعمل معهم في شركة إيماي بالإضافة إلى جان أيضاً ومن دون أن ينتابها أي شعور بالأسف على ما يبدو.

لقد هربت، حدث هونما نفسه، ولكنه لا يعرف إلى أين، إنما هناك أمر ما دفعها للهروب. ومع ذلك، فقد كان يتعاطف معها في أعماقه، إنها امرأة وحيدة وهي تتحمل كل هذا الآن وحدها، وليس لديها من يقف إلى جانبها ويساندها.

كانت مثل الحائط المغطى بورق جدران رسمت عليه أزهار ملونة، وتحت هذه الأزهار مباشرة طبقة سميكة من الإسمنت المنيع الصلب والقاسي. إنها امرأة ذات إرادة فولاذية، تعيش وحدها من دون أي شخص آخر. ومثل هذه المرأة نادراً ما كنت ترى مثلها في اليابان قبل عشر سنوات.

رجع إيساكا وماكوتو إلى البيت بعد خروج فوناكي مباشرة.

قال الصبي متذمراً: «لم نجد بلوك هيد، هل تظن أنه مات؟ لقد قال العم فوناكي إنه إن أُصيب بمكروه، فسيجده مأوى الحيوانات مباشرة».

«إن بلوك هيد كلب لطيف، وأي شخص يمر به ويقول (هيه أيها الكلب الصغير) سيجعله يقفز نحوه في الحال».

استند ماكوتو إلى الحائط وراح يبكي، في حين نظر هونما وإيساكا إلى بعضهما.

«أبي».

«نعم؟» كان هونما يتوقع ما سيقوله ماكوتو.

«يوجد الكثير من الكلاب في مأوى الحيوانات».

تابع ماكوتو: «هل سيقتلون كل تلك الكلاب؟ لماذا يريد الناس التخلص منها؟ لم لا يريدون الاحتفاظ بها؟».

فرك إيساكا جبينه وحدّق في الأرض.

«لا أعرف، أنا لا أفهم ما الذي يدفع الناس للقيام بأشياء كهذه، كل ما أعرفه هو أننا لا نحب هذه الأشياء ولا نقوم بها في هذه العائلة. وإذا رأينا أحدهم يفعل أمراً كهذا، فإننا نفكر في طريقة لمنعه. على أيّة حال، نحن نحاول أن نبذل جهدنا. صحيح؟».

انحنى إيساكا قليلاً لينظر في وجه ماكوتو ثم قال:

«كما قالت العمة هيسي، هناك الكثير من الحمقى في هذا العالم، فالأشخاص الذين يحصلون على حيوانات أليفة ثم يرمونها عندما يحسون بأنها تشكل عبئاً عليهم، هم مجرد

أشخاص معتوهين». ثم لكزه بمرفقه وأضاف: «من الأفضل أن تنظف هاتين اليدين، سأجهز الحمام لك. لابد أنك مرهق».

نظر ماكوتو إلى إيساكا نظرة تدل على أنه لم يكن راضياً، ثم توجه ببطء نحو المطبخ. عندها تنفس الرجلان الصعداء.

«إن تلك الأماكن المستعملة مأوى للحيوانات مزعجة حقاً. إنه مكان مثير للاشمئزاز نوعاً ما».

«آسف لأني أقحمتك في هذا الأمر».

«لا، لا بأس. لكن مع هذا، يوجد حقاً الكثير من الكلاب في ذلك المكان».

مشى خطوة باتجاه المطبخ ثم توقف ومد يده داخل سترته وقال لهونما:

«عندما كنا نهم بالخروج، اتصل شخص وقال إن الصورة المكبرة جاهزة، وبما أن محل التصوير كان في طريقنا، فكرت بأن أمر به وأحضرها كي أجنبك عناء الذهاب إلى هناك».

المكبرة؟ لقد نسي هونما أمرها تماماً. يبدو أنه أهملها، فقد شعر بأنها ليست ذات أهمية.

«أوه، لقد غابت عن ذهني تماماً».

أخرج إيساكا الصورة من المغلف وقال:

«حسب ما قاله الرجل في محل التصوير، الصورة الأصلية لم تكن واضحة كثيراً، لذلك كلما كبرت، ضاعت معالمها ولن تستطيع تحديد ما فيها. لذلك فقد كبرها بقدر ما يستطيع».

كانت الصورة أصغر من ورق الرسائل بقليل. بدا البيت البني

ضخماً ومسطحاً، لكن لم تكن هناك تغييرات مهمة أخرى، وكما قال الرجل، إن تكبيرها سيجعلها تحتوي على حبيبات.

كل ما استطاع هونما تمييزه كان البيت والسيدتان وتلك المصابيح....

في البداية ظن أن عينيه تخدعانه، فأسرع إلى المكتب وأحضر العدسة المكبرة. لكن لا، لم يكن يتخيل.

«ماذا هناك؟».

نظر هونما إليه وأعطاه الصورة قائلاً: «أنت تتابع البيسبول أليس كذلك؟».

«أجل».

«هل حضرت مباراة من قبل؟».

«نعم، أذهب عادة إلى المباريات التي تقام في الملعب الكبير قرب طوكيو».

قال هونما متحمسا: «جيد، إذاً يجب أن تعرف، هل هناك أي ملعب يحتوي على مصابيح يمكن عكس اتجاهها؟ أي أن ضوء المصابيح يصبح متجهاً نحو خارج الملعب؟».

«ماذا؟ ماذا تقصد؟».

أشار هونما إلى الأضواء التي في الصورة وقال: «هذه بالتأكيد تبدو أضواء ملعب، ما رأيك أنت؟».

وضع إيساكا نظارات القراءة وقال: «نعم، لكن»...

«إذاً نعلم الآن أن هذا البيت يقع قرب ملعب موجود في مكان ما. صحيح؟»

«أظن أننا نستطيع أن نراهن على هذا».

نقر هونما بإصبعه على المصابيح كل في دوره وقال: «حسناً ما رأيك في هذه؟ انظر إلى هذه المصابيح. إنها تتجه نحو البيت، لابد أنها أديرت نحو الخارج، إذ لا يوجد ملعب بداخله بيت. أليس كذلك؟».

لا شك أن المصابيح كانت متجهة نحو البيت البني الذي بلون الشوكولا.

«هل رأيت مثل هذا الملعب من قبل؟».

حدق إيساكا في الصورة التي بين يديه ثم أجاب ببطء: «من الواضح أنك لا تتابع البيسبول».

«ولم أكن كذلك في يوم من الأيام».

هز إيساكا رأسه: «لو أنك رأيت هذه المصابيح على أرض الواقع، لعرفت مقدار صعوبة تحويل اتجاهها».

«إنها ضخمة. أعرف هذا».

«إن الغرض من هذه المصابيح هو أن تنير أرض الملعب، فتغيير اتجاهها نحو الخارج..»...

«ماذا لو أن كل واحد منها كان يدور على محوره؟ أوتوماتيكياً».

كان هونما على وشك أن يعترف أن هذا يبدو سخيفاً.

قال إيساكا ضاحكا: «هذا الخبر سيحدث ضجة كبيرة إن استطاعوا أن يفعلوا شيئاً كهذا. إن المكان مظلم جداً خارج ملعب ميجي، مثلاً. إذا تمكنوا من توجيه المصابيح نحو الخارج

بعد المباراة، فهذا بالتأكيد سيساعد الجمهور على رؤية طريق العودة إلى البيت».

وضع هونما الصورة جانباً وأخذ يحك رأسه.

# ✧ 13 ✧

لما اتصل هونما من بيته ليتأكد من عنوان نادي لاهاينا، قامت سيدة بإعطائه التعليمات بدءاً من القاطرة القديمة أمام محطة شيمباشي، وهي من أشهر أماكن الالتقاء وسط طوكيو. كانت فخورة بإخباره أن النادي لايزال يعمل تحت إشراف المالك نفسه والمديرة نفسها منذ أول يوم افتتح فيه قبل عشر سنوات.

شعر هونما بأنه محظوظ. ففي عمل ذي طبيعة متبدلة كهذا، من الغريب أن الإدارة واسم النادي لم يتغيرا حتى في السنتين الأخيرتين.

لما عاود الاتصال بمكتب المحامي، كان ميزوجوتشي قد ترك له رسالة عند مساعدته التي كانت المعلومات جاهزة أمامها. عندها رسم هونما وبسرعة جدولاً زمنياً لسنوات شوكو سيكين الماضية.

- آذار 1983 وصلت إلى طوكيو وعملت في شركة كاساي.
- صيف 1984 بدأت الديون تتراكم وانتقلت من سكن الموظفين إلى شقة صغيرة في كاسل مانشن–كينشيتشو.
- نيسان 1985 بدأت العمل بدوام جزئي في نادي جولد–شينجوكو.
- ربيع 1986 دخلت المستشفى لعشرة أيام بسبب الإرهاق الناتج

عن كثرة العمل، وأصبحت الديون أسوأ.

- كانون الثاني 1987 بدأ محصلو الديون يضغطون عليها واستقالت من شركة كاساي.
- حزيران 1987 أعلنت إفلاسها، ثم تركت الشقة في كاسل مانشن كينشيتشو وانتقلت للسكن مع زميلتها في نادي جولد ( تومي مياجي).
- شباط 1988 تركت العمل في نادي جولد، وانتقلت لتعمل في حانة لاهاينا– شيمباشي كما تركت شقة زميلتها مياجي وانتقلت إلى مجمع كاواجوتشي السكني.
- 25 تشرين الثاني 1989 توفيت والدتها في أوتسونوميا.
- 25 كانون الأول 1990 زارت المحامي ميزوجوتشي لتناقش معه موضوع تأمين والدتها.

ثم بعد ذلك اختفت في 17 آذار.

وضع هونما خطة للعمل بعكس الجدول الزمني. ولأنه كان في مكتب ميزوجوتشي مؤخراً، فقد كانت خطوته التالية نادي لاهاينا، وبعدها سيتجه إلى أوتسونوميا أو إلى جولد، أو ربما سيحاول أن يجد شريكتها في السكن المدعوة تومي مياجي، هذا كله يعتمد على ما ينتظره في لاهاينا.

بالكاد لمس ماكوتو عشاءه، لقد فشلت عملية البحث عن بلوك هيد وهو الآن يشعر بالكآبة.

عندما ألقى هونما نظرة على الغرفة وهو في طريقه إلى الخارج كان

الصبي منهمكاً بمكالمة هاتفية طويلة، لم يكن بإمكانه أن يتذمر فالأفضل أن يتركه وشأنه في الوقت الحاضر.

استقل سيارة أجرة إلى المحطة ومن هناك ركب القطار. كان قد قرر ألا يأخذ مظلته، فهو الآن يعرج من دون مساعدة ويجب عليه أن يكون قوي الإرادة، إذ ليس هناك أية مؤشرات واضحة على شفاء ركبته المصابة.

لقد مرت أربعة أيام فقط منذ أن جاء إليه جان لأول مرة، الاثنين الماضي.

إن علاج ركبته يتطلب جلستين في الأسبوع، وهو يذهب عادة كل اثنين وجمعة، ولن يرتكب جريمة إذا لم يذهب اليوم، خصوصاً أنه عاد إلى مزاولة نشاطه المعتاد وساقه على هذه الحال. من المحتمل أن يتحسن بشكل أسرع بهذه الطريقة، أو ربما هو من أقنع نفسه بهذا.

بعد أن خرج من مستشفى الشرطة بدأ يرتاد أحد النوادي الرياضية بناء على نصيحة أحد الأصدقاء، وقد بدت له فكرة القيام بالتمارين فكرة جيدة، خاصة وأن النادي يتعامل مع عدد من المشافي الخاصة مما أتاح له الفرصة ليطلب من أحد الأطباء أن يعد له برنامج تمارين خاصاً. لم يكن النادي مركز إعادة تأهيل بكل معنى الكلمة، كما إنه في الوقت نفسه ليس عيادة خارجية.

كانت المعالجة الفيزيائية التي تساعده سيدة في منتصف الثلاثينيات، من أوساكا، لطيفة نوعاً ما كما كان يراها. فبينما يقوم بالتمرينات ويتصبب عرقاً، كانت تشجعه بلهجة مختلفة عن لهجته.

حتى هنا في طوكيو، التي يضيع فيها كل شيء، نجح أهل أوساكا

في الحفاظ على طابعهم الخاص، ربما يكونون قد غيروا لهجتهم إلى اللهجة اليابانية النموذجية المعتمدة في الكتب لكن لكنتهم الخاصة بقيت هي نفسها. كان عليه أن يعترف بأن هذا لا يعني أنها لم تكن جذابة.

إن هونما نفسه لم يكن لديه ما يسمى بالموطن الأصلي حتى تغلب على كلامه لكنة ذلك البلد.

كان والده من توهوكو في أقصى الشمال، وهو الابن الثالث لمزارع فقير. اتجه إلى طوكيو بعد الحرب مباشرة باحثاً عن عمل فانتهى به الأمر شرطياً. لقد كانت لديه أسبابه لكن (تطبيق العدالة) لم يكن واحداً منها. ففي تلك الأيام لم يكن الشعب الياباني مسلوب الكرامة ومن دون قضية يدافع عنها فقط، بل كانت أوعية الأرز في البيوت فارغة أيضاً، بالإضافة إلى هذا لم يكن مسموحاً للجميع بالانتقال من القرى والذهاب الى طوكيو، إلا أن الالتحاق بالشرطة كان يعطيك الحق في العيش هناك بشكل تلقائي.

بالنسبة إليه، أن يصبح شرطياً كان السبيل الوحيد للبقاء على قيد الحياة، ولذلك لم تستطع والدة هونما أن تستوعب لماذا يجب على ابنها أن يمشي على خطا والده، فكانت دائماً تتذمر قائلة: «لا تقل لي إنه شيء يسري في عروقكما». حتى الرجل المسِّن أيضاً، كان يشعر بالأسف من أجل زوجة هونما منذ البداية، لقد اعتاد أن يقول لها:

«إذا شعرت يوماً بأنك تريدين أن تتركيه، ليس عليك إلا أن تقولي ذلك وسأجبره على دفع المال لتربية ماكوتو».

وكانت شيزوكو تبتسم دائماً عندما يقول لها هذا الكلام.

كانوا ثلاثتهم من الشمال، والداه وزوجته، وجميعهم رحلوا الآن. والدته ووالده كانا من القرية نفسها. أما شيزوكو، فكانت من نيجاتا ذات الثلوج الغزيرة.

كلما ذهب مع شيزوكو لزيارة أسرتها، كان هونما يشعر بأنه رجل غريب، ليس له جذور وما من مكان يمكن أن يسميه (وطنه).

ولقد اعتادت شيزوكو أن تمازحه قائلة: «لكنك من طوكيو أيها الفتى». إلا أن هونما لم يكن يعتبر نفسه مواطناً أصلياً، فهناك فارق لا يمكن وصفه بدقة بين أن تكون مولوداً في طوكيو وأن تكون ابن طوكيو. يقولون إنه بعد ثلاثة أجيال متعاقبة تصبح طوكيو وطنك. ولكن هل يشعر المرء حقاً بصلة الدم بينه وبين المكان؟ هذا هو السؤال الأهم.

هل تستطيع أن تقول عن طوكيو إنها مسقط رأسك أم أنها مكان الولادة والنشأة فقط؟

إن المدن في أيامنا هذه ليست مكاناً مناسباً لتعمق جذورك فيها، فهي مجرد أرض قاحلة غير محروثة لا ماء فيها. ليس لتربتها أية رائحة ولا ينمو فيها أي شيء، والناس هناك كالأعشاب الضارة يعيشون على ذكريات الجذور التي غرسها آباؤهم أو أجدادهم في مكان آخر، غير أن هذه الجذور ذبلت وجفت.

هذا يفسر سبب شعور هونما بشيء من الحزن عندما يتجول في المدينة في أثناء عمله ويصادف شخصاً يمكن أن تحدد هويته من لكنته باعتبار أن له موطناً أصلياً. إنه يشعر مثل ولد يلعب في الخارج وقت الغروب ثم يبدأ أصدقاؤه بالذهاب إلى بيوتهم لتناول العشاء واحداً

تلو الآخر إلى أن يبقى وحيداً في النهاية.

في الساعة الثامنة والنصف مساء، دفع هونما الباب ودخل إلى نادي لاهاينا، فرحبت به فتاة لم تتجاوز العشرين من عمرها. وهنا أيضاً سمع لكنة جديدة، لكنة جنوبية من هاكاتا، كانت واضحة جداً لا يمكنه إلا ينتبه إليها. هل كانت شوكو سيكين تتحدث بلكنة أهل أوتسونوميا عندما جاءت للعمل هنا يا ترى؟

بعد عدة دقائق كان هونما يقف أمام المديرة أو كما تسمى الماما سان، والتي قالت له بهدوء: «اعذرني لكن أنت من الشرطة، أليس كذلك؟».

«كيف عرفت؟».

هزت السيدة كتفها المكشوفة، فقد كانت ترتدي واحداً من تلك الأثواب ذات الشريط الواحد الذي يظهر أحد الكتفين والقسم الأعلى من الصدر.

كانت المساحة المتواضعة في المحل قد شغلت بمقعدين وطاولة على شكل حدوة حصان، أما الديكور فقد كان بسيطاً بكل معنى الكلمة، عبارة عن لوحة واحدة لشجرة ضخمة وضعت على أحد الجدران ولم يكن هناك الكثير من الموظفين، فقط نادلتان ومساعد شاب وكلهم يعملون بدوام جزئي على الأغلب. الفتاة التي تتحدث بلهجة أهل هاكاتا كانت تبدو أصغر من الأخرى.

جلس هونما عند طرف الطاولة في حين جلست خلفها الماما سان والساقي الذي ذكر هونما بإيساكا بعض الشيء. على الطرف المقابل من الطاولة وضع إناء من الزهور إلا أنها كانت زهوراً اصطناعية.

مثل هذه الحانات الصغيرة تكون هادئة في العادة، لا يوجد فيها كارا أوكي مثل حانة باتشوس ولم ينفق الكثير من النقود على الأثاث والتجهيزات كما في الحانات الكبيرة، فلا حاجة لجذب الزبائن العابرين، المكان ليس أكثر من مأوى لموظفي الدرجة المتوسطة فقط وليس لمن هم أعلى أجراً منهم، فهو مكان لشرب زجاجة من الشراب خلسة.

حتى الآن ومع وجود أربعة زبائن في الحانة، كل واحد منهم يشرب وحده، كان المكان مريحاً إلى حد ما وربما هذا هو السبب في استمراره لعشر سنوات.

عندما حاول هونما أن يقول: «كنت أعرف شخصاً يعمل هنا». قاطعته السيدة قائلة:

«أنت في مهمة، أليس كذلك؟».

«ألن تخبريني أولاً كيف عرفت أنني شرطي؟ ثم ألا يستطيع المرء أن يأتي إلى المكان الذي كانت تعمل فيه حبيبته، كرمى للأيام الخوالي؟».

جعلها كلامه تضحك: «لا يأتينا عادة أشخاص مرهفو الحس إلى هذه الدرجة، ثم إنني في العادة أعرف من هم أصدقاء الفتيات اللواتي يعملن هنا، لذا لن تستطيع خداعي».

ثم مدت يدها فوق الطاولة وقالت: «إذاً ألن تريني الشارة؟».

«ألن أزعج بهذا بقية الزبائن؟».

«أجل، ربما هذا سيفسد الأمور قليلاً». وعضت على شفتها اللامعة وهي تفكر ثم سألته:

«أنت من ساكورادامون؟ أم من هنا... لنقل من ماروندتشي؟».

«وهل يأتي الناس من مارونوتشي الى هنا ليشربوا؟».

«ربما يشعرون بالراحة أكثر خارج منطقتهم، بالطبع هم لا يقولون إنهم من الشرطة لكنني أعرفهم».

«وكيف تكشفينهم؟».

«إنه مكتوب على وجوههم، لهم عيون كعيون الصقر، أتسمح؟».

ومالت إلى الأمام لتلقي نظرة عن قرب.

«شكراً».

«إذاً أنت من ساكورادامون؟».

«أجل».

«جرائم قتل؟ ولم كل هذه السرية؟ أنت تبدو أكثر استقامة من أغلب الشبان هناك».

«أجل جرائم القتل».

ولم لا؟ ثم أخرج بطاقته التي لا تتضمن اسم المهنة وألقاها على الطاولة.

التقطت السيدة البطاقة بكلتا يديها وقالت: «السيد هونما؟ حسن إذا ما هو عملك؟ وما الذي تريده من فتياتي؟».

تحرك قليلاً وهو جالس في كرسيه ثم قال:

«ربما تذكرين فتاة تدعى شوكو سيكين، لقد عملت هنا حتى شهر آذار من العام قبل الماضي؟».

نظرت السيدة إلى هونما أولاً ثم التفتت إلى الساقي وقالت:

«هل سمعت هذا كيكوتشي؟ إنه يسأل عن شوكو».

كيكوتشي، والذي كان يجفف بعض الكؤوس، أومأ برأسه قائلاً:

«أجل لقد سمعت».

قال هونما ملتفتاً إليه: «إذاً هناك سبب ما يجعلك تتذكر هذا الاسم؟».

«لقد اختفت فجأة، بووف!! حتى من دون أن تأخذ أجرها».

مالت السيدة إلى الأمام ضاغطة بجسمها على الطاولة فانزلق ثوبها ليكشف عن كتفها اليسرى وقالت:

«كما قال لك، هذا لم يحدث من قبل أبداً ولا حتى بعد ذلك».
ووضعت يدها اليمنى على قلبها وكأنها تعيش الذكريات من جديد، ثم رفعت بصرها وقالت وقد اتقدت عيناها: «إذاً أنت تبحث عن شوكو؟».

«هي بعينها».

«ماذا... هل كانت...؟».

«لا، الأمر ليس بهذا السوء ولهذا السبب لا أريد إخراج شارتي».

حان الوقت لسرد قصة جان العاطفية.

«لقد كانت مخطوبة لقريبي ويبدو أنها خافت من شيء ما وهربت، وحسب معرفتي بقريبي هذا، فأنا لا ألومها، ولا أنوي بكل تأكيد أن أضغط عليها. كل ما يهمني في الأمر هو أنه استدان مبلغاً من المال عن طريقها، وأرى أنه يجب أن يعيد النقود، لكنه يفضل أن ننسى الأمر. إن مثل هذه الأمور لا تعالج بهذه الطريقة، ثم إنني لا أريد أن أتورط في الموضوع فيما بعد».

نظرت الماما سان والساقي إلى بعضهما، وبالنظر إلى الساقي من

الأمام وجده هونما أفضل من إيساكا.

سألت الماما سان متلعثمة: «شوكو خطبت إذاً؟ وهل قريبك هذا يعمل شرطياً أيضاً؟».

«لا، إنه موظف بنك».

«شوكو التي نعرفها كانت على وشك أن تصبح زوجة موظف بنك؟».

«ماذا؟ لا تبدو من هذا النوع؟».

«لا، الأمر ليس كذلك، لكن..... كيف أقول هذا؟ لم تكن من الأشخاص الذين يحبون الحياة العائلية».

«ألم تكن مدبرة منزل موهوبة؟».

قالت السيدة بابتسامة: «ليس تماماً، فلم تكن تهتم كثيراً بالتنظيف أو غسل الصحون».

إنها بعيدة كل البعد عن (شوكو سيكين) التي فرت من شقة هونانتشو.

كانت الماما سان قد تجاوزت الأربعين على الأغلب، حسب اعتقاد هونما، وعلى الرغم من وزنها الزائد وذلك الذقن الإضافي فهي لاتزال تلهب القلوب بنظراتها.

«آسفة. لكنني حقاً لا أعرف أين يمكن أن تكون، فنحن لم نسمع عنها شيئاً منذ أن تركتنا بتلك الطريقة، حتى إنها لم ترسل بطاقة معايدة».

خذ المعنى الظاهري لكلماتها أو اقرأ ما بين السطور: حسناً لقد سمعنا ما لديك ولكن لسنا بالضرورة نصدق قصتك، وحتى لو كنا

نعرف أين هي فما الذي يجعلك تظن بأننا سنخبرك عن مكانها؟

ابتسم هونما وقال: «بالتأكيد أنا لم آت إلى هنا متوقعاً أن تقدموا لي المساعدة، لكنني كنت آمل فقط لو تخبروني كيف كان سلوكها عندما كانت تعمل هنا، أو ربما تعطوني اسماً واحداً أو اسمين من معارفها».

وقبل أن تتمكن الماماسان من الإجابة أضاف قائلاً:

«كان قريبي يعلم بأنها تعمل في حانة. فالكثير من السكرتيرات يعملن بدوام جزئي هذه الأيام، أليس كذلك؟ هذا الموضوع لم يكن يزعجه. لذا لم يكن هو سبب الخلاف بينهما، لكنه فتى مدلل قليلاً وقد بنى الكثير من الآمال على هذه الفتاة».

«إن هذا يحدث بكثرة هذه الأيام».

قال هونما محاولاً أن يستدرجها في الكلام:

«لم تكن شوكو من الأشخاص الذين يبذرون المال أليس كذلك؟ فقد كانت تبدو إنسانة عملية أكثر من خطيبها».

لا بد أنها أصبحت هكذا بعد أن أفلست، فقد كانت مضطرة أن تعيش ضمن إمكانيتها.

يبدو أن الماما سان ابتلعت الطعم فقد قالت:

«بل ربما تكون بخيلة بعض الشيء».

«هل بقي أحد ممن كانوا يعملون معها هنا؟»».

«دعنا نرى... نعم ماكي». ونظرت إلى إحدى النادلتين ثم تبع هونما نظراتها إلى أن وقع نظره على الفتاة الكبرى مما أثار سخط أحد الزبائن الذي كان موظفاً طاعناً في السن يجلس بهدوء.

«هل كانت علاقة الآنسة سيكين ببقية الموظفين علاقة جيدة؟»».

رفعت الماما سان حاجبيها المتقوسين وقالت: «كانت فتاة طيبة».
كان هذا جواباً غامضاً.
تناولت كأساً فارغة وملأته بالثلج، ثم قالت: «لقد أصبح كأسك مملوءة بالماء».
أخرج هونما صورة شوكو سيكين المزيفة ووضعها أمام السيدة قائلاً:
«بما إنك على اطلاع دائم بحياة الفتيات الخاصة، فهل تعرفين إن كانت هذه الفتاة إحدى صديقات شوكو؟ فعلى ما يبدو أنها تقيم معها الآن».
نظرت السيدة إلى الصورة بتأمل، ثم أشارت إلى الساقي بإيماءة من رأسها كي يأتي ويلقي نظرة. بعد ذلك أمسكت بكوب مليء بأعواد الشوكولا وقالت بصوت عال:
«ماكي، هلا أخذت هذه إلى الخارج؟» وبينما كانت تمررها إلى الفتاة الكبرى همست قائلة:
«هل تتذكرين شوكو سيكين؟».
قالت ماكي التي كانت تضع ماسكارا سميكة لافتة للانتباه: «أتذكر من؟».
«أنت تعرفينها، تلك الفتاة الكئيبة».
«نعم، نعم. تذكرت».
فاحت رائحة البرتقال من نفسها عندما تكلمت، ثم ابتسمت في وجه هونما ابتسامة خفيفة.
«هل كان لدى شوكو صديقة تشبه هذه الفتاة؟».

أضاف هونما: «هل رأيت هذا الوجه من قبل؟ هل ذكرت يوماً أي شيء يتعلق بأي من صديقاتها؟».

هزت ماكي رأسها فتحركت موجة من العطر في شعرها: «لا، آسفة فهي لم تكن تتحدث كثيراً».

«هل تتذكرين شيئاً بخصوص أنها كانت تعيش في شقة في كاواجوتشي؟».

«كاواجوتشي؟ ربما، على أيّة حال كانت تعيش في مكان ما في سايتاما، لقد اعتادت أن تنهي عملها قبل أن تتوقف القطارات لأن كلفة سيارة الأجرة كانت باهظة جداً، أليس كذلك ماما سان؟».

أومأت الماما سان برأسها موافقة.

«هل ذكرت يوماً أين كانت تعمل قبل أن تأتي إلى هنا؟».

«قالت إنها كانت تعمل في شركة عادية».

«نعم تدعى شركة كاساي التجارية».

«آه حقاً؟ لم يكن الاسم يعنيني كثيراً، كل ما قالته إنها تقع في مكان ما بالقرب من إيدوجاوا».

هذا مثير للاهتمام، من الواضح أنها كانت تخفي أمر عملها في حانة جولد، لا بد أن لها ذكريات في هذا المكان فقد كانت تعمل هناك عندما أفلست.

إذاً حتى شوكو سيكين الحقيقية كذبت بشأن ماضيها وخبأت بعض التفاصيل عندما بدأت العمل في وظيفة جديدة، وبالتأكيد لم تقل أية كلمة لأي شخص عن موضوع الإفلاس.

«هل كان لديها صديق حميم؟».

ضحكت الماما سان، لكن جوابها كان واضحاً «ليس شخصاً كنت أعلم بشأنه، فقد كنت على علم بكل تلك الأمور».

قالت ماكي من دون أن يسألها: «لقد كانت غريبة الأطوار بعض الشيء وتعيش في عالمها الصغير الخاص بها، إذا طلب منها أحدهم الخروج معه كان عليه أن يرجوها كي تذهب، حتى مع الزبائن الجيدين الذين كان بإمكانك أن تقسم أنهم لا يريدون سوى اصطحاب فتاة معهم لتناول وجبة من الطعام».

وفجأة تكلم الساقي «هيه... إنه رأيي الخاص، لكنني أظن أن شيئاً ما في عينيها كان يقول إنها كانت في حاجة ماسة إلى المال».

دقق هونما جيداً في وجه الساقي الذي كان يحدق في الصورة ثم سأله: «ما الذي جعلك تظن ذلك؟».

التفت إليه كيكوتشي وقال: «الحاسة السادسة على ما أعتقد».

«أليس هناك سبب محدد؟».

«لا».

«أتظن أن أحد الرجال قد قام بخداعها بهدف الاستيلاء على مالها؟».

استرعى السؤال اهتمام ماكي فقالت: «هذا مستحيل».

«آه، حقاً؟»

التقطت ماكي أعواد الشوكولا وابتعدت وقد ارتسمت على وجهها ملامح مزيفة تدل على الضجر.

«هل تقصدون أن الآنسة سيكين لم تكن اجتماعية؟».

«ليس كثيراً، فلم تكن تشاركنا في أي شيء ولم نذهب سوية

في أية رحلة أبدا».

قبل أن يغادر هونما البيت كان فوناكي قد اتصل به ليخبره بأن شوكو كانت تملك رخصة قيادة لكن لم يكن لديها جواز سفر، فتذكر هونما الآن أن يسألهم عن هذا الأمر فقال:

«هل سافرت يوماً خارج البلاد؟».

أجابت الماما سان مباشرة: «لا، لكن ليس لأنها لم تكن تريد الذهاب معنا بل كانت تخاف ركوب الطائرة. فهي لم تسافر أبداً بالطائرة حتى داخل البلاد؟».

«أبدا؟».

«إطلاقاً، هل ترى صورة الشجرة تلك؟ هل تعرف ما هذه؟».

وأشارت إلى صورة موضوعة في إطار على الحائط: «هذه الصورة أخذت في هاواي، في بلدة تدعى لاهاينا في جزيرة ماوي، إنها شجرة ضخمة جداً وتعتبر رمزاً للبلدة. لقد تزوجت أختي من رجل أمريكي وهي تعيش في ماوي غير أنها تزورنا كل سنة، وكلما جاءت كانت تدعو الفتيات للذهاب معها... لكن شوكو لم تذهب ولا مرة على الرغم من أن الدعوة كانت مفتوحة، فهي لم تكن تحتمل فكرة ركوب الطائرة».

إذاً لهذا السبب لم يكن لديها جواز سفر. ألم تكن شوكو سيكين المزيفة على علم بهذا؟ لأنه إذا كانت شوكو الحقيقية لا تملك جوازاً، فليس هناك أي سبب يمنع شوكو المزيفة من السفر مع جان إلى خارج البلاد وهذا يثير مسألة أخرى على قدر من الأهمية. فقبل أن تنتحل شخصية المرأة الأخرى لا بد وأنها قامت بكل ما يلزم. فشخص بهذا

الدهاء وهذا الحرص لن يغفل أمراً مهماً مثل جواز السفر أو رخصة القيادة أليس كذلك؟ ولا بد أنها حصلت على كل المعلومات المتعلقة بها قبل أن تقرر أنها هي الشخص المناسب. وهذا بالطبع يتطلب أن تكون قريبة منها بما يكفي لتتمكن من جمع كل هذه المعلومات.

هل يمكن أن تكون إحدى زميلاتها في شركة كاساي أو في حانة جولد؟ لكن لا، هذا الاحتمال غير وارد لأن أيَّة واحدة من زميلاتها في كلا المكانين لابد وأن تعرف بسهولة إن كانت شوكو تملك جواز سفر ورخصة قيادة أم لا. حتى إنها يمكن أن تعرف عنوانها الدائم المذكور في السجل العائلي، ومن المحتمل أن تكون على علم بموضوع الإفلاس.

صحيح، فربما يكون الموظفون في شركة كاساي لا يعرفون الكثير عن تفاصيل حياتها الشخصية بعكس الفتيات اللواتي قابلتهن بعد ذلك في جولد، كما إنها استقالت من الشركة قبل أن تعلن إفلاسها. لكن من المؤكد أنهم كانوا يلاحظون كم كانت في حاجة إلى النقود. إن شخصاً يتمتع بهذا الذكاء ليخطط لكل هذا سيكون قادراً على جعلها تتحدث عن ديونها. لكن بماذا أجابت شوكو يا ترى؟ ربما قالت إنها استدانت المال من والدتها، أو إنها وجدت من يكفلها ويسدد ديونها. ولكن حتى في هذه الحالة لا بد أن شوكو المزيفة تحققت من الأمر. وعلى الأغلب أنها استطاعت أن تكتشف أمر الإفلاس وبكل بساطة، فقط اضرب على الوتر الحساس وستعترف وحدها.

إذاً كيف افتضح أمر خطيبة جان بعد أن وافقت على طلب الحصول على بطاقة ائتمان وهي تعرف بأمر الإفلاس.

هل يمكن أن تكون شوكو المزيفة قريبة جداً من شوكو الحقيقية لتتمكن من معرفة تفاصيل حياتها الشخصية، ولكن ليس لدرجة أن تعرف بأمر الإفلاس، أي نوع من الصديقات هذه؟

مرة أخرى عرض هونما صورة شوكو سيكين المزيفة على الماما سان وسألها:

«ألم تري هذه المرأة نهائياً؟ ولم تأت إلى هنا حتى كزبونة؟».

هزت رأسها بالنفي من دون أي تردد وقالت: «لا. ثم إنني لا أنسى الوجوه».

والساقي أيضاً لم يكن قد رآها.

«لا أعتقد أنكم تحتفظون بصورة للآنسة سيكين، أليس كذلك؟».

قالت الماما سان وهي تهز كتفيها: «ليس هناك ضرورة لذلك».

«عندما توفيت والدتها في أثناء عملها هنا، هل شكل هذا صدمة كبيرة لها؟».

هذه المرة جلست الماما سان بشكل مستقيم وقالت: «يا إلهي، لقد كانت قصة مريعة، فقد سقطت عن السلالم وهي ثملة».

«أية سلالم؟ فأنا لم أطلع على كل التفاصيل».

«ربما في أحد المزارات؟ أو في متنزه؟».

وبينما كان أحد الزبائن متجها نحو الباب، قالت ماكي: «لا أعرف، لا تسألني».

إلا أنها وبينما كانت ترفع الكؤوس عن الطاولة، اتسعت عيناها ذات الماسكارا الكثيفة وصاحت:

«لا، انتظر لقد ذكرت شوكو أمراً واحداً حينها هل

تذكرين ماما؟»

لكن لا الماما سان ولا الساقي تذكرا شيئاً. سأل هوشما: «ماذا؟»

تقدمت ماكي وأمسكت به من ذراعه، لقد كانت أظافرها حادة «عندما توفيت والدة شوكو، اتصل الشخص الذي وجدها، وقد كانت سيدة شابة، بسيارة الإسعاف. لقد أخبرتني شوكو بأنها تحدثت إليها لتشكرها».

«هل ذكرت ماذا كان اسمها؟».

أمالت ماكي رأسها بدلع وقالت: «لم تقل، أو ربما قالت ولكنني لم أعد أتذكر».

يبدو أن الوقت قد حان للذهاب إلى أوتسونوميا.

# ✧ 14 ✧

يوصلك القطار السريع الذي يعمل على خط توهوكو الجديد من محطة طوكيو إلى أتسونوميا في أقل من ساعة، أي تقريباً الوقت نفسه الذي يستغرقه الذهاب من الضواحي حيث يسكن هونما إلى وسط طوكيو، لكن خارج أوقات الذروة عندما تكون حركة السير بطيئة.

وهنا يكمن السبب وراء ذهاب معظم الناس إلى الريف هذه الأيام بالقطار السريع.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة ظهراً بعدة دقائق عندما وجد هونما مقعداً فارغاً في العربة المخصصة لغير الموظفين، فوضع حقيبة أوراقه على الأرض بجانب قدمه. وفي الوقت المحدد تماماً بدأ يشعر بحركة القطار. معظم المسافرين الآخرين كانوا موظفين من الدرجة المتوسطة وبعمر هونما تقريباً: إنهم الدم الذي يغذي هذا الشريان الممتد من وإلى عاصمة الأعمال طوكيو.

عند الممر جلس أحد الشبان بشكل مائل وراح يتحدث بهاتفه الخلوي بصوت عالٍ معطياً تعليمات وتوجيهات، يبدو وكأنه في موقع سلطة أو صاحب نفوذ، ولكن هل يبرر له هذا صياحه بهذه الطريقة؟

غادر القطار محطة طوكيو وانطلق مباشرة داخل النفق ويبدو أن الاستقبال كان سيئاً تحت الأرض لأن المدير الشاب أغلق هاتفه

وهو يتمتم بغضب.

إن الهواتف الخلوية غالية الثمن، حدث هونما نفسه متسائلاً فيما إذا كان هذا الرجل قد اشترى الهاتف بواسطة بطاقة الائتمان. وماذا عنه هو؟ كم من الأشياء التي يملكها كان قد حصل عليها بشروط سهلة، ربما نصف الأثاث والأجهزة. كان قد اتفق على أن يدفع ثمن كل شيء على حدة ولكن شيئاً فشيئاً. تلك كانت شقة شيزوكو وقد ملأتها بالألوان والصور المفضلة لديها، وكانت تستشير هونما من أجل التكلفة فقط.

هذه على الأغلب حال معظم الرجال، فهو لم يصادف أي رجل يدقق كثيراً في مسألة الأثاث أو يهتم بأشكال السجاد، فقط أولئك الأشخاص أصحاب الذوق الخاص يولون اهتمامهم للديكور الداخلي.

وهناك مسألة العمر أيضاً، فشباب هذه الأيام الذين لم يتجاوزوا العشرين من عمرهم يمضون ساعات داخل شققهم الصغيرة في التفكير بأماكن الأثاث واختيار قطع الديكور.

إذا شاهدت الصور في ملحقات الجرائد وكاتالوجات البضائع التي تباع بالبريد أو الإعلانات التجارية التلفزيونية للمتاجر الكبيرة ستجد أن هناك كماً هائلاً من الأشياء الرائعة في السوق هذه الأيام. وأن تشاهد فهذا يعني أن تشتري ويفضل أن تدفع على الفور، كما أن إخراج البطاقة عند طاولة الحساب وتوقيع تلك الورقة الصغيرة أمر بسيط ومن السهل الاعتياد عليه.

من لا يريد الحصول على واحد من هذا واثنين من ذاك؟ إنها الطبيعة

البشرية على كل حال، وليس هناك ما ينبه الشخص إلى أن يضع رجله على الفرامل. فكل ما تسمعه هو «إنه رائع، صحيح؟ لقد أحببته، أليس كذلك؟ حسناً، تفضل إنه لك!» ستثار رغبتك في الشراء بكل سهولة، لكن أين هو الموظف الذي سيذكرك بالدفعات الشهرية المتزايدة أو الذي سيقول لك «هذا يكفي اليوم، توقف عند هذا الحد».

من وجهة نظر تجار التجزئة، بالتأكيد، هذا كله ليس من شأنهم وسيقولون «من لديه وقت لأمر كهذا؟» أو «لا يمكن أن نكون مزعجين ونقوم بمراقبة الزبائن الذين لا يستطيعون ضبط أنفسهم».

الوقفة الأولى في يونو كانت قصيرة، تحرك القطار ثانية وخرج من النفق ثم انطلق مسرعاً بين الأبنية، وهاهو مكبر الصوت يعلن عن المواقف القادمة ويذكر المسافرين بعربة الطعام.

كانت طوكيو خارج النافذة تمضي إلى الوراء مسرعة.

تذكر هونما المحادثة الهاتفية التي أجراها مع تلك السيدة سواجي التي تعمل في مكتب المحامي ميزوجوتشي، كانت قد ذكرت له أنها تعمل هناك منذ عشر سنوات، أي في فترة (رعب التمويل الاستهلاكي) أوائل الثمانينيات.

«كان هذا قبل إقرار القانون التجاري للقروض، كان عملاً شاقاً بالفعل وقتها. لقد تجاوزوا القانون فقط لأن الناس كانوا يطالبونهم بأن يفعلوا شيئاً ما، حتى السيد ميزوجوتشي نفسه تعرض للتهديد عدة مرات من قبل هؤلاء الأشخاص عندما طلب منهم أن يتوقفوا عن جمع الديون. كما أن الرجل الذي كان شريك السيد ميزوجوتشي تعرض ذات مرة لإطلاق النار من مسدس عند

باب بيته، لكنه كان محظوظاً ولم يمت.

كان الكثير من الدائنين يتصرفون بعنف. إلا أنهم لا يقومون بهذا علناً، في حين كان معظمهم يتحسر على نفسه فقط.

لنفترض أن شخصاً ما قام بتهديدك، ستقوم بالاتصال بالرقم 110 صحيح؟ عندها سيأتي رجل من الشرطة ولكن ما إن تأتي على ذكر الديون حتى يصبح فجأة غير مهتم ولا يريد أن يسمع. إن أفراد العصابات ليسوا مغفلين، فهم لا يقومون بأي شيء يمكن أن يستخدم دليلاً ضدهم. يحاولون تحصيل ديونهم فقط أو بالأحرى إنهم يجعلون الأمر يبدو كذلك، مما يجعل الشرطة غير قادرة على فعل أي شيء».

كان هونما يتفهم جيداً عدم رغبة رجال الشرطة في التدخل.

«عدم التدخل في المسائل الشخصية، هذه هي العبارة صحيح؟».

ضحكت سواجي وقالت: «بالضبط، والله أعلم أن هذا التدخل هو ما يحتاج إليه هؤلاء الناس بالتحديد. أتذكر في إحدى المرات عندما جاء شخص ما وهو يصرخ قائلاً: «ماذا لو قتلت نفسي، هل ستجعلونهم عندها ينظرون في الأمر؟ ».

التحسن الوحيد الذي لاحظته هذه الأيام أن الأغلبية الساحقة من الناس الذين يفتحون ملف الإفلاس هم في العشرينيات والثلاثينيات من العمر، وفي هذا العمر يستطيع الشخص أن يبدأ من جديد وفي أي مكان، وعلى الأقل إن إفلاسهم لن يتسبب بتدمير عائلاتهم. فلم نعد نرى، كما في السابق، أزواجاً وصلت ديونهم إلى الملايين فتركوا زوجاتهم وأطفالهم يعانون الأمرّين».

سألها هونما: «ولكن ما سبب كل هذا؟ ولماذا في أوائل الثمانينيات؟

ما الذي كان يحدث في ذلك الوقت؟».

فكرت سواجي للحظات ثم قالت: «يبدو لي أن قروض الإسكان كانت هي أساس المشكلة، الرغبة في امتلاك بيت بغض النظر عن ارتفاع نسبة الفائدة، فبعد فترة من الزمن يصبح الناس غير قادرين على الدفع ثم يضطرون للاستدانة من الشركات المسماة بقروش القروض وهكذا».

«بالضبط، لقد اعتدنا أن نصادف مثل هذه الحالات في الضواحي أكثر منه في المدن نفسها، لكن في هذه الأيام، تنتشر هذه المشكلة بين الشباب بكثرة. صحيح؟ وجميع المدن تعاني منها، ليست طوكيو فقط. لكن هذه المرة يمكنني القول إن الخطأ هو في أسلوب حياتنا الفارغ، فقانون حماية المستهلك يعمل لصالحنا، لكننا لم نتعلم كيف نتصرف بأموالنا».

إنه لأمر مثير للسخرية أن يكون التراجع في حالات الإفلاس الناتجة عن القروض السكنية هو النتيجة المباشرة للارتفاع المفاجئ في أسعار الأراضي.

«لقد أصبحت الأملاك الثابتة غالية الثمن جداً الآن، فمهما عملت بجد لن تقدر أبداً على امتلاك بيت خاص بك، هذا مستحيل، وهكذا فإن معظم الراغبين في أن يكونوا أصحاب بيوت سيتخلون عن هذه الرغبة لأنهم يعرفون بأن القروض ستغرقهم.

الأغلبية الساحقة من حالات الإفلاس المتعلقة بالعقارات الثابتة في أيامنا هذه تحدث عندما يستدين الناس الكثير من النقود كي يشتروا عقارات بغرض الاستثمار، فهم يعتقدون بأنهم سيحققون ربحاً

كثيراً من شراء شقة صغيرة فيستدينون مبالغ طائلة لشرائها، لكن ماذا لو تراجع سوق هذه الشقق وقمت بالبيع في هذه الفترة؟ عندها لن تسترجع حتى المبلغ الذي دفعته عند الشراء.

هؤلاء الناس الذين يفعلون هذا هم بالتأكيد شباب قليلو الخبرة، ليسوا مراهقين لكنهم في العشرينيات والثلاثينيات. وفي الكفة الأخرى من الميزان لدينا الأشخاص الأكبر سناً، المتقاعدون الذين يتقاضون راتب التقاعد، الكثير منهم من المشاركين في سوق الأسهم أيضاً».

ثم أضافت فكرة أخرى:

«يبدو لي أن سبب الرعب في أوائل الثمانينيات يعود إلى اجتماع عدة عوامل: كالحاجة إلى امتلاك بيت أكبر، وأشياء فاخرة أكثر وإلى أسلوب حياة أفضل بدلاً من الجشع والضغط الذي نعاني منه، هذا ما سبب ذلك التعاظم الفظيع في تقدم التمويل الاستهلاكي، ولكنني اليوم سأسميه شيئاً آخر مثل (ترويج الإفلاس)».

«ترويج الإفلاس؟».

«أجل، إليك كيف تكسب مالاً كثيراً: عن طريق الأسهم، أو الشقق الصغيرة أو ربما عن طريق المشاركة بحصص في ناد ريفي. بالنسبة للشباب الأصغر سناً، يتعلق الأمر بالمكان، أي جزء من البلدة هو الأهدأ لتسكن فيه وكيف تبني شقة جميلة. إن تصميم الأزياء والسيارات الرياضية وغيرها... كلها نوع من الإسراف. صحيح؟ لكن كل واحد منا يطارد أوهامه، انظر إلى التمويل الاستهلاكي، ما يزال غير منتظم كما هو شأنه دائماً، والدائنون لا يهتمون سوى بالنتيجة.... ومن يريد

أن يسمع كلاماً سخيفاً؟ في أيامنا هذه تقوم البنوك بتأسيس شركات منفصلة تقدم تمويلاً غير مكفول، تماماً مثل شركات قروش القروض. صحيح؟ حسناً، المسألة هي، طالما إنه بنك وهو يقوم بمشاريع تجارية فلا يعتبر ذلك خرقاً للوائح قانون القروض».

طوال فترة حديثها كان هونما يسمع أصواتاً بعيدة لأناس يتحدثون وهواتف ترن، فذكّره هذا بقطار مليء بأشخاص يبذلون جهدهم كي يغيروا عتلة التثبيت وينقلوها إلى السكة الأخرى التي لا تتجه مباشرة نحو الشاطئ الصخري.

«سيد هونما، عندما جئت إلى المكتب في المرة الماضية، تحدثنا عن زوجة الإمبراطور آيتشيجو هل تذكر؟ حسناً، لقد تحمست وقتها فبدأت مؤخراً بقراءة (حكاية جينجي). إني مستمتعة بها للغاية».

قالت ذلك وأنهت الحديث بتلك العبارة المتفائلة. لكن كيف تستطيع أن تعمل بهذا الشكل، ومن ثم تجد وقتاً لقراءة واحدة من أطول القصص الملحمية في عالم الأدب؟ كان هذا اللغز يحيره حقاً.

لم يستطع هونما أن يتوقف عن التفكير بشوكو منذ بداية النهار. فبينما كان يتناول طعام الفطور، فتح الجريدة ولكنه في الحقيقة لم يقرأ أية كلمة فيها، بل غمس زاوية الصفحة الأمامية في فنجان القهوة فقط.

استجمع قواك، قال محدثاً نفسه وضرب على جبينه.

سأله ماكوتو: «هل لديك صداع؟».

من الواضح أن ماكوتو تذكر أن والدته كانت مصابة بالشقيقة. لقد

اعتادت شيزوكو أن تنقر على صدغيها بأطراف أصابعها، والحقيقة أن الكثير من عاداتها الغريبة لا زالت حية في ذاكرة ماكوتو. ففي طقس شديد البرودة، في مثل هذا الوقت من السنة، وعندما كانت تريد أن تلبس ثياب النوم، كانت تخلع عنها كل ثيابها دفعة واحدة، من السترة الصوفية والكنزة إلى الثياب الداخلية، وفي الصباح التالي كانت تنزل الثياب من رأسها كلها معاً، كما هي. إنه عمل بارع، ولو أنه يدل على الكسل.

كانت تقول لهونما ضاحكة: «إن الجو بارد». من دون أن تجد أي غرابة في تصرفها: «عليك أن تجرب ذلك بنفسك إنه رائع ودافئ».

لقد حاول هونما بقدر ما يستطيع، لكنه كان يخفق دائماً، طبقة واحدة، كنزة أو قميص بأكمام ثم يفشل. وحتى لو استطاع سحب كل الثياب فوق رأسه، لم يكن لينجح. فقد كان عليه أن ينزعها كلها ثم يلبسها ثانية. كانت شيزوكو تقول له: «أنت فقط عنيف بعض الشيء في حركاتك».

غير أنَّ الأمر الغريب هو أنه رأى ماكوتو، في الشتاء الماضي، يفعل هذا أيضاً. كان أمراً غريباً لأن والدته عندما كانت لاتزال حية، كانت دائماً تنزع عنه ثيابه بعناية، طبقة طبقة، والآن بعد كل هذه السنوات، فجأة يفعل ذلك على طريقتها، وحتى من دون أن يعلم بأنها كانت تفعل ذلك.

ولما سأله هونما عن الأمر، اتسعت عينا ماكوتو وقال بدهشة: «أمي كانت تفعل هذا؟».

وهكذا فالأموات يتركون آثارهم في الأحياء تماماً مثلما تبقي

الثياب الجسم دافئاً.

الشيء نفسه كان ينطبق على شوكو سيكين بلا شك، خطر ذلك ببال هونما عندما كان مسافراً على خط توهوكو نفسه التي كانت تسلكه متجهة نحو أتسونوميا، وتماماً مثلما فعلت تلك السيدة التي سرقت اسمها وللسبب نفسه، ليعرف أكثر عن شوكو، وها هو القطار السريع المتجه نحو بلدتها يمر بالشوارع والأبنية نفسها.

بحسب ما قالت ماكي، الشخص الذي وجد والدة شوكو عندما وقعت عن الدرج واتصل بسيارة الإسعاف كان سيدة شابة، قال هونما لنفسه:

«يجب ألا أستبق الأمور». ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه عن التساؤل: «هل استقلت شوكو سيكين المزيفة هذا القطار نفسه إلى هنا لتقتل والدة شوكو الحقيقية؟».

# ✧ 15 ✧

كان كل شيء في أوتسونوميا جديداً، حتى محطة القطار ذات المخارج المتجهة من الغرب إلى الشرق. راح هونما يتجول جيئة وذهاباً على طول الممر الذي يصل بينها محاولاً أن يحدد أيها أفضل وأيها يشبه الآخر. وبينما كان يستكشف المحلات التجارية المنتشرة على كل جانب، شعر وكأنه في شينجوكو أو جينزا، فألوان الملابس والتصاميم المعروضة بدت له، على الرغم من أنه ليس خبيراً بهذه الأمور، أشبه كثيراً بالبضاعة الموجودة في المراكز التجارية في طوكيو.

في الحقيقة كانت أتسونوميا بمثابة محطة للنوم بالنسبة للمسافرين بالقطار السريع.

إنها بلدة صغيرة أخرى انجرفت وراء جاذبية المدن وعظمتها. كان هونما يحدث نفسه: قبل عشر سنوات، أي عندما كانت شوكو سيكين في الثامنة عشرة من عمرها، لم يكن أي من هذا موجوداً. ألهذا السبب اتجهت أنظارها إلى طوكيو؟ لو أنها ذهبت إلى هناك من أجل الدراسة لتفهم الأمر. لكنها منذ تسع سنوات ذهبت للعمل في إحدى الشركات في إيدوجاوا، التي تقع في الريف خارج طوكيو.

كانت المحطة نظيفة وتنبض بالحيوية، إلا أنها أكثر ازدحاماً مما كان يتوقع. والفرق الوحيد الذي وجده هو أنه لم ير أي أجانب، فمعظم

العمال الأجانب وخاصة النساء يقيمون في طوكيو أو في أوساكا. وبعضهم يقطع كل هذه المسافة متجهاً إلى الينابيع الساخنة أو إلى مناطق المنتجعات الأخرى. إن أوتسونوميا قريبة جداً، ولكنها في الوقت نفسه بعيدة جداً.

اختار هونما المخرج الأكبر، وأول شيء وقعت عليه عيناه بعد أن خرج من الباب الدوار كان جسراً ضخماً للمشاة، وهو عبارة عن ممر ثابت بني فوق ساحة مفتوحة. وهذا المظهر المعماري كان منتشراً في كثير من المحطات المنتشرة على طول خط توهوكو وخط نيو جويتسو. وقف على ذلك الجسر وأطل من وراء الحاجز الإسمنتي على محطة الباصات في الطابق السفلي.

اللافتات التي تحمل أسماء الأماكن التي تذهب إلى الباصات كانت مربكة بعض الشيء فلم يعرف أي باص يصل إلى آيتشوزاكاتشو، لذا قرر أن يستقل سيارة أجرة.

عندما أعطى هونما العنوان إلى السائق، أمال ذلك الأخير رأسه وقال: «ربما سيستغرق الوصول إلى هناك وقتاً طويلاً، تعرف كيف يكون الوضع في عطلة نهاية الأسبوع، حركة السير بطيئة بسبب السباقات».

انعطفوا يمينا إلى الشارع الرئيسي أمام المحطة وساروا لمدة خمس دقائق، ثم اتجهوا يساراً في شارع عريض آخر، أي أنهم كانوا يتجهون غرباً.

ألقى هونما نظرة على خريطة الشوارع التي جلبها من محطة كيوسك: إلى الأمام يجب أن تكون منطقة أوتسونوميا المركزية حيث

توجد المكاتب الحكومية ومراكز الشرطة.

لم يكن قد قرر بعد إن كان سيزور مركز الشرطة المحلية أم لا. إن كانت والدة شوكو قد توفيت في حادث، فلابد أنهم دونوا هذا في سجل ما. ولا شك أن صديقه القديم فوناكي سيأتيه بالخبر الأكيد إن هو سأله وسيكون هذا أسهل وأسرع، ولكنه أراد أن يلقي نظرة على أرض الواقع.

لقد مضى على وفاة والدة شوكو سنتان وشهران، وفي خلال تلك الفترة لم تكن هناك أية شكوك حول ظروف موتها، لقد أخذت ابنتها مبلغ التأمين بالكامل، وأغلقت الشرطة ملف القضية.

لم العجلة؟ فهو سيتحقق من الأمور بنفسه، ويسمع القصة من الناس الساكنين بجوارها. وإذا كانت هناك ضرورة للشرطة، فسيفعل ذلك لاحقاً.

مضت عشرون دقيقة كاملة قبل أن يتوقف السائق ويقول: «إنها في مكان ما بالقرب من هنا».

كانت هناك لوحة ضوئية على مدخل شارع ضيق ذي اتجاه واحد كتب عليها (آيتشوزاكاتشو 2010 ). قال السائق: «الرقم 2005 عند نهاية الشارع». وفتح الباب الأوتوماتيكي ببطء، ثم أغلق وانطلقت السيارة.

كان هونما مرتبكاً للغاية، ومن اللحظة التي غادر فيها المحطة فوجئ كم كانت أتسونوميا منخفضة. لكن لا داعي للدهشة، فالمدينة كانت في قلب سهل كانتو الذي يمتد على طول الطريق نحو طوكيو. لكن اسم آتشوزاكا أي (هضبة جنجكو) جعله يتوقع أنها مرتفعة بعض

الشيء.

إلا أن ثمة، في أي مكان من هذه البلدة المنبسطة، سلالم مرتفعة لدرجة أن الشخص يقتل إذا وقع عنها؟

إن آيتشوزاكاتشو منطقة سكنية هادئة، ولهذا السبب كانت تشبه كثيراً المنطقة التي يسكن فيها. غير أنه من النادر أن تجد مجمعات سكنية هنا. فمعظم البيوت قديمة ومبعثرة ومخصصة لسكن عائلة واحدة. إنها بيوت حقيقية امتدت جذورها في هذه التربة.

مر به شاب وفتاة يتمشيان، ممسكين بأيدي بعضهما، فنظرت الفتاة إلى رجله ثم أشاحت بنظرها بعيداً، إلا أن الشاب كان يمازحها ولم ينتبه إليه.

ألقى نظرة حول المكان، فشاهد صالون تجميل علقت على بابه لافتة كتب عليها (صالون لوريال)، وبالقرب منه واحدة من تلك المدارس الصغيرة التي تعلم الأولاد استخدام آلة العد. أما البناء التالي فقد كان بناية مؤلفة من ثلاثة طوابق وفي الطابق الأرضي محل تصليح. وكانت الضجة والأصوات تتسرب من النوافذ، وعلى بعد مسافة تبلغ طول سيارة واحدة تقريباً من الشارع يوجد بيت مزخرف بالجص، مؤلف من طابقين وقد علق فوق الباب الحديدي الجرار في المدخل لافتة قديمة الطراز كتب عليها بخط اليد: فيلا أكان، رقم 2005.

وضع هونما يديه في جيوب معطفه واستعد لينتقل إلى مكان آخر. في هذه اللحظة فتح الباب الحديدي وخرج منه ولدان في المدرسة الابتدائية: صبي وبنت كانت أكبر بعدة سنوات. يبدو أنها واجهت مشكلة في إغلاق الباب ثانية على الرغم من أنه لم يكن يبدو ثقيلاً،

ولكنه ربما كان عالقاً في مجراه. وعندما نجحت في إغلاقه أخيراً، أمسكت الولد من يده وقادته على طول الطريق، لم يكن هناك أحد غيرهما.

قال هونما: «مرحباً».

فتوقف الطفلان، وعندها لاحظ هونما أحذيتهما الرياضية المتشابهة والقلادة المعلقة حول عنق الفتاة.

ردت الفتاة التحية وانتظرت.

انحنى هونما ووضع يديه على ركبتيه، ثم قال مبتسما: «أنتما تعيشان في هذا البيت أيها الطفلان؟».

أومأت الفتاة برأسها في حين نظر الصبي الصغير إلى أخته مستغرباً.

«حقاً؟ حسناً، أتعلمان؟ أنا أعرف شخصاً كان يسكن هنا، وأنا أبحث عنه الآن. لقد قطعت كل تلك المسافة من طوكيو إلى هنا للبحث عنه. ربما من الأفضل لي أن أسأل المالك فهل تعرفون أين يمكن أن أجده؟».

أجابت الفتاة إجابة حاسمة «لا أعرف».

«ربما يعيش في مكان ما في الجوار؟».

«لا أعرف. فأنا لم أقابل أبداً أي مالك؟».

ولكي يستمر في الحديث معها، سألها هونما عن القلادة التي كانت تحركها بيدها باستمرار.

«إنها رائعة، ما هذه؟».

«صفارة الخطر. إن المكان خطير هنا، لكن صوتها عال كثيراً،

ولهذا أحضرتها لي أمي. هل تريد أن تسمعه؟».

ليس إلا إذا كان يريد أن يذهب إلى الشرطة الآن وليس لاحقاً.

«لا شكراً، وهل والدتك في البيت؟».

«لا».

ثم غيرت وقفتها واتكأت على القدم الأخرى، وحذا أخوها الصغير حذوها، فبدا وكأنه عربة جانبية متصلة بدراجة نارية، تميل أينما مالت الدراجة.

«إنها هناك». وأشارت إلى ما وراء هونما.

التفت هونما بسرعة متوقعاً أن يجد خلفه سيدة تحدق فيه، لكن لم يكن هناك أحد سوى لافتة صالون لوريال.

أضافت الفتاة: «أمي أيضاً لديها صفارة خاصة بها».

عندما دفع هونما الباب ودخل إلى صالون لوريال، رن الجرس معلناً عن قدوم زبون جديد، لكنه انتظر حوالي ثلاثين دقيقة قبل أن تدخل إليه مزينة الشعر، كاني مياتا. فكونها تعمل في مجال كهذا وبالإضافة إلى كونها أماً شابة، يتعين عليها أن تكون أكثر اهتماماً.

دخل هونما في الموضوع مباشرة، فأبرز بطاقته الشخصية وأخبرها بأنه يريد أن يسألها عن عدة أمور تتعلق بشوكو سيكين، خطيبة ابن أخيه.

قالت السيدة مياتا: «إن كانت قد وقعت في المشاكل، فلا تورطني في هذا الموضوع».

«لا، لا ليس الأمر هكذا. كل ما هنالك أنها اختفت من دون أن تقول شيئاً ويريد خطيبها أن يتأكد من أنها بخير».

حاول هونما أن يبدو جدياً قدر الإمكان.

هزت السيدة مياتا رأسها وقالت: «إنه لشيء مؤسف كيف ماتت السيدة سيكين العجوز».

يبدو أن السيدة مياتا كانت تعرف سيكين العجوز أكثر من ابنتها، فعلاقتها بالابنة لم تكن تسمح بأكثر من تقديم التعازي لها في جنازة أمها.

لم تمانع السيدة مياتا أن تخبره بتفاصيل موت الأم، فقد سقطت يوشيكو سيكين من فوق سلالم إحدى البنايات القديمة التي تبعد عدة أميال، بالقرب من متنزه هاتشيمان.

«إنها بناية من ثلاثة طوابق وقد شغل أحد البنوك الطابقين الأول والثاني فيها. والسيدة يوشيكو كانت زبونة دائمة في حانة تقع في الطابق الثالث تسمى تاجاوا. لقد اعتادت أن تعرج إلى هناك مرة أو مرتين في الأسبوع لتناول الشراب. خارج المبنى، وكما تعلم، يوجد درج إسمنتي يستخدم في حالة الطوارئ، لكنه لا يشبه تلك الأدراج المتعرجة التي تعرفها، مثل مخرج الحريق مثلا، بل إنه ينزل بشكل مستقيم من الطابق الثالث. فهو عال جداً أيضاً، وذو فسحة صغيرة في الطابق الثاني».

يوشيكو سيكين وجدت ميتة في الأسفل.

«من المحتمل أنها سقطت من الطابق الثالث، ولم يكن لديها فرصة للنجاة، فقد كسرت عنقها، كما قالوا. يعرف الجميع بأنها بناية قديمة بكل معنى الكلمة، كما أنها مخالفة لقواعد البناء. لقد كتبت إحدى الصحف مقالة عنها، غير أنها لم تكن مقالة طويلة على كل حال».

لم يكن مركز التجميل الصغير هذا يقدم الكثير من الخدمات. فتاة أخرى فقط كانت تعمل هناك بالإضافة إلى صاحبة المكان التي كانت قد خرجت للتسوق في تلك الأثناء. الزبونة الوحيدة كانت سيدة عجوز تجلس على كرسي ذي قماش مشمع قرمزي اللون، قد غفت عندما كانت تقوم السيدة مياتا بوضع اللفائف في شعرها.

وجد هونما أن الكرسي الذي كان يجلس عليه غير مريح، فانتقل إلى أحد الكراسي المخملية التي وصل إليها مجفف للشعر، إذ يمكن للمرء أن يسحبه فوق رأسه. لكن من دون أن يسأل إن كان ذلك ممكناً، والسيدة مياتا بدورها لم تمانع. كان التعب ظاهراً على وجهها، ربما لأنها يجب أن تعتني بطفليها بالإضافة إلى عملها.

«لابد أن ذلك الحادث أثار ضجة كبيرة».

«بالطبع، لكن أحداً لم يتفاجأ. فالناس يقولون إن هذه السلالم خطرة منذ وقت بعيد، وانظر ما الذي حدث».

«هل حققت الشرطة في الأمر؟».

«أظن ذلك. لكنهم توصلوا إلى أنه مجرد حادث، لذا لم يكن هناك الكثير ليقوموا به».

أحضر رجلاً ثملاً وغير متوازن وادفعه من فوق السلالم. افعل ذلك بالطريقة الصحيحة ولن يشك أحد بشيء.

«هل رأى أحد ما الحادث؟».

أمالت رأسها بطريقة ساخرة وقالت: «وكيف لي أن أعلم؟».

قرر هونما أن يجرب أسلوباً آخر فسألها:

«هل كنت أنت وعائلتك على علاقة طيبة بالسيدة يوشيكو؟».

«نوعاً ما».

ثم شرحت له أنها تعيش مع زوجها وطفليها في فيلا أكان 201، والسيدة يوشيكو كانت تسكن تحتهم تماماً في الشقة رقم 101.

«لقد بقيت هناك ما يقارب عشر سنوات».

«ولكن من المؤكد أن الإيجار ارتفع في كل مرة كانت تجدد فيها العقد، فكيف لم تنتقل؟».

«أوه، من الواضح أنك تعيش في طوكيو، سمعت أن الإيجار الذي يطلبونه هناك هو بمثابة سرقة علنية، لكن الوضع مختلف هنا. إذا كنت تتحدث عن مبنى حديث متعدد الطوابق بالقرب من المحطة، بالطبع سيكون هذا غالياً، أما إذا كانت بناية بسيطة مثل فيلا أكان فالإيجار لن يكون مرتفعاً أبداً أؤكد لك».

«أهو شيء مألوف بين الناس أن يمكثوا في مكان واحد لعشر سنوات؟».

يبدو أنه إذا استأجر المرء بيتاً لفترة لا بأس بها، فسيفقد أي رغبة في الانتقال منه.

«إن الانتقال معاناة حقيقية، لأنه يجب عليك أن تقوم بكل شيء بنفسك.... ففي مثل حالي، زوجي لا يحرك ساكناً».

هنا أصبحت تعابير وجهها كئيبة وأسدلت جفونها قليلاً، إلا أن أصابعها تابعت القيام بعملها المتقن على الرغم من أنها بالكاد كانت تنظر إلى اللفائف التي تضعها.

«ومتى انتقلتم إلى فيلا أكان؟».

«دعنا نرى... إنها السنة الخامسة لنا هنا».

«وهل تعرفتم إلى السيدة يوشيكو سيكين مباشرة؟».

أومأت برأسها وقالت: «أولادنا هم السبب، كانوا دائماً يقفزون من فوق الأرائك محدثين ضجة كبيرة، لذلك ذهبت إليها في الحال وعرفتها بنفسي. لقد رأيت أن هذا أفضل من أن أنتظر الجيران كي يأتوا بأنفسهم ويشتكوا».

«هل كانت شوكو لاتزال تتردد إلى البيت في ذلك الوقت؟».

«الابنة؟... أظن أنني قابلتها مرتين. لقد جاءت إلى البيت في إجازة الصيف وفي عطلة رأس السنة حسبما أذكر».

وضعت كاني مياتا اللفافة الأخيرة وألقت نظرة سريعة على العجوز من خلال المرآة ثم ذهبت لتحضر منشفة جافة.

«هل كانت جميلة؟».

«أجل. إنها فتاة حسنة المظهر».

لم يكن هونما قد رأى وجه شوكو سيكين الحقيقية حتى الآن.

«ألم يكن مظهرها مبهرجا بعض الشيء؟»

كانت السيدة مياتا مشغولة بلف رأس الزبونة بالمنشفة، لذلك أجابت بغمزة خفيفة بطرف عينها.

أضاف هونما: «يبدو أنها كانت تعمل في حانة».

ثبتت مزينة الشعر المنشفة برباط مطاطي كبير، ثم قالت:

«لا أعرف إن كان يجب عليَّ أن أقول هذا، لكن كان لهذه الفتاة الكثير من المشاكل مع شركات القروض. ألست على علم بهذا؟».

«أجل. أعلم».

بدت وكأنها أحبطت، فمن الواضح أنها كانت تأمل أن تفاجئه.

تابعت تقول: «لقد جاء محصلو الديون إلى والدتها بطريقة مرعبة حقاً، إلى درجة أنها اضطرت إلى الاتصال بالشرطة. «متى حدث هذا؟»

توقفت السيدة مياتا قليلاً وبيدها زجاجة من مستحضر تثبيت التموجات ثم قالت:

«حسناً... دعنا نرى... كان هذا في الثمانينيات على أيَّة حال».

هذا أمر مفروغ منه.

ثم تابعت: «بالحديث عن الديون، لقد سمعت بأن الوالدين ليسا مضطرين لدفع سنت واحد في حال تخلف أحد الأولاد عن دفع كومة من الفواتير».

«أجل. والعكس صحيح أيضاً، طالما ليست هناك كفالة مشتركة، إلا إذا كانت ديوناً مشتركة بين الطرفين، وينطبق الأمر نفسه على الزوج والزوجة».

«إذاً لنقل إن زوجي حمل نفسه بعض الديون بسبب السباقات، ألن يكون عليَّ أن أسددها؟».

«بالطبع لا».

عصرت القليل من ذلك المستحضر ففتحت العجوز الغافية عينيها. لا بد أنه كان بارداً.

قالت العجوز فجأة: «لا تقولي لي إن زوجك ما زال يتسكع في ميدان السباقات».

ضحكت السيدة مياتا: «يقول إنه سيبني لي بيتاً».

استدارت الزبونة ونظرت إلى هونما، غير أنها خاطبت

السيدة مياتا قائلة:

«هذا هو؟».

أجابت السيدة مياتا: «لا، لا. إنه ضيف جاء من طوكيو».

«يا إلهي إنني دائماً متسرعة، لكن ما الذي دفع بهذا الرجل الوسيم ليقطع كل هذه المسافة من طوكيو؟».

هذه المرة أيضاً لم توجه الكلام إلى هونما، وفي هذه الأثناء دفعت السيدة مياتا بالعجوز إلى الأمام قليلاً وأدخلت رأسها داخل قبعة مطاطية وقالت:

«قال إنه جاء ليراني، دعيني أرى ماذا وراءه».

ثم أنزلت الجهاز فوق رأس العجوز ونقرت المفتاح الكهربائي بإصبعها فأضاء ضوء أحمر في المجفف وأخذ يصدر هديراً. وبعد أن ضبطت المؤقت في آلة قريبة منها، جاءت إلى حيث كان هونما ينتظر وجلست لترتاح على أحد المقاعد في الحيز المخصص للانتظار.

أخرجت علبة سجائر من جيب مئزرها وأشعلت واحدة، ثم أخذت منها نفساً طويلاً وبطيئاً قال كل شيء: إن هذا هو وقت الاستراحة الذي طال انتظاره. ثم قالت بصوت خافت:

«إن كنت تريد معلومات شخصية عن الفتاة، فمن الأفضل أن تذهب إلى المدرسة لا أن تسأل جارة مثلي».

«المدرسة؟».

«نعم. كانت العجوز سيكين تعمل في كافتيريا المدرسة الإعدادية، وهي المدرسة نفسها التي كانت تحضرها ابنتها».

«لا أرى ضرورة للتحقق من ماضيها إلى هذه الدرجة».

«من يعلم؟ ألا تظن أن السيدة العجوز ربما كانت تشكو لزملائها في العمل؟».

ولمع بريق خبث في عينيها.

إن فتاة مثل هذه تسبب الخجل لوالدتها لأنها تعمل في مهنة مشبوهة وتغرق نفسها في الديون من المؤكد أنها كانت تسيء التصرف في المدرسة الإعدادية أيضاً.

ثم تابعت تقول:

«وهناك أمر آخر، أعتقد أن هناك الكثير من زملاء شوكو في المدرسة الإعدادية والثانوية لايزالون في الجوار، ما رأيك في أن تتحدث إليهم؟».

«هل تعرفين أحداً من أصدقائها المقربين؟».

«ام.... لا بد أن البعض من صديقات طفولتها يعشن بالقرب من هنا. ومن يعلم ربما يأتين إلى هنا لتصفيف شعرهن أيضاً».

ثم انحنت بالقرب من العجوز الجالسة تحت المجفف وقالت لها بصوت عال:

«هل تذكرين السيدة يوشيكو سيكين التي كانت تسكن في الشقة التي تحتنا؟».

صاحت العجوز: «تلك التي سقطت عن الدرج؟».

«أجل صحيح، وكان لديها ابنة في الخامسة أو السادسة والعشرين».

صحح لها هونما: «لقد بلغت الثامنة والعشرين هذه السنة».

قالت السيدة مياتا متفاجئة: «لا، حقاً؟ إنه يقول إنها في الثامنة

والعشرين، فهل تعرفين أحداً بهذا العمر تقريباً يمكن أن يكون أحد زملائها في المدرسة؟».

تثاءبت العجوز وفتحت عينيها. يبدو أن الجو رائع ودافئ تحت ذلك الشيء.

قالت الزبونة: «ذلك الولد هوندا الذي جاء إلى الجنازة، اسمه الأول كان تاموتسو أليس كذلك؟».

«تاموتسو؟».

«نعم ألا تذكرين؟ لقد صففت شعر زوجته يوم الزفاف».

قالت السيدة مياتا ضاحكة: «أنا؟»

تاموتسو هوندا، دون هونما الاسم وعنوان ورشة تصليح السيارات التي تملكها عائلته وقال وهو يهم بالمغادرة: «هناك أمر آخر».

«ماذا؟»

أخرج هونما صورة شوكو سيكين المزيفة وسألها: «هل رأيت هذه المرأة من قبل؟ ربما تكون قد جاءت إلى هنا مع شوكو في إحدى المرات».

تناولت السيدة مياتا الصورة ثم مررتها إلى السيدة الجالسة تحت المجفف وقالت: «لا. أنا لا أعرفها».

ثم ألقت نظرة أخرى على الصورة وسألته: «هل أستطيع أن أستعيرها لبعض الوقت؟ ربما أريها لبعض الأشخاص القريبين منا، وسأحرص على إعادتها. وإذا عرفت شيئاً، فسأتصل بك».

لقد أحسن هونما صنعاً بإحضاره عدة نسخ من الصورة، لذلك قال لها: «نعم، بالطبع».

ثم تناول معطفه واستدار ليخرج لكن السيدة استوقفته قائلة:

«أي نوع من الرجال ذاك الذي ستتزوجه شوكو سيكين؟».

«إنه ابن أخي عديم الفائدة».

«لا، أقصد ما هو عمله؟».

تردد هونما قليلاً ثم قال: «موظف بنك».

نظرت السيدة مياتا وزبونتها إلى بعضهما في المرآة وهزت كل منهما برأسها، ثم أعطته السيدة مياتا نصيحة من دون أن يطلبها أحد منها «أرى أنه من الأفضل له أن يلغي هذه المسألة كلها».

.بما أنها أم لطفلين صغيرين وزوجة لرجل مقامر فهي تتحمل الكثير من المسؤولية، ومن الطبيعي أن لا تتعاطف مع أمثال شوكو سيكين التي تركت البيت وانطلقت إلى المدينة لتهوي في جحيم نوادي طوكيو الليلية.

«سأحرص على إخباره بذلك كي يفكر ملياً بالأمر».

ابتسمت السيدة مياتا وقد بدت راضية.

هذه المرة بالكاد أصدر باب صالون لوريال صوتاً، ولما أصبح هونما في الخارج تنهد تنهيدة ارتياح عميقة.

كانت ورشة التصليح تقع على الطريق العام الرئيسية المؤدية إلى المحطة، وتبعد عن الصالون مسافة عشر دقائق مشياً على الأقدام.

بإلقائه نظرة سريعة على المكان، استطاع هونما أن يرى أن هناك عشرين سيارة تقريباً وعدة دراجات نارية، بالإضافة إلى شاحنة صغيرة قلبت على أحد جانبيها. خمسة ميكانيكيين يعملون هناك وصبي في

سن المدرسة الثانوية تقريباً قد انكب على دراجة بقوة 50 سي سي. كلهم كانوا يرتدون ثياب عمل بيضاء اللون، وقد طرزت الكلمات (هوندا موتورز) على الجيب الأمامي.

صاح أحد الميكانيكيين وكان رجلاً في منتصف العمر داخل الكراج «تاموتسو، لديك زبون».

وقف شاب في الخلف وتقدم إلى الأمام. كان قصير القامة، غير أنه قوي البنية. رقبته ثخينة وله فك قوي مما أعطاه مظهراً صلباً. وكان شعره قصيراً جداً. ولما اقترب أكثر استطاع هونما أن يرى أنه كان يتعرق عند صدغيه.

«تاموتسو هوندا صحيح؟».

هز الشاب رأسه بسرعة من دون أن ينظر حوله.

«أعتذر لقدومي بهذه الطريقة».

ولما أخذ هونما يشرح أسباب الزيارة، اتسعت عينا تاموتسو وقال:

«شوكو بخير، أليس كذلك؟ في أي مكان من طوكيو هي؟».

«تقصد..... ؟»

«لقد فقدت أثرها بعد أن غادرت ذلك المكان في كاواجوتشي، ولقد قلقت عليها كثيراً».

«هل زرتها في شقتها في كاواجوتشي؟».

«بالتأكيد. لقد حاولت ولكنهم قالوا لي إنها لم تعد تقيم هناك».

«هل رأيت صاحبة البيت؟».

«أجل. لقد كانت غاضبة. أخبرتني أن شوكو قد غادرت من دون أن تقول شيئاً في ذلك الأسبوع نفسه».

«لا بد أنك ذهبت إلى هناك في أواخر شهر آذار من السنة ما قبل الماضية. هل هذا صحيح؟».

«نعم أظن ذلك».

«هل كنتما مقربين؟».

«حسناً، طبعاً لكن...»... ثم نظر إلى هونما نظرة ارتياب وأكمل حديثه:

«هيه، أنا لا أحب هذا، إن كنت تريد أن تبحث في حياة شوكو الخاصة فافعل. لكن لا تطلب مني المساعدة، فأنا لا أحب الثرثرة في شؤون أصدقائي الخاصة».

«اسمع، الأمر ليس كما تظن فأنا لا أقصد أي إساءة».

كان هذا أول تقدم يحرزه هونما ومن المستحيل أن يسمح لتاموتسو أن يفلت منه.

«لم لا تتركني أشرح لك، هلا أعطيتني القليل من وقتك؟ أستطيع أن أرجع لاحقاً إذا أردت. إن شوكو مفقودة بالفعل وأنا أبحث عنها».

أمضى هونما الثلاثين دقيقة التالية وهو ينتظر في غرفة الاستقبال، وكان الهاتف يرن باستمرار في مكتب داخلي لم يستطع هونما رؤيته، وكان هناك شخص يجيب على المكالمات. وفيما عدا ذلك كان كل شيء هادئاً تماماً. لقد قاموا بتدريب موظفيهم بشكل جيد.

أحضر تاموتسو القهوة في فناجين ورقية على صينية، وبما أن الضوء في غرفة الاستقبال كان أقوى من ضوء الكاراج، فقد استطاع هونما رؤية أثر جرح مائل يمتد بطول فكه.

هل تعرض لحادث يا ترى؟ فعينه اليسرى كانت مائلة قليلاً أيضاً،

ولكن شكله كان جيداً بشكل عام، بل بدا وسيماً.

وكما قال هونما، كانت الأمور معقدة، وكان تاموتسو يقاطعه ويطرح عليه الأسئلة من وقت لآخر. ومن جهة أخرى كان يحتفظ بتعليقاته لنفسه ويستمع فقط. عندما رن الهاتف هذه المرة، مد يده وفصل الجرس.

«في الوقت الحاضر لا أستطيع أن أريك أي دليل على أنني من الشرطة فأنا في إجازة وقد سلمت بطاقتي، كل ما يسعني فعله هو أن أطلب منك أن تصدقني».

حدق تاموتسو في طاولة القهوة للحظات ثم قال: «لا بأس، لكن عليَّ أن أسأل ساكاي كي يتحقق لي من الأمر».

«ساكاي؟»

«إنه محقق في شرطة أوتسونوميا. عندما توفيت والدة شوكو، كان متعاوناً بشكل كبير ولقد تعرفت إليه وقتها».

«هل أستطيع مقابلته؟».

«سأرى. أنا متأكد أنه لا مشكلة في ذلك. لكن ما دامت الأمور تسير على هذا النحو، ألا يجب عليك أن تقوم بتحقيق رسمي؟ حالما تجد شوكو وتمسك تلك المرأة التي انتحلت شخصيتها...».

«ماذا لو قمنا بالبحث ووجدنا أن الاثنتين بخير وعلى ما يرام، إلا أنهما قد اتفقتا بشكل ودي على بيع وشراء سجلهما العائلي؟ ربما يكون هذا أفضل الاحتمالات. لكن ما دام هذا الاحتمال قائماً، فسيكون من الصعب علينا أن نبلغ الشرطة».

لعق تاموتسو شفتيه. كان متردداً أن يقولها: «لكن ماذا إذاً.... ماذا لو كانت شوكو قد قتلت؟ هل هم بحاجة إلى جثة ليفتحوا تحقيقاً؟»

«هذا سيسهل علينا فتح القضية».

تنهد تاموتسو.

نظر هونما إلى جبين الشاب المتعرق وقال في نفسه: «أخيراً، إنه صديق حقيقي لشوكو سيكين».

قال تاموتسو فجأة: «أتعلم، عندما توفيت والدتها وذهبت إلى كاواجوتشي لأجد أنها كانت قد انتقلت، خطر ببالي أن شيئاً سيئاً قد حدث».

ونظر إلى هونما بعينين مذعورتين وتابع قائلاً:

«في الحقيقة، لقد تخيلت أنها ربما تكون قد قتلتها وهربت».

بهذا تكون الكرة قد قذفت إلى ملعب آخر.

«هل تقصد..... لأنها كانت متورطة في مشاكل مع شركات القروض؟».

هز تاموتسو رأسه وقال: «خاصة بعد الذي قالته آيكومي بخصوص سقوط العجوز عن الدرج، إذ كان بين الناس الذين تجمعوا ليشاهدوا، سيدة أخفت وجهها خلف نظارات سوداء. لقد ظنت آيكومي أنها ربما كانت شوكو نفسها».

انحنى هونما إلى الأمام وسأله: «من هي آيكومي؟».

«إنها زوجتي».

«هل كانت صديقة لشوكو هي الأخرى؟».

«لا. اسمع. آيكومي هي التي وجدت العجوز سيكين واتصلت

بالإسعاف. لقد تصادف أنها كانت مارة من هناك في ذلك الوقت، وقد رأت أنه يجب عليها حضور الجنازة. لقد قابلتها لأول مرة في جنازة والدة شوكو».

# ✧ 16 ✧

لم يكن تاموتسو يستطيع الذهاب إلى أي مكان قبل أن يغلق الورشة، لذلك اتفق مع هونما أن يتقابلا الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم في مكان صغير وجميل يعرفه تاموتسو يقع بالقرب من المحطة. وقد قرر أن يتصل ويحجز مكاناً خاصاً فيه، لأن ذلك سيكون أكثر دفئاً حسب قوله.

عند الساعة التاسعة وعشر دقائق، فهم هونما ما الذي قصده تاموتسو. فقد ظهر في المدخل وبرفقته امرأة شابة ترتدي سترة سميكة فوق تنورة صوفية فضفاضة. إلا أنَّ ذلك لم يخف قوامها. كان واضحاً أنها حامل في شهرها السادس على الأقل.

«هذه زوجتي آيكومي».

وبعد أن عرَّفها إلى هونما، وضع وسادتين بالقرب من المدفأة كي تستطيع أن تسند ظهرها إلى الحائط.

قالت آيكومي وهي تجلس ببطء: «سررت بلقائك».

لقد بدت متحفظة بعض الشيء وواثقة من نفسها أيضاً.

سألها هونما: «هل هذا طفلك الأول؟».

ابتسمت له فتجعدت زوايا عينيها: «إنه الثاني، لكن الأمر لا يبدو هكذا بالنظر إلى مدى اهتمام تاموتسو بي».

رد عليها تاموتسو: «صحيح. لكن تارو ولد قبل موعد ولادته المتوقع».

«وكم عمر تارو الآن؟»

«لقد احتفلنا بعيد ميلاده الأول منذ مدة قصيرة».

ولما جاء النادل ليدون طلباتهم، كان المكان دافئاً لدرجة جعلته يتعرق، وقال قبل أن يخرج: «أعتذر لكل هذا الدخان». ثم أغلق الباب خلفه.

سأل تاموتسو: «هل هذه هي المرة الأولى لك في أوتسونوميا يا سيد هونما؟».

«أجل. لم تسنح لي الفرصة من قبل بسبب العمل والأشغال».

«ولكنها ليست رحلة طويلة من طوكيو إلى هنا».

«لقد تفاجأت كم هي مدينة كبيرة».

«الحمد لله، لدينا هذه القطارات السريعة».

تبين أن تاموتسو قد بدأ العمل مع والده بعد المدرسة الثانوية مباشرة، وقد عرف شوكو لسنوات عديدة، منذ أن كانا في روضة الأطفال وحتى المرحلة المتوسطة، ثم افترقا في المرحلة الثانوية لأن تاموتسو اختار أن يذهب إلى المدرسة المهنية. لكنهما كانا يسكنان في الحي نفسه ويدرسان في المدرسة الخاصة نفسها في المساء.

قال تاموتسو وهو ينظر إلى زوجته: «من بين كل الفتيات، كانت هي أقرب صديقة إليَّ».

آيكومي أيضاً ولدت في أوتسونوميا، لكنها لم تكن زميلة تاموتسو في المدرسة. لقد تخرجت في جامعة طوكيون وبقيت تعمل هناك

لخمس سنوات سكرتيرة في منطقة مارونوتشي التجارية. ثم رجعت إلى أوتسونوميا عندما انتقل أخوها الأكبر، الذي كان يسكن مع والديها، إلى مكان آخر وترك الوالدين وحدهما.

«على أيَّة حال، كنت قد تعبت من العيش وحدي، ثم إن تكاليف الحياة أصبحت غالية في طوكيو».

قال تاموتسو باستخفاف: «ولا داعي لذكر أن الشركات تمارس الكثير من الضغوط على الفتيات اللواتي بلغن الخامسة والعشرين ولم يتزوجن بعد».

من الواضح أن هذا الموضوع كان شديد الحساسية، فقد قالت له: «يمكنك أن تسخر، لكن هذا صحيح».

لو أنها كانت امرأة عزباء تعمل في طوكيو، لما قالت ذلك بهذه الصراحة. لكنها إما أرادت أن ترد على تاموتسو أو أنها تذكرت كم كانت وحيدة، محاولة طوال الوقت ألا تظهر أنها كانت تعاني من الوحدة ولو قليلاً.

«على الرغم من أن الشركة التي كنت أعمل فيها في مارونوتشي لم تكن كبيرة، إلا أن الراتب والمكافآت لا بأس بهما، وكل ما نحصل عليه من العمل الإضافي كان يذهب إلى الضرائب ولم تكن الشركة تقوم بأية رحلات، وكان عليك أن تضرب رأسك بالحائط قبل أن تحصل على زيادة. ولم يمض وقت طويل حتى أدركت أنه لم يرغب الجميع بالانتقال للعمل في الشركات الضخمة. وفوق ذلك كله، ليس الناس هناك ودودين أساساً، فلم يُعجبني الوضع أبداً».

كل هذه الشكاوى كانت مألوفة بالنسبة لهونما ولكي يظهر

تعاطفه معها قال:

«لنضع مسألة الراتب جانباً، إن الشركات الكبيرة ليست أفضل من الصغيرة عندما يتعلق الأمر بأسلوب التعامل مع السيدات اللواتي أمضين هناك سنوات عديدة، إلا إذا كنت محظوظة جداً».

ومع ذلك، إن الشعور بأنك مفصول من العمل وأنت في الخامسة والعشرين لهو شعور رهيب.

تابعت آيكومي: «إن للشرطيات والمدرسات أو أي مهنة أخرى تتطلب تدريباً ومهارات خاصة وضعاً مختلفاً، لكن من أجل العمل العادي في مكتب فإنهم يطلبون أشخاصاً صغاراً في السن قدر الإمكان، فالخامسة والعشرون هو الحد تقريباً. لقد تغير الزمن. إذ في أيامنا هذه تبقى المرأة شابة في عمر الثلاثين، غير أن هذه كذبة. حتى لو كانت الفتاة في عمر الواحد والعشرين، فحالما تتعين موظفة أخرى في العشرين من عمرها، ستشعر الأولى بأنها تقدمت في السن».

«ماذا عن طبيعة العمل نفسه، هل كان ممتعاً؟».

فكرت آيكومي ملياً، ثم قالت وهي ترشف قليلاً من شايها الصيني: «عندما أفكر به الآن أجد أنه كان جيداً».

هذا من وجهة نظر شخص له زوج وطفل وبيت.

«هل تريد سماع قصة مضحكة. قبل حوالي ستة أشهر اتصلت بي إحدى الفتيات وكانت تعمل معي في القسم نفسه في مارونوتشي، ولكننا لم نكن مقربتين إلى بعضنا أبداً. اتصلت ببيت والدي وقد كنت هناك بالصدفة، حيث ذهبت لإيصال تارو كي يقضي الليلة مع جديه».

كان تاموتسو يتابع كل كلمة، وكأنه يسمع هذا الحديث لأول مرة.

«ما إن رفعت السماعة حتى سمعت ذلك الصوت البهيج يسألني: (كيف تسير الأمور؟). لكني لم أجب بل كنت أفكر، ثم سألتني: (كيف الحال؟). وكل ما قلته هو: (أوه جيد). وهكذا تحدثنا عن أخبار الشركة منذ أن غادرتها وقد استلمت الحديث كله في الحقيقة. أخبرتني كيف أنها ذهبت إلى هونغ كونغ، وأن الشركة قامت برحلة إلى منتجع للمياه الساخنة. وفي النهاية بدأت تلف وتدور لتعرف ما الذي أفعله هذه الأيام، فقلت لها إن تربية طفلي هو كل ما أستطيع القيام به».

«ثم؟»

ابتسمت آيكومي ابتسامة ساخرة وقالت: «لقد خرست تماماً، كل ما استطاعت قوله كان: (هل تزوجت؟)

فأجبتها: (بالتأكيد. فلم أرد يوماً أن أكون أماً عزباء). وعندها لم يبق لديها أي شيء لتقوله، فأنهت المحادثة وأغلقت الخط».

ساد الصمت بينهم للحظات ثم قالت آيكومي وهي تمرر إصبعها حول زجاجة من شراب الساكي كانت موضوعة أمامها على الطاولة «أظنها كانت تبحث عن شخص حاله أسوأ من حالها».

«أسوأ؟»

«أجل، على الأرجح أنها كانت محبطة وتشعر بأنها تركت وحيدة أسفل التلة، وقد قالت لنفسها بما إنني لم أترك الشركة بهدف الزواج أو الدراسة في الخارج، بل فقط لأزحف راجعة إلى البلدة فلا بد أن أكون أكثر بؤساً منها، فعلى الأقل هي لاتزال تعيش في المدينة الكبيرة، ولهذا

السبب اتصلت بي».

بدا تاموتسو وكأنه قضم شيئاً ما ولم يعرف ما هو «لم أفهم شيئاً».

«بالطبع لم تفهم، ولن تفهم».

«ربما هذا الأمر يخص النساء أكثر».

هزت آيكومي رأسها وقالت: «أنا أستغرب، فالرجال يحصلون على ترقية وعلى زيادة في الراتب وعلى كل شيء، لكن تاموتسو هنا لا يحصل على أي شيء من هذا».

حملق تاموتسو بها وقال: «ماذا تقصدين؟».

وضعت آيكومي يدها على ذراعه بحنان وقالت: «لا تغضب أنا لم أقصد أن أقول أنك غبي أو أي شيء من هذا القبيل».

«لكنك فعلت».

«لا. لم أفعل فأنت لديك شيء لا يملكه الكثير من الرجال».

وعندما طلب منها هونما أن تشرح قالت:

«لقد أحب تاموتسو السيارات دائماً ومنذ أن كان طفلاً، لدرجة أنه اختار التدريب على تصليح السيارات في المدرسة. ثم فتح والده ورشة التصليح وهناك أثبت أنه الأفضل بين الميكانيكيين».

قال تاموتسو مظهراً بعض التواضع: «لم أكن دائماً جيداً إلى هذه الدرجة».

«هذا صحيح. لكنك عملت بجد، إلا أن العمل بجد لكي تصبح ماهراً يعني أنك يجب أن تكون موهوباً، فالكسول أيضاً يمكن أن يحب تصليح السيارات، لكنه لن يصبح موهوباً أبداً. أما تاموتسو فهو يعمل في هذه المهنة منذ أن كان صبياً وقد أتقنها حقاً، والآن هذا

ما أسميه بالإنسان السعيد».

لم تكن آيكومي متحدثة بارعة، لكن كانت هناك حقيقة واضحة في كلامها.

«أجل. لكن هذا لا يعني أنني راض. فلقد أردت دوماً أن أكون ميكانيكياً في مكان أكبر».

قالت آيكومي مبتسمة: «كأن تعمل في وكالة مازدا وتتسابق في اللومان؟»

«بالضبط، لكن ورشة أبي موجودة هنا، لذا ألغيت تلك الفكرة».

ابتسمت آيكومي من دون أن تتكلم.

مازال تاموتسو يحتفظ بأحلامه القديمة نفسها، لكن آيكومي كانت أذكى من أن تتدخل فيها، وقد أعجب هونما بها لهذا السبب. كانت امرأة عادية ولم يكن فيها أي شيء خاص يلفت الانتباه، وربما لم تتخرج من المدرسة الثانوية بعلامات مرتفعة، إلا أنها كانت امرأة ذكية، تبقي عينيها مفتوحتين.

وجد هونما الفرصة سانحة للسؤال فقال: «لم ذهبت شوكو سيكين إلى طوكيو برأيكما؟».

نظر الزوجان إلى بعضهما لبرهة، ثم نظرت آيكومي للأسفل والتقطت عيدان الأكل وكأنها تقول إن هذه المسألة تخص تاموتسو ولا تعنيها هي.

ثم قالت: «دعونا نأكل قبل أن يبرد الأكل، فأنا أتضور جوعاً».

قال تاموتسو مستغرباً: «ظننت أنك تناولت طعام العشاء».

أجابت بخجل: «أنا آكل من أجل شخصين، هل نسيت؟».

نظر هونما إلى تاموتسو وسأله:

«هل لديك فكرة ما الذي حدث معها بعد أن تخرجت من المدرسة الثانوية وبدأت تبحث عن عمل؟».

عض تاموتسو على شفته السفلى، ثم قال بأسلوب فج:

«وما نفع هذا الآن؟ هذه أمور حدثت منذ زمن بعيد، ثم إنها أمور شخصية أيضاً».

«حسناً سأوضح لك، أنني أود أن أتعرف إلى شخصية شوكو وكيف كانت تنظر إلى الأشياء، فلربما يعطيني هذا فكرة عما حدث معها بعد ذلك».

«وهل سيساعدك هذا على إيجاد المرأة التي انتحلت شخصيتها؟».

ثم نظر إلى آيكومي بطرف عينيه وقال:

«لقد أخبرت زوجتي بكل ما قلته لي، إنها أكثر ذكاء مني. لقد أحضرت هذه الصورة معها، كان والدي قد التقطها عندما كنا في المدرسة الثانوية». ثم تناول حقيبة يدها وأخرج منها صورة فوتوغرافية.

أخيراً وبعد طول انتظار يلقي هونما نظرته الأولى على شوكو سيكين الحقيقية.

كانت ترتدي ثياب مدرسة البنات التي تشبه بدلة البحارة وتمسك تحت ذراعها بوقاً ورقياً أسود اللون وتنظر إلى الكاميرا مباشرة. إنها فتاة طويلة القامة ذات عينين صغيرتين وأنف ناعم، شعرها ينسدل إلى تحت كتفيها، وتحت تنورتها الزرقاء ذات الثنيات برزت دعامات

الركبتين. بدت شابة صغيرة ذات مظهر عادي ولها ذلك الوجه الذي يحتاج إلى قليل من الزينة.

فعلى الرغم فقد كان واضحاً أنها لم تكن بجمال الفتاة التي انتحلت شخصيتها.

«لقد رأيتها مرتين أو ثلاثاً بعد أن غادرت إلى طوكيو، عندما كانت تأتي للزيارة. ثم جاءت من أجل الجنازة، كان شعرها بالطول نفسه كما كان دائماً، إلا أنها جعلته متموجاً وصبغته باللون الأحمر، وقد قالت إنه لم يكن لديها الوقت لتعيده إلى طبيعته. كما أنها كانت تتحدث بصوت عال، ومظهرها كان صارخاً جداً، كانت تبدو وكأن شوكو الحقيقية اختبأت في مكان ما بداخلها».

«كنت تعلم أنها متورطة في مشاكل مع تلك الشركات التي تقدم القروض. صحيح؟».

أومأ الاثنان برأسيهما ثم قالت آيكومي: «لقد سمعت بهذا بعد أن بدأنا أنا وتاموتسو نخرج معاً».

«كنت على علم بالأمر منذ البداية، فوالدتي تذهب إلى الصالون نفسه الذي تذهب إليه والدة شوكو وقد سمعت هناك بالقصة، لقد كانت الأمور سيئة للغاية حتى إن أمها اتصلت بالشرطة في أحد الأيام، لذلك طلبت منها أن تتصل بي إذا جاء إليها هؤلاء الحمقى ثانية».

«طلبت هذا من العجوز سيكين؟».

«أجل فأنا أعرفها معرفة جيدة».

«هل كانت شوكو تأتي إلى البيت دائماً في إجازات الصيف وعطلات رأس السنة بعد أن ذهبت للعمل في طوكيو؟».

فكر تاموتسو قليلاً ثم قال: «أظن أنها لم تأت في إحدى السنوات، أما بقية السنوات.»...

قاطعه هونما: «هل حضرت يوماً حفل لمّ شمل الطلاب؟».

«لم تسأل؟ طبعاً مع طلاب المرحلة الإعدادية ولكنها لم تأت».

«حقاً؟»

«كان الناس يتحدثون عنها، وهكذا عرفت أنها كانت تعمل في ملهى ليلي في طوكيو».

رطب تاموتسو شفتيه وتابع حديثه: «كان أحد زملائنا في المدرسة يعمل في طوكيو، وقد ذهب ذات مرة إلى ملهى من الملاهي الرخيصة في شيبويا حيث رأى شوكو هناك مرتدية جوارب شبكية».

«شيبويا؟ لكنها لم تكن تعمل هناك».

«أين كانت تعمل إذا؟».

«في مكان اسمه جولد في شينجوكو ومكان آخر يدعى لاهاينا في شيمباشي. لم أذهب بعد إلى حانة جولد، لكن نادي لاهاينا لم يبد سيئاً إلى هذه الدرجة ولم تكن الفتيات هناك يلبسن جوارب شبكية».

«ربما قال الشاب هذا الكلام ليرى ردة فعلك».

«هل يعلم كل أصدقائك من أيام المدرسة بأن لدى شوكو مشاكل مادية؟».

«بالطبع يعلمون. فهذه الأخبار تنتشر بسرعة».

«إذاً، هل عرفوا كيف استطاعت أن تسدد ديونها؟».

هز تاموتسو رأسه «لا. لم يعرفوا بالقصة الحقيقية..... ماذا أسميته؟».

«الإفلاس الشخصي».

«أجل صحيح. حتى أنا لم أكن أعلم إلى أن أخبرتني أنت. لقد قالت والدتها إن شوكو قد اقترضت النقود من أقاربها لتحل مشاكلها وهذا ما كنا نعتقده طوال الوقت».

هذا مثير للاهتمام، حدث هونما نفسه، إن شوكو لم تخبر أحداً ولا حتى أمها كيف تدبرت أمورها.

«إذاً، هذا ما يعتقده جميع الناس هنا؟».

«أجل، إلا أن ذلك بدا غريباً. أن يكون لديها كل هؤلاء الأقارب لتستدين منهم. أقارب لم يعرف أحد بوجودهم».

«ولأنكم كنتم على علم بكل هذا، ألم يخطر ببال أحدكم أن هناك ما يثير الريبة في موت العجوز سيكين؟ ألم يشك أحد في شوكو؟».

نظر تاموتسو إلى آيكومي مباشرة وكأنه يريدها أن تدعم رأيه، وقال: «أجل أنا فعلت».

«شككت بأن شوكو يمكن أن تكون قد طمعت بمبلغ تأمين والدتها؟».

أومأ تاموتسو برأسه، غير أنَّ آيكومي هي التي تكلمت هذه المرة قائلة: «أجل، لقد قيل إن المبلغ وصل إلى حوالي عشرين مليون ين».

ابتسم هونما وقال: «في الواقع لقد كان المبلغ ملونين فقط».

«حقا؟»

«نعم فقد كانت تملك بطاقة التأمين الصحي الوطني».

«وكيف ارتفع إلى هذا الحد اللامعقول؟».

«إنها الشائعات».

سألت آيكومي زوجها: «أين سمعت بأن المبلغ كان عشرين مليوناً».

«لا أذكر بالضبط».

«عندما رأيت شوكو في الجنازة، هل سألتها إن كانت قد سددت ديونها؟».

«على رسلك، لا أستطيع أن أسألها مثل هذا السؤال».

«أجل معك حق».

«على كل حال، لقد بدت شوكو مصدومة صدمة شديدة، والنقود تعني فقدانها لأمها أولاً وأخيراً».

«لكن ألم يخطر هذا ببالك؟».

قال تاموتسو بشيء من الخجل «نعم».

«وصديقك المحقق، كان اسمه ساكاي. صحيح؟ ألم يسألها؟ هل كانت لديها حجة؟».

«لكنهم قاموا بتحقيق كامل ولم يتوصلوا إلى أيِّ شيء».

حسناً، قال هونما لنفسه: «لقد تركوا الموضوع معلقاً في الوقت الحالي فهو يعرف تمام المعرفة كيف تجري تحقيقات الشرطة المحلية».

«هل ذهبت لرؤيتها في كاواجوتشي بعد الجنازة بسبب الشكوك التي ساورتك؟».

«هذا صحيح، لقد قطعت كل تلك المسافة لهذا السبب، وعندما وصلت كانت قد اختفت للتو، ولهذا تصورت بأنها يمكن أن تكون قد هربت».

«صحيح».

أخرج هونما صورة شوكو سيكين المزيفة وعرضها على آيكومي قائلاً:

«هل رأيت هذه المرأة من قبل؟».

أمسكت آيكومي الصورة وتابع هونما:

«حسبما فهمت فقد صدف أنك كنت تمرين في المكان الذي وقعت فيه العجوز سيكين عن الدرج وقد اتصلت بالإسعاف. وكان بين الناس الذين تجمهروا ليشاهدوا ما حدث امرأة تضع نظارات سوداء لم تكوني قد رأيتها من قبل. صحيح؟».

أومأت آيكومي برأسها من دون أن ترفع نظرها عن الصورة.

«هل كانت تبدو قريبة من المرأة التي في الصورة؟».

نظرت آيكومي إلى الصورة طويلاً في حين كان الرجلان هادئين، وفجأة ارتفعت الأصوات في الخارج. بعض الزبائن كانوا يصرخون طالبين طعامهم.

هزت آيكومي رأسها وهي لاتزال تحاول أن تتذكر، ثم قالت: «إنها لا تبدو مألوفة لي، لكن على أية حال، لقد حدث هذا منذ سنتين وأنا لم أر تلك المرأة إلا للحظات».

انحنى تاموتسو إلى الأمام وسألها: «ألا تتذكرين كيف كانت تبدو؟».

«لا ليس كثيراً فلم يكن فيها أي شيء خاص».

شعر هونما بأن عليه أن يهدئ الوضع قليلاً فقال: «لا بأس، لا تضغط عليها».

على كل حال، لم يكن يعتقد أن آيكومي تتأثر بسهولة.

«أنت تتذكرين جيداً تلك الليلة التي وقعت فيها العجوز عن الدرج أليس كذلك؟».

شبكت آيكومي ذراعيها أمام صدرها وقالت: «بالتأكيد، فقد كنت عائدة إلى البيت من العمل، إذ كنت أعمل بدوام جزئي في أحد المقاهي الموجودة في المحطة، وفي بعض الأحيان كنت آخذ معي إلى البيت ما يتبقى من الطعام، كالكعك وما إلى ذلك. المهم، في تلك الليلة كنت أحمل كعكاً، لكن عندما وصلت إلى البيت كان قد سحق كله، لا بد أن الكيس انقلب عندما صرخت».

«أعتذر لأنني أذكرك بالأمر مرة أخرى، لكن هل صرخت العجوز سيكين عندما سقطت؟».

هزت آيكومي رأسها وقالت: «لقد سألني رجال الشرطة السؤال نفسه، ولكنني لم أسمع شيئاً، حدث كل شيء فجأة، لم أعرف من أين جاءت تلك الجثة وسقطت أمامي».

قاطعها تاموتسو: «ولهذا السبب فإن أول شيء خطر للشرطة أنها يمكن أن تكون انتحرت. لكن الأمر، حتى الآن، مجرد تخمين وساكاي، المحقق الذي حدثتك عنه، يرجح أنها حالة انتحار. فقد قال إن لم تكن لديك رغبة في الموت فلن تفكر في أن تنزل عن درج هكذا وأنت ثمل. خاصة في حال وجود مصعد».

«حقاً؟».

«لكن حسبما قال الناس في تلك الحانة التي تذهب إليها، تاجاوا، إنها لم تكن تحب استخدام المصعد مطلقاً، وخاصة بعد تناول الشراب، لأن ذلك يجعلها تشعر بالغثيان ولذلك كانت دائماً تنزل الدرج».

«نعم، نعم».

«لكن مع هذا فإن ساكاي يظن بأن الحادثة انتحار. فحسب قوله لو أن الأمر كان حادثاً أو أن أحداً دفعها كانت ستصرخ بالتأكيد».

ليس بالضرورة، قال هونما لنفسه، ليس إذا كانت غير واعية تماماً أو أن الأمر حدث على حين غرة.

«يقولون إن الضحية بالكاد تصدر صوتاً في بعض الأحيان، هل المكان هادئ هناك حيث وقعت؟».

ضحك تاموتسو وقال: «إن لديهم كارا أوكي في تاجاوا والباب المجاور لهم تماماً هو باب صالة رقص، لقد ذهبت إلى هناك ذات مرة وقد كانت الضجة عالية جداً لدرجة أنك لا تستطيع سماع أية كلمة».

أيدته آيكومي قائلة:

«هذا صحيح، أقصد أنني عندما صرخت لم يسمعني سوى الناس الذين كانوا في المباني المجاورة والمحلات القريبة. أما الناس في تاجاوا، فلم يلحظوا شيئاً إلا بعد أن تجمع الناس».

«وهل كانت العجوز سيكين في تاجاوا تلك الليلة؟».

«يبدو أنها كانت تذهب إلى هناك كثيراً».

«بانتظام؟».

«أظن ذلك. هذا ما أخبرتني به شوكو على الأقل. فمنذ عدة سنين عندما كانت شوكو لاتزال تعيش في البيت، قالت لي إن هذه كانت التسلية الوحيدة التي تقوم بها والدتها».

«هل كانت تذهب إلى هناك في يوم محدد؟».

«أجل في ليالي السبت، فقد كانت تعمل في كافتيريا المدرسة، كما قلت لك، لذلك لم يكن عليها أن تستيقظ باكراً يوم الأحد».

إذا كانت تذهب إلى الحانة مساء كل يوم سبت، فالشيء الوحيد الآخر الذي أنت بحاجة إلى معرفته هو في أي مكان يجب أن تنتظر، وبعد ذلك ليس عليك إلا أن تنتظر السيدة سيكين حتى تخرج مترنحة من حانة تاجاوا وتدفعها من الخلف. إنه أمر بسيط للغاية لكن مع ذلك لا بد أن الشخص الذي خطط لقتلها كان يراقبها مسبقاً ولفترة من الزمن.

ربما تكون تلك المرأة قد جاءت إلى بيتها متظاهرة بأنها مندوبة مبيعات، أو ربما اكتشفت بأنها تذهب إلى الحانة كل سبت فجاءت إلى أوتسونوميا لهذا الهدف، ولكن من أين حصلت على المعلومات يا ترى؟

«أظن أنه من الأفضل أن نذهب إلى تاجاوا بدلاً من الجلوس هنا».

«سآتي معكما أنا أيضاً».

«لا، إن الجو بارد».

«سأكون بخير فقد لبست ثيابا سميكة».

قالت ذلك وهي تحرك ذقنها إلى الأمام. ويبدو أنهما تبادلا رسالة خفية بينهما دفعت تاموتسو كي يضع كأسه ويقول: «سيد هونما، أنا أرغب في مساعدتك».

«في مساعدتي؟»

«أجل أساعدك في إيجاد شوكو. أنا مستعد لأن أتفرغ تماماً لهذا الموضوع».

«لكن ماذا عن عملك؟».

«سآخذ إجازة، لا مشكلة. إذاً هذا ممكن؟ لقد وافقت آيكومي أيضاً».

كان تاموتسو يتحدث بسرعة وفجأة قفز واقفاً وقال: «سأعود حالاً».

قالت زوجته وهي تسوي تنورتها: «إنه شاب طيب».

وافقها هونما قائلاً: «أجل». ثم أضاف: «أعتذر لأنني سببت لكما هذا الإزعاج».

فأكدت له بسرعة: «لا بأس، سنتعامل مع الموضوع بشكل جيد».

ثم أضافت وهي تفرد منديلاً على حجرها: «أخبرني تاموتسو بأنك تعمل محققاً في طوكيو».

«أجل، لكنني في إجازة الآن».

«سمعت هذا. في الحقيقة إن تاموتسو دقيق بعض الشيء، فبعد أن غادرت الكراج مباشرة هذا المساء اتصل، بصديق له في الشرطة وطلب إليه أن يتأكد إذا كان هناك حقاً شرطي في طوكيو اسمه شانسوك هونما».

«أوه؟»

«وهو الآن متلهف ومتشوق جداً للذهاب. إنه في غاية الحماسة للعمل مع محقق حقيقي».

«هل أنت متأكدة أنه لا مانع لديك؟ سيتوقف عن العمل لفترة، وربما يضطر لتركك هنا وحدك».

«صدقني لا مانع عندي، خذه معك أرجوك».

صمت هونما قليلاً وتنفَّس عميقاً، ثم قال: «لا أظن أنني أستطيع».

رفعت آيكومي بصرها نحوه وقالت على نحو مفاجئ «ولم لا؟»

«لأنني لا أستطيع أن أصدق بأنك تريدين ذلك حقاً، كما إنني لا أرغب في أن أتسبب بالمشاكل، سأبقي زوجك على اطلاع بكل شيء ولكني أعتقد أنه يجب أن يبقى في البيت».

«هذا لن ينفع، من الأفضل أن يقدم لك يد المساعدة».

«أنت حقاً لا تمانعين؟»

عندها انفجرت قائلة وقد بدا التوتر واضحاً على وجهها: «بالطبع أنا أمانع وأرفض ذلك بجنون، لكن بالنسبة لي هذا أفضل من أن يجلس في البيت ليفكر بشوكو».

«مهلاً، أظن أنك تسمحين لخيالك بأن يأخذك معه بعيداً».

قالت بفظاظة: «وما الذي يجعلك متأكداً هكذا؟».

«حسناً، حتى لو كانا حبيبين منذ أيام الطفولة، إن أكثر ما يهمه الآن أنتِ وعائلته وليست تلك المرأة شوكو، هذا كل ما يسعني قوله لك».

«أجل نحن نهمه وهو يعتني بنا جيداً، لكن ليست هذه هي المشكلة».

ثم بدأ صوتها يصبح أضعف وأقل حيوية: «سيد هونما، هل لديك أصدقاء تعرفهم منذ أيام الطفولة؟».

«نعم ولكنني لم أعد قريباً منهم على كل حال».

«حسناً إذا، لن تفهم مقصدي».

«هل بقي تاموتسو وشوكو مقربين لبعضهما حتى بعد أن كبرا؟».

«إن تاموتسو مازال يهتم بأمرها، وعندما ذهبت إلى طوكيو وتورطت في المشاكل هناك استطعت أن أرى أنه لم يكن قلقاً عليها فحسب، بل هو يحبها».

«لكنه ليس الحب نفسه الذي يكنه لك».

«لا. إنه مختلف ولهذا السبب أستطيع أن أسامحه عندما يثور غضباً بسببها، لكنه أمر لا أرغب في أن يدوم أبداً».

نظرت آيكومي إلى الأسفل، فسقطت دمعة وحيدة على ظهر كفها.

ابتسم هونما وقال محاولاً أن يخفف عنها: « يجب ألا تتضايقي هكذا، هذا يضر بالطفل».

إلا أن آيكومي لم تبتسم بل قالت: «إنه يحبها ويفكر فيها طوال الوقت. إنهما يتشاركان الذكريات نفسها منذ أن كانا ولدين، وهذا أمر لا يمكن أن أفعله أنا».

هنا تذكر هونما صديقه فوناكي وجلساته الخاصة مع صورة شيزوكو في البيت.

«إن كان يحبها إلى هذه الدرجة، لماذا لم يتزوجها؟».

ابتسمت آيكومي ابتسامة خفيفة وقالت: «يبدو أن شوكو لم تفكر فيه بشكل جدي، فقد كانا قريبين جداً من بعضهما».

قريبان جداً، هذه كانت حجة فوناكي أيضاً.

مسحت آيكومي عينيها بطرف سبابتها من دون أن تحاول إخفاء

دموعها ثم قالت: «بالإضافة إلى ذلك، إنه يشعر بأنه خذلها عندما شك بأنها هي من قتلت والدتها، وهو يشعر بالذنب منذ ذلك الحين».

«إذاً، هو يريد أن يكفر عن هذا؟»

«هذا صحيح، لقد تجادلنا في هذا الموضوع لأكثر من ثلاث ساعات، صدقني لقد اتخذ قراره في أن يساعدك لذلك أتمنى لو تدعه يفعل هذا».

لم تكن آيكومي راضية عن كل هذا، لكنها تتمنى أن تنافس شوكو في إحدى الذكريات على الأقل.

استمرت تخبره كم كان تاموتسو مصمماً، لكن هونما كان مستغرباً بالدرجة الأولى من إلحاحها هي، فتنهد وقال لها: «عندما ينتهي كل هذا، أتمنى أن تجعليه يشتري لك شيئاً ثميناً جداً».

ابتسمت آيكومي: «إنه ينوي أن يبني لنا بيتاً، اشترينا قطعة من الأرض منذ فترة قريبة. أريد أن أسكن في واحد من تلك البيوت المؤلفة من طابق واحد».

«هذا رائع».

في هذه الأثناء فتح الباب ودخل تاموتسو، على الأغلب أنه كان ينتظر في الخارج.

قالت آيكومي وهي تهم بالوقوف: «هل نذهب؟» ثم التفتت إلى هونما وهي نصف منحنية: «إذا قام تاموتسو بمساعدتك بشكل جيد، هل بإمكانه الحصول على شهادة توصية من الشرطة أو ما شابه ذلك؟»

قال تاموتسو مرتبكا: «هيه، توقفي عن هذا».

«وما الخطأ في السؤال؟ إنه لأمر رائع أن تحصل على شهادة كهذه وتضعها في إطار على الحائط، ألا تريد هذا؟ كل ما لدينا الآن هو تلك الشهادة التي حصلت عليها في صف الرياضة».

لأول مرة خلال كل هذا الوقت، شعر هونما ببعض الدفء في الداخل «سأرى ما الذي أستطيع فعله».

# ✧ 17 ✧

ركبوا سيارة أجرة واتجهوا إلى المكان الذي ماتت فيه العجوز سيكين.

«بهذه الساق لن تصل إلى هناك أبداً».

نظرة واحدة على المكان شرحت كل شيء. كانت هناك مجموعتان من الأدراج تنحدران بشدة من ارتفاع عال، مثل لعبة الزلاقة في مدينة الملاهي. جعلت شدة الانحدار والإضاءة الضعيفة الأدراج تبدو غارقة في الظلمة. وعلى الرغم من وجود درابزين، إلا أن زاوية الميلان كانت خطرة جداً والدرجات قليلة العمق، لذلك فحتى لو لم تكن سكران، فإن أي اختلال في التوازن سيجعلك تتدحرج لتتحطم في الأسفل من دون أن يوقفك شيء.

«إذا اضطررت لاختيار الدرج كأداة جريمة، فسأختار هذا». ثم سعلت وهي تحاول الاختباء داخل معطفها بقدر ما تستطيع، «حتى قبل هذه الحادثة، كلما مررت بهذه السلالم كنت أقول في نفسي تبدو وكأنها من فيلم (طارد الأرواح الشريرة)».

«طارد الأرواح الشريرة؟».

نظرت آيكومي إلى هونما غير مصدقة: «ألا تذهب إلى السينما؟».

كان المصعد على أحد جانبي المبنى، فرشت أرضيته بالإكريلك

الأحمر الرخيص، وقد تغطت جدرانه بالكتابات والخربشات، وبالكاد نجح هذا الشيء بالوصول إلى الطابق الثالث وهو يصفر ويئز.

قال هونما لنفسه: «لو أن ساقي كانت بحال أفضل، لكان المشي أسرع منه».

لم يجدوا في تاجاوا سوى زبون واحد، كان رجلاً كبيراً في السن. ما إن رأى تاموتسو حتى خرج من حجرة الهاتف حيث كان يجلس، إنه ساكاي، المحقق في قسم الشرطة المحلية.

ومرة أخرى يحرز هونما تقدماً إلى الأمام بفضل تاموتسو.

كان هونما قد قابل الكثير من رجال الشرطة الذين يرتبكون حين يعملون مع شخص من شرطة العاصمة. فإما أن يبدأوا بالتذلل أو يتحدثون بفظاظة ويذكرون أسماء الشخصيات المهمة التي يعرفونها. ولحسن الحظ لم يقم ساكاي بأي من هذين الأمرين، فقد كان في أواخر أيامه في المهنة. «سأتقاعد بعد حوالي شهرين فقط».

قال ساكاي لهونما: «لقد حدثني تاموتسو قليلاً عن القصة، إنها تبدو قضية معقدة».

في الواقع هناك نوعان من المحققين: أولئك الذين يظلون حذرين جداً أمام الناس أو الذين ينتقون بحرص شديد الأماكن المناسبة، وساكاي كان من النوع الثاني. فتاجاوا كانت واحدة من تلك الأماكن.

كان أمامه أبريق من الساكي الساخن.

قال لهونما من دون أي مقدمات: «إذا، تحقق في موت يوشيكو

سيكين، وتريد أن تعرف إن كان هناك ما يثير الشكوك. أليس كذلك؟»

«نعم. هل تستطيع أن تنفي وبشكل قاطع وجود أي شيء غير قانوني».

ابتسم ساكاي ابتسامة لطيفة مطمئنة.

تصور هونما أنه يجب أن يكون هناك أسلوب أكثر فعالية. ربما عليه أن لا يثير مخاوفه ولا يتصرف بطريقة هجومية، بل أن يعامله بلطف وعندها سيحصل على ما يريد بإشارة من إصبعه.

«لا يمكن أن يكون أحد ما قد قتلها، أؤكد لك هذا».

«لكن.»..

مال تاموتسو إلى الأمام وقال بنبرة مليئة بالإصرار «لقد قلت لك أكثر من مرة لا يمكن أن تكون قد دفعت من الخلف، هذا مستحيل».

«مستحيل؟ لأن أحداً لم يسمعها تصرخ؟ أم أن هناك سبباً آخر؟»

«ما رأيك بأن نخرج ونلقي نظرة؟ سيكون هذا أفضل؟» .

خرج الرجال الثلاثة وتركوا آيكومي في الداخل، حيث المكان أكثر دفئاً، بل وأكثر أماناً لها.

كان الممر في الطابق الثالث عبارة عن دهليز بعرض ياردة واحدة فقط ويمتد على طول المبنى، فإذا وقفت وأعطيت ظهرك لتاجاوا يكون المصعد على يمينك والدرج على يسارك. أما تاجاوا فكانت في الوسط. على اليمين توجد حانة أخرى وعلى اليسار صالة الرقص التي تحدث عنها تاموتسو، ولم تكن هناك أية أبواب أخرى، فلا يوجد مخزن ولا دورة مياه ولا أي شيء آخر.

قال ساكاي بثقة وهو يسير باتجاه الدرج: «هل تخيلت الوضع؟ ليس هناك مكان كي تهرب وتختبئ، إذا افترضنا أن هناك من فعلها، وفي النهاية ليس هناك سوى خيارين: الأول، أن تنزل بالمصعد والثاني، أن تدخل إلى إحدى الحانتين متظاهراً بأن شيئاً لم يحدث».

«وفي كلتا الحالين أنت بحاجة إلى جرأة كبيرة وقدرة على التمثيل».

«معظم الناس يمكن أن يفكروا بهذه الطريقة».

وقف الثلاثة أعلى الدرج، ساكاي في الأمام، ووقف تاموتسو في الخلف. لم تكن مساحة فسحة الدرج في الطابق الثاني أكثر من ياردة مربعة، وكانت هي الفسحة الوحيدة. بالإضافة إلى ذلك، فإن نزول هذه الدرجات الإسمنتية الصغيرة المنحدرة مباشرة نحو الرصيف الرمادي اللون في الأسفل كان كافياً لجعل رأسك يدور.

قال المحقق وهو ينظر إلى الخلف من فوق كتفه: «من المؤكد أن أحداً لم ينزل عن الدرج بعد أن وقعت يوشيكو، زوجتك واثقة من هذا تمام الثقة. صحيح تاموتسو؟ ولم يكن هناك أي شخص في الأعلى كذلك الأمر، لكن مازال هناك احتمال آخر ممكن، وهو أن الشخص نزل إلى الفسحة في الطابق الثاني ثم هرب عن طريق البنك، لكن هذا يتطلب سرعة خارقة بالإضافة إلى أن المكان كان مقفلاً في ذلك الوقت، ثم إنه لا يسمح لأحد بالدخول بعد انتهاء الدوام إلا موظفي البنك».

حك توماتسو رقبته من دون أن يقول شيئاً.

قال هونما محاولاً ألا يبتسم: «وماذا عن المصعد؟».

ضحك ساكاي هو الآخر أيضاً: «كومة الخردة تلك؟ حسناً، دعنا

نوضح المسألة. عندما سقطت العجوز سيكين عن الدرج ووجدتها آيكومي وبدأت بالصراخ جاء الناس مسرعين. وفي هذه الأثناء نزل القاتل عن طريق المصعد، وهرب قبل أن يلاحظ أحد أي شيء؟ فهل هناك أي بهلوان في قائمة المشتبه بهم التي لدينا؟ لأننا نتكلم عن فترة مدتها ثوان فقط».

سأل تاموتسو: «حسناً، وماذا لو أن القاتل دخل إلى إحدى الحانتين على أنه زبون؟».

هز ساكاي رأسه وقال: «كما قلت سابقاً، لقد حققنا مع جميع الناس الذين كانوا في الحانتين تلك الليلة».

ثم طرق على باب صالة الرقص الصاخبة وتابع: «جميعهم قالوا إن أحداً لم يخرج ويرجع ثانية في ذلك الوقت ولم يأت زبائن جدد أيضاً. في كل حانة يوجد هاتف ودورة مياه وهكذا فلا حاجة إلى الخروج».

أشار تاموتسو نحو باب صالة الرقص وقال: «ولكن في مكان صاخب كهذا، هل تعتقد حقاً أنهم يستطيعون مراقبة كل شخص؟ ألا تظن أنهم ربما يقولون أي شيء يخطر ببالهم؟».

قال ساكاي ليسايره فقط: «طبعاً هذا ممكن، لكن لنفترض أن الشخص الذي دفع العجوز سيكين من فوق الدرج كان ينتظر في إحدى هاتين الحانتين، فكيف سيراقبها في هذه الحال ليعرف متى ستخرج من تاجاوا؟ صحيح أن بإمكانه أن يتجول في الخارج طوال الوقت، لكن هذا سيبدو غريباً بعض الشيء بالنسبة لبقية الزبائن، لأنه إذا فعل هذا لا بد أن يتذكره أحدهم، كذلك الأمر إذا بقي في الداخل

فلن يتمكن من سماع العجوز وهي تغادر بسبب كل هذه الأصوات المرتفعة».

كان تاموتسو مرتبكاً بعض الشيء، لقد شعر بالبرد فجأة فدس يديه داخل جيوبه.

سأل هونما: «ماذا عن الابنة؟».

«لقد تم التأكد من الأمر، فقد حدثت الوفاة حوالي الساعة الحادية عشرة مساء، والابنة كانت تعمل في إحدى الحانات طوال المساء. وقد أكد هذا زملاؤها في العمل، فالحادثة وقعت يوم السبت مساء والمكان لم يكن مغلقاً».

إن المحققين، في الواقع، يقيمون وزناً للأعذار والحجج أكثر مما يتخيل الناس. فعندما تكون الحجة محكمة لا يملك المحقق خياراً سوى أن يحذف الشخص من قائمة المشتبه بهم لينظر في اتجاه آخر. إلا أن عديمي الخبرة منهم يميلون إلى إهمال الحجة والدليل على حد سواء، ويركزون على الدافع فلا يرون أبعد منه.

ولهذا السبب، منذ أن وضع تاموتسو في رأسه فكرة أن شوكو هي التي قتلت والدتها، لم يستطع أن يفكر في أي شيء آخر، فديون شوكو بالنسبة إليه أكثر إقناعاً من أي حجة. في حين لم يتقبل هونما هذه الفكرة أبداً. كان يبحث عن خطيبة جان.

ترك تاموتسو المحققين وحدهما ورجع إلى حانة تاجاوا ليتفقد زوجته بعد أن أصر عليه ساكاي أن يفعل ذلك.

كانت أذنا هونما قد تخدرتا من البرد: «لا أستطيع أن أفهم لماذا تستبعد وجود جريمة قتل؟».

نظر ساكاي إليه مباشرة وقال: «لاتزال لديك بعض التحفظات حسبما فهمت».

«إنه مجرد رأي وقد أكون مخطئاً».

«جيد جداً. هذا بالضبط ما كنت أقوله».

«حسبما قاله تاموتسو أنت تعتبر موت العجوز سيكين انتحاراً؟».

رفع ساكاي قبة معطفه ليحمي رقبته من البرد ثم أومأ برأسه. كانت عيناه تدمعان بسبب الرياح الباردة.

«أفترض أنك قد حققت مع النساء اللواتي يعملن معها ومع الزبائن الذين يأتون إلى تاجاوا بانتظام ويعرفونها جيداً».

كان ساكاي يحدق مباشرة بالدرجات الرمادية اللون: «لقد وقعت هنا سابقاً، أقصد قبل أن تموت، قبل شهر من موتها تقريباً، عندها سقطت للخلف لأربع أو خمس درجات».

«هل رآها أحد؟»

«نعم، يبدو أنها تمكنت من أن تصرخ هذه المرة. أحد الأشخاص كان قادماً إلى تاجاوا لتوه، وسمعها فأسرع إليها».

ثم نظر إلى هونما نظرة فيها شيء من الشماتة وقال: «الشخص الذي ساعدها في النهوض قال إنها قالت لنفسها (يوشيكو كوني حذرة، هل تريدين قتل نفسك؟)».

شعر هونما وكأن الريح تسلخ شفتيه.

تابع ساكاي: «أتصور أنه القلق من أجل المستقبل، فابنتها غارقة بالديون وقد بلغت الثلاثين تقريباً ولم تجد بعد طريقها في هذا العالم،

كما إنها تعمل في حانة سيئة السمعة والله يعلم ما الذي تفعله هناك، ويوشيكو لن تعيش إلى الأبد كي تعتني بها. أخبرني أحد الذين يعملون معها في كافتريا المدرسة أن يوشيكو كانت دائماً محبطة وتتساءل طوال الوقت إن كان هناك أي سبب للاستمرار في الحياة.

«عندما توفيت العجوز سيكين كانت.»...

«في التاسعة والخمسين، لم تكن كبيرة جداً في السن، لكنها نالت نصيبها من المحن القاسية، وأنا شخصياً أتعاطف معها في هذه المسألة، فلا بد أنها كانت تسأل نفسها (ما الذي سيحدث لي في السنوات القليلة القادمة عندما أصبح غير قادرة على العمل، ومن دون مدخرات أو ضمانات). ومن المؤكد أنها فكرت في الأمر طويلاً حتى لم تعد تقوى على الاحتمال أكثر من ذلك».

لكن ألا تكون هناك رغبة، فهذا لا يعني أن هذه الحال غير مألوفة بين حالات الانتحار.

تكلم ساكاي بصوت منخفض إلى حد الهمس: «إذا أردت رأيي، فهناك أكثر من نوع للانتحار، فابتلاع سم الحشرات أو القفز عن بناية مرتفعة هي أساليب درامية، لكن هناك أيضاً ما يسمى (دع القدر يأخذ طريقه)».

قال ساكاي ذلك ثم استدار إلى الخلف ومشى عائداً باتجاه الدرج، وهنا استعد هونما ليمسكه من كمه، لكنه عدل عن ذلك عندما رأى المحقق يمسك بالدرابزين.

نزل ساكاي درجة واحدة فقط ونظر للأسفل حيث كان الرصيف الرمادي يمتد تحته.

«في كل مرة كانت العجوز يوشيكو سيكين تأتي إلى تاجاوا كانت تشرب حتى تثمل ثم تنزل بعد ذلك عن الدرج. ربما كانت تعرف أنها عاجلاً أم آجلاً ستفقد توازنها وتأمل أن تهوي إلى الأسفل. على أيَّة حال، هذا أفضل توقع لديَّ».

«هل كانت العجوز وحيدة تماماً؟».

كان ساكاي قد أعطى ظهره لهونما، لكنه استدار الآن وصعد إلى الأعلى.

«بناء على المعلومات التي جمعتها، فقد واظبت على المجيء إلى الحانة إلى ما قبل وفاتها، أسبوعاً وراء أسبوع وكل شخص في تاجاوا، من العاملين والزبائن حتى، كانوا يعرفون بأنها تستخدم الدرج حتى عندما تكون ثملة وكانوا يحذرونها دائماً، لكن أحداً من رفاقها في الشرب لم يعرض عليها أن يساعدها في الخروج بأمان».

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي ساكاي، لكن بقية وجهه لم يكن يبتسم إطلاقاً: «يمكنك أن تثق بكلامي فقد صادفتها في الحانة مرتين».

ثم عادا لينضما إلى آيكومي وتاموتسو.

كان هونما قد حجز غرفة في أحد فنادق المحطة، وعندما مر ليأخذ المفتاح قالوا له إنه تلقى رسالة. إنها من ماكوتو، كان يخطط لقضاء الليلة مع إيساكا وزوجته، وهذا بالطبع يجعل هونما أكثر اطمئناناً.

عندما اتصل هونما ببيت إيساكا، أجابه ماكوتو مباشرة: «أبي؟ كنت أنتظرك».

الساعة بقرب السرير تشير إلى الثانية عشرة بعد منتصف الليل.

«أنا آسف، لكني رجعت في وقت متأخر.... ما الأمر؟».

«لقد اتصلت الطبيبة ماتشيكو».

«من؟»

«الطبيبة ماتشيكو، أنت تعرفها».

بالطبع إنها المعالجة الفيزيائية من أوساكا، الطبيبة ماتشيكو كيتامورا.

«هل اتصلت لأنني لم أذهب إلى جلسة العلاج؟».

«أجل».

«وهل بقيت مستيقظاً حتى هذا الوقت المتأخر لتخبرني بهذا؟».

يبدو أن ماكوتو غضب: «لا تصرخ عليَّ وأنت تتكلم من مكان بعيد، ها؟ فأنت تضيع النقود بلا فائدة، ثم إن هذا هاتف إيساكا ألا تعلم؟»

«لا تقلق بشأن هذا أيها الساذج، أنا الذي اتصل لذا أنا سأدفع».

عندئذ سمع صوتاً إلى جانب ماكوتو، إنها هيسي تريد أن تتحدث.

«مرحباً شانسوك؟ اسمع هناك أمر يتعلق بتلك الصورة والمصابيح الغريبة التي فيها».

«تلك المصابيح المتجهة نحو الخارج؟».

«أجل صحيح. لقد فكرنا بالأمر طويلاً حتى إننا سألنا بعض الأشخاص عنها. تصورنا أنك لن تمانع، على أيَّة حال إنها طريقة فعالة جداً، أن تحصل على المعلومات من أشخاص كثيرين. صحيح؟»

«ثم...؟»

«دعني أكمل، هلا فعلت؟ على أيّة حال، بما أن ماكوتو ولد جيد فقد اهتم بالموضوع أيضاً حتى أنه نسي أن يكتب واجباته وهو يفكر بأمر هذه المصابيح».

تذمر ماكوتو من ورائها «لا تخبريه بهذا».

«يمكننا أن نغض النظر عن الواجبات هذه المرة، تابعي».

«اليوم، عندما اتصلت الطبيبة ماتشيكو لتخبر ماكوتو أن والده يتهرب من العلاج وإذا لم يعاود الذهاب في خلال ثلاثة أيام فسيعتقله المركز، حتى حينها كان يفكر بأمر المصابيح، فقد قال لنفسه إنها طبيبة تعمل في نادٍ رياضي ومن المحتمل أن لديها فكرة عن الموضوع».

قبض هونما على سماعة الهاتف بشدة وقال: «ثم ماذا؟ هل عرفت؟».

«حسناً لقد قالت، لم تسألني أنا لا أجيد لهجتها تماماً... لكن»...

«إذا؟ هل عرفت؟»

قالت هيسي بغضب: «ولم تظنني أتصل بك؟ هل أنت مستعد، شانسوك هونما؟ تلك المصابيح المجنونة لم تكن مجنونة على الإطلاق، بل نحن من كنا ننظر إليها بطريقة خاطئة».

«ماذا؟»

«الأضواء التي في الصورة كانت أضواء ملعب رياضي عادية ويوجد مثلها في كل ملاعب البلد، ولم تكن تتجه اتجاهاً خاطئاً، حتى إنها في الحقيقة لا تدور».

«لكن في الصورة»...

قاطعته هيسي: «كما قلت لك، كنا ننظر إليها بطريقة خاطئة، لقد قلت إن هناك بيتاً بالقرب من الملعب صحيح؟»

«نعم».

«ومع أن هذا لا يبدو منطقياً، لكن الخبر الجيد هنا، لقد قلت بما أن هذه المصابيح كانت تواجه البيت فهي حتماً تنير المنطقة التي تقع خارج الملعب».

«ثم ماذا؟»

«هذا هو الخطأ».

التقط ماكوتو السماعة وقال بحماسة:

«اسمع يا والدي، لقد أخبرتني الطبيبة ماتشيكو أن هناك مكاناً واحداً فقط في كل البلاد فيه ملعب، وقد بنيت بيوت داخله، فهمتني يا أبي؟ المصابيح كانت تتجه بالاتجاه الصحيح، لكن البيوت مبنية داخل الملعب».

بقي هونما مندهشاً للحظات ثم سأله: «وهل تعرف الطبيبة ماتشيكو أين يقع هذا المكان؟».

«بالطبع فهي معالجة فيزيائية من أوساكا، بالإضافة إلى أنها تشجع لعبة البيسبول أيضاً».

«إذاً، فالملعب في أوساكا؟».

«أجل، في أوساكا وهو ملعب لم يستخدم أبداً، ففي عام 1988 قامت شركة دايي بشراء فريق نانكاي هوكس ثم غادروا البلدة، ولذلك بقي فارغاً حتى الآن، لكنهم لم يهدموه بل أصبحوا يستخدمونه في المناسبات الضخمة مثل معارض السيارات وغيرها، وفي إحدى

المرات أقاموا ما يسمى بـ( مهرجان البيوت ) ».

«البيوت؟».

«لقد قالت لي إنهم أقاموه مرة أخرى منذ فترة وجيزة. إنهم يعرضون مجموعة كبيرة من نماذج البيوت، أي أن البيت الذي في الصورة ليس بيتاً حقيقياً، إنه مجرد نموذج».

# ✧ 18 ✧

لكي تذهب إلى أوساكا عليك أن تركب قطار نيو توكايدو السريع، ثم إذا مشيت لخمس دقائق من محطة أوساكا، فستصل إلى خط ميدوسوجي الفرعي الذي يمر بوسط المدينة قاطعاً إياها من الشمال إلى الجنوب، ثم ستضعك عشرون دقيقة من التدافع في محطة نامبا.

ولعبور مركز التسوق الضخم الواقع تحت الأرض، يحتاج الزبون الخبير بالتسوق إلى يومين كاملين ليكتشف المكان تماماً. بعد ذلك ستصل إلى تجمع كبير للمحلات الصغيرة ومكاتب تأجير المباني التي اصطفت مقابل بعضها، وفي الوسط كان ملعب البيسبول.

غطي الحائط الخارجي لملعب أوساكا القديم بالكامل تقريباً باللافتات واللوحات الإعلانية التي ألصقت بشكل عشوائي، حتى إنك لتظن نفسك واقفاً أمام أحد المخازن المهجورة. لكن مع ظهور مجموعة من الملاعب المجهزة بشكل كامل بأحدث مستلزمات الفرق مثل ملعب سيبو، طوكيو دوم، وملعب كوب غرين لا بد وأن بعض الفرق مثل نانكاي هوكس لن تلعب في ملعب متهدم مثل هذا.

لم يكن المدخل بارزاً بشكل كبير، ومساحة موقف السيارات لا تتجاوز الستة أقدام تقريباً. بالقرب من الموقف يوجد باب جرار مثبت في حائط معدني وقد علقت فوقه لافتة صفراء اللون كتب عليها

(استعلامات معرض البيوت) فتوجه هونما إلى الداخل.

كانت جدران المكتب مطلية باللون الأبيض، وقد علقت عليها لوحات بهيجة الألوان لبيوت من نماذج معمارية مختلفة وكل واحد منها يحمل رقماً في الأسفل.

عندما دخل هونما شعر بأن المكتب معتم بعض الشيء، فقد كانت عيناه لاتزالان متأثرتين بضوء شمس الصباح المشرقة. في آخر المدخل يوجد باب جرار آخر يؤدي إلى الملعب ذاته، وهناك استطاع هونما أن يرى مجموعة من نماذج البيوت وقد وضعت أمام صفوف من الكراسي ذات اللونين الأصفر والأحمر الفاتح. بالقرب من ذلك الباب وضعت عدة كراسٍ ذات مساند طويلة على شكل حرف L، وهناك جلست موظفة استقبال أنيقة بدت في الثلاثين من عمرها.

يبدو أن الناس يأتون إلى هنا بكثرة أيام الآحاد، وقد كان هناك الكثير من الزوار يجوبون المكان، ولحسن الحظ لم يكن هناك أحد عند مكتب الاستقبال، ولذلك لم تتضايق الموظفة أبداً عندما سألها عن صورة شوكو: «هل يمكنك أن تخبريني متى كنتم تعرضون هذا النموذج، لو سمحت؟».

«أخشى أنه لم يعد موجوداً هنا، هل تبحث عن بيت كهذا؟».

لم تكن لهجتها تشبه لهجة الطبيبة ماتشيكو وكان صوتها أجمل، لكن نبرتها لاتزال تدل على أنها من أوساكا: «إن كنت تريد بيتاً على الطراز الغربي يشبه هذا فلدينا نماذج حديثة».

«لا، لا. أنا مهتم بهذا البيت بالذات».

«أوه، هذا مؤسف». قالت ذلك وهي تلمس زاوية فمها بظفر

إصبعها الصغير، لقد كان الظفر الوحيد المطلي من بين أظافرها.

«منذ متى وأنتم تقيمون هذا المعرض هنا؟».

«بدأ هذا المعرض منذ الخريف الماضي، في شهر أيلول».

«ومازلتم تحتفظون بالنماذج نفسها طوال هذه الفترة؟».

«هذا صحيح».

«وهذا النموذج ليس واحداً منها؟ هل قمتم بتبديل النماذج في خلال هذه المدة؟».

«لا يا سيدي إنها نفسها، انظر إلى نشرتنا، ويمكنك أيضاً أن تخرج وتلقي نظرة بنفسك».

نظر هونما إلى كومة من النشرات الإعلانية الموضوعة على المكتب (ملعب أوساكا – معرض البيوت).

«أظن أن هذا حدث منذ وقت طويل، ولكن هل أقمتم معرضاً باسم (مهرجان البيوت) هنا؟».

«نعم أعتقد هذا».

«متى كان ذلك؟».

فكرت قليلاً ثم بدأت تبحث في مفكرة أمامها على المكتب. أما هونما فقد وضع يديه على الطاولة وانتظر.

«أقيم مهرجان البيوت لمدة أربعة أشهر من تموز وحتى أيلول عام 1987».

يبدو أنها كانت تقرأ بعض الملاحظات التي كانت قد كتبتها بخط يدها.

«إن عدد الشركات التي شاركت في ذلك المهرجان أقل بكثير من

المعرض الحالي، أقل من النصف ربما».

«هل تشارك جميع الشركات التي شاركت في ذلك المعرض في المعرض الحالي؟».

«نعم، لكن»...

تناول هونما إحدى النشرات وفرشها على المكتب: «آسف لإزعاجك، لكن هل يمكنك أن تحددي لي الشركات المشاركة الآن والتي شاركت أيضاً في المعرض السابق؟ فهذا سيساعدني في البحث. أعتقد أن جميع ممثلي الشركات موجودون داخل تلك البيوت. صحيح؟».

«نعم. جميعهم هناك». ثم أخذت تقارن النشرة بالسجلات التي لديها، وعلى الفور شكلت قائمة مؤلفة من خمس شركات.

عندما خرج هونما إلى الملعب لم يصدق أن هذه المساحة الصغيرة كانت ملعباً رياضياً بالقياس النظامي. عائلات بأكملها كانت في الخارج تتفرج على البيوت، ومجموعة من الشبان والفتيات الذين يحلمون ببناء بيت في يوم من الأيام كانوا يتجولون في المكان ينادون بعضهم ويخططون لبيت المستقبل، وفجأة خرجوا من عالم الأحلام فقد مرت بهم مجموعة من السيدات، متوسطات في العمر وهن يتذمرن «لا يمكن وضعه هنا؟»، «من المستحيل تنظيفه».، ثم تجمعن حول أحد مندوبي المبيعات وبدأن بطرح الأسئلة عليه، ويمكنك أن تسمعه وهو يجيب بكل لطف: «لدينا هنا أيضاً بيوت بنظام ديلوكس وبتصاميم أكثر أناقة، وجميع الغرف طبعاً فيها تدفئة مركزية.»...

كلما التقى هونما واحداً من المندوبين سأله: «هل رأيت هذه الفتاة

من قبل؟ ولا البدلة التي ترتديها؟»، وكي لا يضطر إلى تقديم شرح مطول عن الصورة كان يخبرهم بأنه يبحث عن ابنته التي هربت من البيت، وقد كانت هذه القصة مؤثرة جداً أكثر مما تصور، فقد تحمس الناس لمساعدته كثيراً. فهل كان حقاً يبدو مثل أب لفتاة شابة أكثر من كونه أباً لولد في العاشرة من عمره؟ لكن للأسف جاءت كل الإجابات بالنفي، شركة، اثنتان، ثلاث... كلما تجول أكثر في الملعب زاد اقتناعه في أن تحديد موقع البيت لن يفيد في الوصول إلى شوكو.

لقد تم حل لغز أضواء الملعب فجأة، وقد جاء بنفسه إلى أوساكا في لحظة اندفاع، لكن كيف له أن يعتمد على صورة صغيرة غير واضحة؟ لنفترض أنه اقتفى أثر الشخص الذي بنى البيت، لكن مع هذا ربما تكون شوكو مجرد شخص مرّ بالصدفة من أمام أحد النماذج التي أعجبته. يبدو أن الوصول إليها عن طريق الصورة شبه مستحيل.

آخر شركة بين الشركات الخمس، نيو سيتي هاوسينغ، أكلت الطعم. اللافتة الموضوعة في المدخل كانت بحجم مطبخ هونما بكامله، والمندوبة كانت قصيرة بعض الشيء إلا أنها بدت جميلة في التنورة الرمادية والحذاء العالي الذي جعل ظهرها يبدو مشدوداً ومستقيماً.

كتب على بطاقتها: «مرحباً! أنا ياماجوتشي».

«نعم إنه واحد من نماذجنا. أنا متأكدة من ذلك. إنه النموذج رقم 2 شاليه 1990 من مجموعة مهرجان البيوت».

كانت عباراتها منتقاة بعناية، لكن نغمة صوتها لاتزال تقول إنها من أوساكا.

«إنه مثل شاليه سويسري حقيقي وفيه موقد. دعني أسأل في مكتبنا

الرئيسي إن كان لديهم كتالوج». وتوجهت نحو غرفة إلى اليمين، كانت تستخدم مكتباً مؤقتاً، لكن هونما استوقفها.

«لا. لا داعي لذلك كل ما أردته هو التأكد من أن هذا البيت كان معروضاً هنا حقا؟».

«عفواً؟»

«في الحقيقة، هناك أمران أود أن أسأل عنهما، إذا لم يكن لديك مانع».

عندها ابتعدا عن زحمة الزوار ووقفا بجانب نافذة غرفة للمعيشة فرشت بأناقة وذوق رفيع، ثم سألها هونما أسئلته المعتادة، لكنها لم تكن تعرف شيئاً عن شوكو، فاعتذر هونما وكان على وشك أن يغادر عندما طلبت منه ياماجوتشي أن ينتظر لحظة، ثم قالت وهي تضع يدها على خدها وكأن أسنانها كانت تؤلمها.

«الثياب التي ترتديها الفتاة في الصورة تبدو مألوفة، لكني لا أستطيع أن أحدد أين رأيتها».

«أنت متأكدة؟».

«إلى حد ما، لكن هناك سيدة من بين العاملين هنا كانت موجودة خلال مهرجان البيوت، دعني أذهب كي أجدها، هل يمكنني أخذ الصورة معي؟».

«بالتأكيد، ها هي».

«سأعود حالاً».

وبينما كانت داخل المكتب، كان الناس الذين يمرون بالقرب من غرفة المعيشة يلقون على هونما نظرة فضولية تقول (هل اشترى الغرفة

وهو الآن ينتظر ليوقع الأوراق؟).

رجعت ياماجوتشي برفقة امرأة أطول وأكبر منها قليلاً، تلبس الثياب الرمادية نفسها وكتب على بطاقتها (مرحباً! أنا كوماتشي)، انحنت قليلاً حالما رأت هونما وكانت الصورة في يدها، ثم قالت من دون أن تنتظر أن تتعرف إلى هونما: «أعتقد أن هذا الزي يخص وكالة ميتومو».

«وكالة؟»

قالت وهي تعيد الصورة إلى هونما: «إنها وكالة سفريات. لقد تذكرتها من خلال الندوات التدريبية التي نقوم بها. أنا متأكدة من ذلك، فنحن جميعاً بما في ذلك نيو سيتي هاوسينغ تحت مظلة ميتومو جروب، ووكالة ميتومو هذه هي شركة تابعة لها أيضاً.

«إذا هي أخت للشركة».

«هذا صحيح. إن موظفي جميع هذه الشركات يجتمعون في مقر ميتومو جروب مرة أو مرتين في السنة ليتلقوا بعض المحاضرات بغرض التدريب وتبادل المهارات».

أضافت السيدة كوماتشي: «كانت الندوة التي حضرتها في المرة الماضية من أجل موظفي السنة الأولى والثانية، حضرتها نساء من جميع الشركات التابعة، وقد تعيَّن علينا جميعاً أن نتدرب على مهارات العمل المكتبي، وتنافسنا أيضاً. فعلى سبيل المثال، كانت هناك مسابقة للرد على الهاتف والجائزة الكبرى كأس فضية كبيرة».

ابتسم الاثنان ثم قالت السيدة ياماجوتشي: «أعتقد أن من التقط هذه الصورة للسيدة التي ترتدي زي وكالة ميتومو وتلوح للكاميرا،

هو أحد الموظفين. لقد أخذت الصورة في الندوة التدريبية نفسها».

وافقتها زميلتها على ذلك وقالت بحماس: «من دون شك».

«هل هناك طريقة للتأكد من هذا؟ قائمة بأسماء المشاركين أو ما شابه ذلك؟».

«لا أظن ذلك، لكن يمكنك أن تسأل في مركز المراجعة».

«وأين هذا؟».

«إنه بالقرب من مكاتب ميتومو جروب، إن سجلات جميع الموظفين تحفظ هناك وإذا شرحت لهم ما أنت بحاجة إليه، فأنا متأكدة أنهم سيساعدونك. إنه بجانب محطة أوميدا تماماً».

موظفة الاستقبال الجالسة وراء المكتب في الطابق الأرضي من بناية ميتومو جروب المؤلفة من سبعة طوابق، لم تقدم المساعدة لهونما كما كان يأمل، حتى إنه لم يكن قد أكمل كلامه بعد عندما قاطعته قائلة: «نحن لا نقدم أية معلومات عن الموظفين الذين يعملون هنا».

لا مزيد من الأسئلة.

أصبح هونما الآن معتاداً على لهجة أهل أوساكا، فقد بدا كلام هذه السيدة سهلاً وواضحاً وبصراحة، كان قد هيأ نفسه لمثل هذا الرد، فهو لم يكن في مهمة رسمية. أي أن يديه مقيدتان ولا يمكنه القيام بأي شيء، ولا يضطر أحد أن يجيب على أسئلته، هذا بالإضافة إلى أن قيام الشركة بإعطاء معلومات عن موظفيها لأي كان، يعتبر انتهاكاً خطيراً للخصوصية.

«لا بأس، لكن أريد أن أطلب منك معروفاً، هل يمكنك أن تلقي

نظرة على هذه الصورة وتخبريني إن كانت هذه المرأة قد جاءت إلى هنا من أجل ندوة تدريبية أقيمت بين شهري تموز وأيلول من عام 1989؟».

«لا. لا يمكنني ذلك».

«إنني أبحث عن سيدة مفقودة، وسأكون شاكراً جداً لك إن ساعدتني».

«وما الذي يجعلك واثقاً من أن هذه السيدة عملت هنا؟».

«كنت أحاول أن أخبرك، هذه الصورة»... ثم أخرج الصورة وبدأ يشرح لها. عندها قطبت موظفة الاستقبال جبينها وقالت: «آسفة، لا أستطيع مساعدتك».

«وهل أنت وحدك من يقرر هذا؟».

«أجل».

«ألن أنجح بإقناعك بمساعدتي ولو قليلاً؟».

«سيدي، أنا ببساطة لست مخولة لأجيب عن هذا النوع من الأسئلة، ربما يجب عليك أن تقدم طلباً خطياً».

«فهمت، يجب أن أكتب ما أريده على ورقة. صحيح؟ وبعد ذلك سأحصل على رد بشكل أكيد؟».

وأخيراً أضعف هذا السؤال ثقتها بنفسها فقالت بتردد: «انتظر هنا للحظة من فضلك».

خرجت من وراء الطاولة ومشت عبر الرواق ثم اختفت وراء باب بعيد.

استند هونما إلى الطاولة وتنفس عميقاً، ثم قال لنفسه: «هذا جيد».

ثم انتابه شعور بالأسف عندما تذكر كم كانت محفظته الجلدية الصغيرة ذات أهمية عندما كانت بطاقته بداخلها وكم هو عاجز الآن لكونه مجرد شخص مدني.

كان المكان هادئاً تماماً، فلم يكن هناك أحد غيره، ولذلك بدا صوت تنفسه عالياً أكثر من المعتاد وكونه وحده فقد أسند مرفقيه على الطاولة ليخفف الثقل عن رجله، على أن يقف بشكل مستقيم حالما ترجع الموظفة.

وفي هذه الأثناء لاحظ على الطاولة رزمة من النشرات الإعلانية بألوان وأحجام مختلفة، الأضخم والأسمك بينها كانت بعنوان (انطلق مع ميتومو) وتتضمن كل الشركات التابعة.

لم يكن هونما متأكداً في البداية ما الذي لفت انتباهه، كل ما رآه كان خطوط الأحرف، أربعة أعمدة مطبوعة بشكل رائع تحت اسم ميتومو، مجالات ضخمة ومتنوعة من النشاطات، ومعظم الشركات لا علاقة لها بالبيوت أو بالعقارات إطلاقاً: ميتومو العالمية، ميتومو التجارية، ميتومو الهندسية، تيرا بيونيكس، مينامي غرين جاردن... لقد قرأ قائمة أسماء الشركات مرتين ولم يستطع أن يحدد ما الذي لفت انتباهه بالضبط؟ هل سمع بأحد هذه الأسماء في مكان ما من قبل؟

كان قد انحنى فوق المكتب نصف انحناءة عندما سمع صوت أقدام تقترب، فوقف بسرعة. كانت المرأة تحث الخطا عائدة نحوه وتعلو وجهها نظرة عدائية. قالت بسرعة:

«لقد تأكدت من مديري، أنا آسفة لا أظن أن بإمكاننا أن نلبي طلبك».

«لا؟»

«هذا بالإضافة إلى أن السجلات التي نحتفظ بها هنا في مركز المراجعة والتي تخص المشاركين بالدورات التدريبية لا تتضمن صوراً فوتوغرافية، لذلك وبكل الأحوال لن تستطيع أن تقارن بين اسم الموظفة والصورة التي لديك».

«فهمت».

«وهكذا، حتى لو قدمت طلباً خطياً لن نتمكن من إعطائك جواباً».

«جيد جداً». هذا كل ما استطاع هونما قوله.

«ماذا؟».

«لقد فهمت، وأنا آسف جداً لأني أزعجتك».

نظرت إليه الموظفة نظرة غاضبة فتواضعه المفاجئ كان مثيراً للدهشة قليلاً.

أشار هونما إلى النشرة الإعلانية الضخمة وقال: «طلب واحد أخير، هل أستطيع أخذ واحدة من هذه؟».

تناولت الموظفة، التي امتلأ وجهها بالعدائية، إحدى النسخ ومررتها إليه على الطاولة بحركة متقنة.

«شكراً».

ثم أشار إلى إحدى الشركات المدونة على الغلاف وسألها: «هل هذه الشركة تابعة لميتومو جروب أيضاً؟».

«نعم».

«وهل يأتي موظفوها أيضاً إلى هنا من أجل التدريب؟».

«هذا صحيح».

«وهل هذه الشركة في أوساكا؟».

فتحت الموظفة إحدى النشرات الإعلانية، وقد أصبحت مرتابة في الأمر أكثر وقالت: «نعم ومكتبها يقع في المبنى الرئيسي لشركة ميتومو للبناء».

«وهل لها فروع أخرى؟».

«لا يا سيدي. فقط المخازن ومركز التوزيع وهما في كوبي».

ثم أشارت إلى إحدى الصفحات في النشرة وقالت: «ستجد هنا كل التفاصيل التي أنت بحاجة إليها».

كان اسم الشركة مكتوباً في أعلى الصفحة بأحرف كبيرة وتحته مباشرة رمز على شكل وردة زهرية اللون وعبارة تقول (أروع الألبسة الداخلية المستوردة وبأفضل الأسعار)، لم يكن هونما بحاجة إلى قرأة العبارة. لقد اكتشف أنه نفس الرمز الذي رآه على الصندوق الذي بحوزة نوبوكو كونو في مجمع كاوا جوتشي السكني.

ذلك الصندوق يعود لشركة تبيع الألبسة الداخلية عبر البريد كانت شوكو تتعامل معها. إنها شركة روزالين.

## ✧ 19 ✧

أوميدا، قلب المدينة التجارية العظيمة أوساكا.

لم يكن إيجاد مقر مكاتب ميتومو جروب أمراً صعباً، إلا أن المبنى كان يبدو قديماً بعض الشيء بالمقارنة مع مبنى مركز المراجعة الجديد المتألق، على الرغم من أن لونه الرمادي جعله يبدو أكثر فخامة.

فكما ورد في الدليل، كانت شركة روزالين في الطابق الرابع وميناميي غرين جاردن إلى جانبها في الطابق نفسه، مما يدل على أن هاتين الشركتين كانتا من بين الشركات الصغرى في إمبراطورية ميتومو.

ارتدت موظفة الاستقبال في روزالين بدلة بلون زهري فاتح، وهو لون شعار الشركة نفسه الملصق على الباب الزجاجي. ولون السجاد أيضاً كان خمرياً قاتماً مائلاً إلى السواد قليلاً في إحدى الزوايا.

طلب هونما في البداية أن يقابل مسؤول شؤون الموظفين.

«هل لديك موعد؟».

«لا للأسف، لكنه أمر ملح للغاية». حاول أن يبدو جدياً قدر المستطاع ثم أخرج صورة شوكو.

«ربما تستطيعين أن تخبريني فيما إذا كانت هذه السيدة قد عملت هنا في وقت من الأوقات. إنها مفقودة وأنا أحاول إيجادها».

دققت موظفة الاستقبال في الصورة جيداً، ويبدو أنها ارتعبت من أسلوب هونما العنيف، فقد طلبت إليه أن ينتظر من دون أن تسأل حتى عن اسمه، وأسرعت إلى غرفة في الخلف والصورة ترفرف بين أصابعها.

تمشى هونما باتجاه المصعد حيث لاحظ خزانة للعرض مملوءة بكتالوجات شركة روزالين. فتح واحداً وألقى نظرة على لائحة المحتويات ثم راح يتصفحه بشكل عشوائي. لم يكن قد رأى شيئاً كهذا من قبل. (كيف ترسل طلبك) كان الجزء الوحيد الذي لم يرفق بصور لعارضات في وضعيات مثيرة ويرتدين ملابس داخلية.

في الأسفل هناك شرح مكتوب بعناية وبصيغة تعاقدية:

عندما تحضر طلبيتك للمرة الأولى تأكد من فضلك أن تضمنها اسمك وعنوانك ومكان العمل، ويسرنا أن نستقبل طلبك عبر الهاتف. اطلب رقمنا المجاني فقط، كما تقبل الطلبات أيضاً عن طريق الفاكس لأربع وعشرين ساعة في اليوم.

الدفع مريح، إما عن طريق بطاقة الائتمان أو الحوالات البريدية.

التسليم في تواريخ محددة وخدمة تغليف الهدايا متوافرة عند الطلب.

هل لديك صديق تريده أن يتلقى الكتالوج الخاص بشركتنا؟

ستحصل من أجل كل زبون جديد تقدمه على تخفيض 5٪ على البضاعة التي ستشتريها في المرة القادمة وستحظى بفرصة الحصول على هدية مجانية ثمينة من خلال الدخول في السحب على الجائزة.

كان هونما متشوقاً لمعرفة ما كتب في الأسطر المتبقية، هذه هي

عملية إغراء الزبون.

هل أنت مهتم بالمشاركة في استقصائنا حول أوضاع الزبائن؟ هل هناك أية منتجات أخرى تحب أن تراها تحمل اسم روزالين بالإضافة إلى الملابس الداخلية الرائعة التي نقدمها؟ ساعدنا كي نقدم لك الأحدث في عالم الجمال والأناقة.

يمكنك أن تساعدنا عن طريق تقديم اقتراحات حول احتياجات المرأة في القرن الخامس والعشرين، من خلال تخصيص خمس دقائق فقط لملء هذا الاستبيان وإرساله إلينا قبل التاريخ المذكور في الأسفل، وكل من يرسل إلينا سيحصل على الأمتعة الخاصة بالسفر من شركة روزالين.

وبمجرد ملء هذا الاستبيان ستحصل على هدية قيمة، دعنا نرى، أولاً الأمور العادية:

- قائمة بأسماء أفراد العائلة.
- هل تملك بيتاً أم أنت مستأجر؟
- عدد السنوات التي قضيتها في عملك الحالي.

لكن الآن هناك بعض الأشياء غير المألوفة:

- هل غيرت مهنتك يوماً؟ إن كان الجواب نعم، فلماذا ومتى؟
- مؤهلات خاصة: معالجة نصوص، رخصة قيادة، شهادة في العمارة... إلخ.
- مبلغ المدخرات الشخصية بشكل تقريبي.
- نوع التأمين الذي لديك، اسم الشركة/ الشركات التي حصلت

منها على بطاقات ائتمان.

وتحت عنوان (المشاركين غير المتزوجين):

- أين تحب أن تقيم حفل زفافك؟ في فندق، صالة أعراس، معبد بوذي، مزار سنتو أم غيرها؟
- إلى أين تريد أن تذهب لقضاء شهر العسل؟
- هل سافرت يوماً خارج البلاد؟ إن كان جوابك نعم فاذكر تاريخ أول رحلة قمت بها.

وتحت عنوان (المشاركين المقيمين وحدهم):

- هل تخطط لامتلاك بيتك الخاص في المستقبل؟

رفع هونما بصره وحدق في ورق الجدران الزهري اللون.

شركة روزالين تبيع الألبسة الداخلية المستوردة عبر البريد. إنها تقدم بضاعة رائعة بأسعار معقولة، وهذا كل ما تفعله. لكن إن كان لديها زبائن يستجيبون لهذا الاستبيان فلا بد أن لديها قاعدة معلومات فورية، بل بالأحرى شاملة وواسعة وأي شخص يعمل هنا ويعرف كيف يستخدم المفاتيح الصحيحة سيصل مباشرة إلى كل تلك البيانات.

خرجت موظفة الاستقبال من الغرفة الخلفية.

«آسفة لجعلك تنتظر».

وراءها مباشرة وقفت سيدة في منتصف الثلاثينيات تلبس بدلة أنيقة بلون أخضر فاتح وقبل أن يفتح هونما فمه بكلمة قالت:

«نأسف أن نخبرك بأننا لا نستطيع أن نساعدك في الموضوع الذي جئت من أجله».

كانت حادة، بل صارمة قليلاً وبدت مصممة على صده.

قال هونما بنبرة استرضائية: «أخشى أنني لم أشرح المسألة كما يجب، لذلك لا يدهشني أنكم وجدتم أسئلتي غريبة بعض الشيء، أرجو أن تمنحيني خمس دقائق لأوضح الأمر».

«آسفة جداً ياسيدي، هذا غير ممكن فقوانين شركتنا تمنع وبشكل واضح الموظفين من استقبال الزوار الذين ليست لديهم مواعيد مسبقة».

إما أن يكون هونما قد التقى بالشخص الخطأ، أو أن هناك ما يثير الشك في تصرفه؟

وبينما كان يفكر في شيء آخر يقوله لمح وراء السيدتين شاباً يقف محدقاً عند الباب ولكنه تراجع بسرعة عندما أحس بأن هونما لاحظ وجوده.

عندها قال هونما بلهجة جافة: «حسناً إذاً، سأعود في وقت آخر».

غير أن السيدة ذات البدلة الخضراء لم تزعج نفسها حتى بالابتسام.

«هل أستطيع أن أسترجع الصورة؟».

نظرت السيدة إلى موظفة الاستقبال ذات الثياب الزهرية التي تراجعت بهدوء ثم أسرعت مبتعدة، ألقى هونما نظرة عليها بعد أن ذهبت لكن لم يكن هناك أثر لأي شخص في الممر.

وفي الحال عادت الصورة إليه، واستطاع هونما أن يلاحظ نظرة الرضا على وجه السيدة ذات البدلة الخضراء وهي تريه الباب مرسلة إياه إلى الخارج من دون أية معلومة. إنها لا تعرف إطلاقاً كم كان

مرتاحاً لخروجه من هذا المكان.

رجع هونما إلى المصعد وضغط على زر النزول، فأضيء ضوء أحمر دالاً على أن هناك واحداً في الطريق، ومن دون أن يفكر تلفت حوله وأسرع ليختبئ في بيت الدرج. وصل المصعد إلى الطابق الرابع ففتح الباب وأغلق ثانية من دون أن يدخل أو يخرج أحد.

ربما حدث ذلك عن طريق الخطأ. وبينما كان هونما يفكر، سمع وقع أقدام تقترب. إنه الشاب نفسه الذي رآه في المكتب، كان ينتظر المصعد، لقد ضغط على الزر عدة مرات ولما لم يأت المصعد نظر إلى مخرج الطوارئ القريب فلمعت في رأسه فكرة. توجه نحو بيت الدرج وقبل أن يصطدم بهونما خرج الأخير من مخبئه وقال: «هل كنت تبحث عني؟ يا لها من صدفة؟».

ارتعب الشاب وراح يتكلم من دون تفكير: «هيديكي وادا، مساعد مدير، القسم الإداري في شركة روزالين. والسيدة التي ترتدي ثياباً خضراء اللون هي أحد رؤسائي، إنها تعمل في قسم المبيعات. أما أنا فأهتم بشؤون الموظفين».

ظن هونما أنه في الرابعة أو الخامسة والثلاثين، لولا مظهره المستهتر بعض الشيء. فقميصه ذو الأكمام منحه طلة عفوية، لكن حذاءه كان فخما جداً. كانت هذه المرة الأولى التي يسمع فيها هونما واحداً من شباب هذه الأيام يتحدث بلهجة أوساكا المحلية.

بينما كانا ينزلان الدرج، سأله الشاب: «كيف عرفت أنني سألحق بك؟».

أجابه هونما: «لم أكن متأكداً من ذلك، لكنك بدوت

وكأنك تعرف شيئاً».

توقف وادا عند فسحة الدرج الثانية، كان الهواء ساكناً تماماً في هذا المكان الضيق.

«سيد وادا، لقد رأيت الصورة التي كانت معي، أنت تعرف تلك المرأة، أليس كذلك؟».

وأخرج هونما الصورة ثانية «انظر إليها جيداً».

مسح وادا كفه المتعرقة ببنطاله، كان ما يزال مضطرباً، وقال بنفس متقطع: «أجل».

«هل كانت هذه السيدة تعمل في شركة روزالين؟».

هذه المرة أومأ برأسه فقط، إيماءة بسيطة جداً، لم تكن جواباً مرضياً إلا أنها كانت البداية.

«لماذا تسأل عنها؟».

«إنها قصة طويلة».

«أعطني فكرة عن الموضوع على الأقل».

هناك شيء ما وراء هذا الشاب، شيء مهم جداً وملح. ماذا لو كانت شوكو سيكين بالنسبة إليه أكثر من مجرد زميلة عمل سابقة؟ قرر هونما أن يقول الحقيقة أو على الأقل القدر الذي يعرفه منها.

«في الحقيقة إن هذه المرأة انتحلت شخصية امرأة أخرى، وهناك احتمال بأن تكون هذه المرأة الأخرى إحدى زبائن شركة روزالين، اسمها شوكو سيكين».

كرر وادا الاسم بينه وبين نفسه «شوكو سيكين..».

«ها قد أخبرتك. لقد جئت إلى هنا من أجل هذا الأمر».

لقد تجاوب وادا معه في الحال.

«بعد خروجك من المبنى اتجه يميناً، ثم سر بخط مستقيم حتى تقطع أربعة من أعمدة الإنارة، عندها انظر إلى اليمين وستجد مقهى يدعى كانتيكي، انتظرني هناك وسأوافيك في غضون دقائق».

فعل هونما كما أخبره فوجد نفسه ينتظر لأكثر من ساعة، لكنه لم يكن ليشعر بأنه وقت طويل، لولا هذا التشنج الرهيب في رقبته. كان يشعر بالاضطراب ذاته الذي أصابه حين حاول لأول مرة أن يحمل متهماً على الاعتراف.

وصل وادا أخيراً، كان يلبس سترة جميلة تتناسب مع البنطال تماماً. إنها ثياب غالية الثمن من تصميم أحد المصممين الذي لم يكن هونما قادراً على لفظ اسمه.

اعتذر وادا بشدة لأنه جعل هونما ينتظر كل هذا الوقت ثم جلس على الكرسي المقابل، ووضع مغلفاً كبيراً يحمل اسم الشركة كان يحمله تحت ذراعه على الكرسي الذي بجانبه.

«لقد اختلقت لهم قصة مقنعة في الشركة، لذا يمكننا أن نجلس ونتحدث كما نريد. أظن أنه بإمكانك الآن أن تخبرني القصة الكاملة ومن البداية».

لم يقاطع هونما ولا مرة ولم يلمس فنجان القهوة حتى. إنما كان يتنهد وهو ينظر إلى صورة شوكو التي كان هونما قد وضعها على الطاولة.

ولما أنهى هونما حديثه سأله وادا: «هل هذه هي الحقيقة؟».

قال هونما وقد جف حلقه قليلاً: «هذا كل شيء».

تناول وادا الملف وقال: «حسناً، لقد توقعت أنك ستختصر الوقت

إذا ألقيت نظرة على هذه».

ثم أخرج ثلاث ورقات بحجم الأوراق الرسمية تمت طباعتها باستخدام الكمبيوتر وقد خرزت مع بعضها ووضعها جانباً.

«يوجد هنا ملف الموظفين السابقين، إذ لا نتخلص من السير الذاتية وكشوفات الرواتب الخاصة بالموظفين فور تركهم الشركة».

ثم سلمها لهونما «تفحصها، لا أظن أن فيها أي خطأ».

كانت الصفحة الأولى عبارة عن سيرة ذاتية، وفي أعلاها رأى هونما الوجه نفسه الذي رآه لأول مرة قبل عشرة أيام على السيرة الذاتية التي حصل عليها من مكتب إيماي، إلا أن تصفيفة الشعر كانت مختلفة. لكن لم يكن هناك أدنى شك بأنها هي، وعلى الطرف نفسه كتب الاسم.

قرأ هونما بصوت عال «كيوكو شينجو».

«أنا أتذكر الآنسة شينجو جيداً، إلا أن شعرها كان متموجاً عندما كانت تعمل معنا».

إنها مولودة في 1966/4/10، أي إنها في السادسة والعشرين من عمرها. وهذا يجعلها أصغر من شوكو سيكين بسنتين، والمكان الذي حفظ فيه سجلها العائلي كان فوكوشيما، في الشمال.

«لقد بدأت العمل معنا في نيسان 1988، والصفحة الثانية هي من ملفها الشخصي، وقد دونت فيه التواريخ الدقيقة للفترة التي قضتها في الشركة».

كما قال بالفعل، كتب في السجل (بدأت العمل في 1988/4/20 واستقالت في 1989/12/31) هذا يعني أن كيوكو شينجو كانت في الثانية والعشرين عندما بدأت بالعمل، أي بعد أن تخرجت في المدرسة

الثانوية بأربع سنوات، ولم يذكر أنها عملت في وظيفة سابقة فالخانة المخصصة لهذا كانت فارغة.

«هل لديك فكرة عن عملها قبل أن تأتي إلى هنا؟».

حك وادا تحت أنفه وهو يفكر ثم قال: «هل هناك أمر مهم؟».

قال هونما محاولاً أن يتملص: «لا ليس هناك شيء».

«قالت إنها كانت متزوجة».

«متزوجة...؟».

«أجل. لقد تزوجت في سن مبكرة لكن الزواج لم ينجح. هذا ما قالته».

«لا بد أنها كانت صغيرة جداً».

«لقد عملت في عدة وظائف بعد تخرجها في المدرسة الثانوية، كما قالت، لكنها لم تدونها في السيرة الذاتية وعلى أيَّة حال نحن لا نهتم كثيراً بهذه التفاصيل».

هذا جيد، حدث هونما نفسه. لكن ماذا لو كانت المعلومات التي دونتها هنا تلفيقات أخرى؟ فقد كتبت تحت بند [الجوائز والتوصيات]: لا يوجد، [المؤهلات]: الحسابات- المركز الثاني، [رخصة قيادة]: يوجد».

كانت شوكو سيكين الحقيقية تملك رخصة قيادة أيضاً، وبما أن رخصة القيادة تتضمن صورة شخصية، فهذا يعني أنه من المستحيل أن تقوم كيوكو بتجديد رخصة شوكو، لذلك لابد أنها وببساطة تخلصت منها وتظاهرت بأن شوكو سيكين لا تستطيع أن تقود سيارة.

الخانة المخصصة للعائلة كانت أيضاً فارغة.

«لم يكن لها أية عائلة؟».

«قالت إن والديها توفيا منذ زمن بعيد».

«إذاً، كانت تعيش وحدها».

«هذا صحيح، في شقة صغيرة بالقرب من سينري في أوساكا. كانت لديها شريكة في السكن، إذ كان الإيجار مرتفعاً لساكن واحد، حسب قولها».

شريكة سكن؟

«وهل تعرف اسم شريكتها هذه؟».

«حسناً. إنه ليس مذكوراً هنا»...

«وهل يمكنك أن تحصل عليه؟».

«سأحاول. أعتقد أنه يمكنني ذلك».

رفع هونما بصره عن السيرة الذاتية وراح يراقب وجه وادا، كانت عينا الشاب مثبتتين على الصورة الموضوعة على الطاولة. إنها صورة كيوكو شينجو المتظاهرة بأنها شوكو وخلفها قلعة ديزني لاند في طوكيو.

«كنت تعرفها جيداً، أليس كذلك؟».

غمز وادا بعينيه وكأن أحداً رشقه بالماء على وجهه وقال متلعثماً:

«الآنسة شينجو؟ لماذا؟ بالتأكيد، لقد كانت تعمل تحت إشرافي، وأنا من أجرى معها المقابلة من أجل العمل».

ليس هذا ما قصدته، قال هونما لنفسه، وأنت تعرف هذا، فلا أحد يهتم كل هذا الاهتمام بموظف يعمل تحت إدارته.

«لا أقصد أن أبدو فضولياً، لكن كيف كانت علاقتكما على الصعيد الشخصي؟».

أجابه وادا محاولاً أن يرسم ابتسامة: «أعتقد أننا كنا مقربين لبعضنا أكثر من الجميع، وكنا نتناول الغداء معاً أحياناً. أجل، وعندما قالت إنها ستترك العمل تفاجأت كثيراً».

«هل ذكرت السبب؟».

هز وادا رأسه: «لم تقل شيئاً».

«وأنت؟ ألم تطلب منها أن تخبرك؟».

«وبأي حق أفعل هذا؟» وابتسم ابتسامة حقيقية لكنها حزينة.

«هل هذا ما قالته لك؟ إنك لا تملك الحق في سؤالها؟».

لم يجب وادا، لكن لم تكن هناك حاجة إلى ذلك فنظرته البائسة أوضحت كل شيء.

تصفح هونما باقي الأوراق بصمت.

كانت كيوكو شينجو فتاة جميلة حقاً، لا بد أن الكثير من الرجال كانوا يلاحقونها ووادا واحد منهم.

لقد اختفت ابتسامته الآن، لكنه مازال يحدق في الصورة.

سأله هونما: «ما هي طبيعة عمل الآنسة شينجو؟».

لم يكن السؤال بهذه الصعوبة، إلا أن وادا لم يجب مباشرة.

«دعنا نرى إن كان هذا ما تفكر فيه. أنت تظن أنها عندما كانت تعمل هنا حصلت على بيانات شوكو سيكين وحفظتها في رأسها كي تنتحل شخصيتها صحيح؟».

فاجأ هذا السؤال هونما كثيراً، إذا كان وادا قد قطع شوطاً بعيداً إلى

هذا الحد في هذه اللعبة، فالباقي سيكون سهلاً.

أومأ هونما برأسه وقال: «هكذا يبدو الأمر بالنسبة إليَّ».

هز وادا رأسه: «هذا مستحيل، ولا يمكن أن يحدث».

«ولم لا؟ إن بيانات الزبائن موجودة هناك في الكمبيوتر، وفي متناول اليد. ما عليك سوى أن تضغط بضعة مفاتيح وستصل إلى المعلومات».

من المؤكد أن هناك ما دفع كيوكو شينجو حتى قررت الاستيلاء على هوية شوكو. لكن كيف؟ إن لم تكن مقربة إليها لدرجة تسمح لها بمعرفة مسألة مهمة كالإفلاس، فكيف يمكن أن تعرف كل شيء عن سجلها ووضعها العائلي؟

«ماذا عن استبيان العملاء؟ لا يمكننا أن ننكر بأنه يتضمن الكثير من المعلومات الشخصية».

في الواقع ربما كانت كيوكو تبحث عن بضعة أمور أساسية، لقد وضع هونما نفسه في مكانها. أولاً، كانت تبحث عن امرأة في مثل عمرها، ليس لها عائلة ولا تسكن مع أحد آخر. كانت هذه مسألة جوهرية: أن لا تكون لديها علاقات. أما الأمور الأخرى فستكون كيوكو قادرة على التعامل معها في وقتها. كما أنه من غير الملائم أن تكون هذه المرأة تملك جواز سفر أو رخصة قيادة أو أي شيء يتضمن صورة شخصية. غير أنها ستفكر بهذه الأمور بشكل مفصل فيما بعد. وسيكون أمراً رائعاً إن كان لديها دخل جيد ومدخرات، إلا أن هذين الشرطين لا يجتمعان إلا مرة واحدة.

أوه نعم. هناك أمر آخر، لابد أن تكون هذه المرأة قد أقامت في

مكان بعيد قدر الإمكان عن مكان إقامة كيوكو في أوساكا، لأن هذا سيكون مهماً وضرورياً جداً.

شوكو سيكين كانت مناسبة من جميع النواحي.

«لكن لا يمكنها أن تعرف أن شوكو سيكين كانت قد أفلست عن طريق إلقاء نظرة واحدة على هذا الاستبيان. لابد أن الآنسة شينجو لم تعرف بهذا، فهو ليس مذكوراً هنا».

تناول وادا ملف الأوراق الذي كان قد وضعه جانباً: «انظر إلى هذا، لقد طبعته عن الكمبيوتر قبل أن آتي إلى هنا».

وقعت عينا هونما مباشرة على اسم شوكو سيكين في أعلى الصفحة. إذاً لقد كانت زبونة للشركة.

مد وادا يده وأشار قائلاً: «الورقة العلوية هي بيانات الزبون الأساسية، أترى هذا الرقم (205) في الأسفل؟ إنه رمز بياناتك الأساسية. يعطيك كل المعلومات المجدولة لأي شخص، وهي دقيقة تماماً».

وافقه هونما قائلاً: «يبدو الأمر كذلك».

إن الرابط بين هاتين المرأتين يختبئ في الحاسوب المركزي لميتومو جروب.

«في الصفحة الثانية يوجد تقرير عن البضائع التي طلبتها الآنسة سيكين: تاريخ استلام الطلب، تاريخ تحضيره ومن ثم إرساله والرمز هو (102). أما الصفحة الأخيرة فهي تقرير عن الدفعات والتاريخ المكتوب بعد كل رقم يشير إلى تاريخ استلام الدفعة في حين أن الحرف (ح) يعني (حوالة بريدية)».

«لم تستخدم أية بطاقة ائتمان».

«لكنها سددت كل الدفعات، لم تتأخر ولو مرة واحدة عن التاريخ المحدد. صحيح أنها لم تكن تشتري الكثير، لكن بالنسبة لنا فهي تعتبر زبونة جيدة».

كانت الصفحة مليئة بمبالغ صغيرة: 5,120 ين، 4,800 ين، 10,000 ين كحد أقصى.

قلب وادا الصفحات المطبوعة وقال: «بالنظر إلى البيانات الأساسية، يمكن أن تجد في بند الاستبيان الخاص ببطاقة الائتمان أنها كتبت (لا يوجد)، لكن هذا وحده لا يكفي لجعلنا نعتقد بأنها كانت مفلسة. فإذا كان ما تقوله صحيحاً يا سيد هونما»...

«إن كان ذلك صحيحاً؟»

«لا تظن أنني أدافع عن الآنسة شينجو». لقد أصبح عدائياً بعض الشيء: «إن نظامنا حصين جداً ومن المستحيل أن تتسرب أية معلومات».

كان هونما على وشك أن يعترض لكن وادا أوقفه بإشارة من يده.

«إذا أردت يمكنني أن أريك المكتب وستحكم بنفسك، في المساء بعد الساعة السابعة وبعد أن يغادر جميع الموظفين، ما عدا الحارس المناوب هل يناسبك هذا؟».

«سأكون شاكرا لك».

«سترى كم هو محكم، هذا ما نسميه (النظام المغلق). ليس مرتبطاً بأي مكان آخر سوى مركز التوزيع والمخازن».

«ولكن في شركة بيع عن طريق البريد، لا بد أنكم تتلقون الاتصالات طوال الوقت».

«أكيد، لدينا عاملات الهاتف».

«وهن يتعاملن بالمعلومات التي لديهن صحيح؟ فعندما تتصل بهن سيقمن بالتحقق من الدفعات مثلاً باستخدام أجهزة الكمبيوتر التي بحوزتهن، فما الذي سيمنعهن من إدخال أحد هذه الرموز التي لديك واستخراج كل المعلومات التي يردنها؟».

تركه وادا ينهي كلامه ثم هز رأسه وقد بدا متعنتا: «لا يمكن أن يحدث هذا».

«ولم لا؟».

«لسبب واحد، وهو أن عاملات الهاتف مشغولاًت كثيراً بالرد على المكالمات، وبالكاد يجدن الوقت لالتقاط أنفاسهن، وإذا حاولن إعطاء الكمبيوتر أوامر غير مألوفة سيتلقين تنبيهاً عند أول نقرة. فهن لا يستطعن نسخ أو طباعة أي شيء من دون تفويض. كل ما يفعلنه هو إدخال البيانات».

ثم مال نحو الأمام وقال:

«لكنك مصر على فكرة أن كيوكو شينجو عملت هنا لغرض واحد وهو البحث عن هوية أحدهم لتستولي عليها، أليس كذلك؟».

«في البداية نعم، لكنني لست متأكداً إن كان هذا هدفها في الأصل أم أنها اكتشفت لاحقاً سهولة الوصول إلى المعلومات».

«نعم. لكن هل لديك فكرة عن الجهد الذي يتطلبه القيام بهذا الأمر؟ تخيل كم ملفاً عليها أن تبحث فيه حتى تنتقي شخصاً واحداً».

تراجع هونما قليلاً «نعم، هذا صحيح».

هل حقاً وجدت كيوكو شينجو المرأة المناسبة بعد أن قامت بهذه

العملية التي تستغرق كل هذا الوقت، حسب قول وادا؟ لكن العكس لا يصح أيضاً، فلا يمكن أن تكون قد اختارتها منذ البداية. وهكذا فإن عملية تعلم كيفية استخدام الكمبيوتر واستخراج المعلومات ثم انتقاء مرشحة مناسبة تتطلب صبراً لا يصدق، ولا يمكن لأي عاملة هاتف أن يتوفر لديها كل هذا الوقت وهي في العمل.

قال وادا مبتسما: «إن هذا العمل أصعب من أن تقوم به عاملة هاتف».

يبدو أن هونما لا يريد أن يستسلم: «لا أظن أنه بإمكانك أن تستبعد هذه الفكرة تماماً».

«لكن هذا لا يمكن أن يحدث».

«وما الذي يجعلك متأكد هكذا؟».

أخرج وادا ملف كيوكو شينجو الشخصي مرة أخرى: «انظر إلى طبيعة عملها».

وقعت عينا هونما مباشرة على عبارة (موظف عام) «إذاً هي لم تكن»...

«عاملة هاتف؟ لا، بل كانت موظفة مكتب، تقوم بمراجعة الأوراق بشكل أساسي كما إنها كانت تعمل في الحسابات، وكانت تستخدم الكمبيوتر بالطبع. إلا أن النظام كان مختلفاً تماماً عن النظام المستخدم لإدخال بيانات الزبائن والرموز مختلفة أيضاً. في الحقيقة، لا يمكنك الوصول إلى أي شيء يتعلق بالزبائن عن طريق كمبيوتر المكتب».

بدا وادا سعيداً. فهل كان فخوراً بنظام الكمبيوتر الخاص بالشركة، أم لأنه استطاع أن يدافع عن كيوكو؟ لم يستطع هونما أن يحدد.

تابع وادا: «حسناً، لنفترض أن الآنسة شينجو كانت تعرف اسم شوكو سيكين مسبقاً، لكن حتى في هذه الحال بقيت كل الأمور الأخرى خارج نطاق عملها. أستطيع أن أقسم على هذا».

قال هونما وكأنه أطلق رصاصة عليه: «أنت متأكد أنك لم تساعدها؟».

لم يظهر وادا أية ردة فعل، انتفض حاجبه الأيسر فقط.

«ألم تقنعك، لسبب ما، أن تمدها بالمعلومات؟ أو على الأقل أن تعلمها كيف تحصل عليها بنفسها؟».

«بالتأكيد لا. لم أفعل أي شيء من هذا القبيل!».

كانت ابتسامة كيوكو شينجو تشع من بين أصابعه الطويلة والنحيلة.

# ✧ 20 ✧

رجع هونما من أوساكا في وقت متأخر جداً. لقد ظلت ركبته اليسرى تؤلمه طوال الليل، وأول شيء قام به في صباح اليوم التالي هو الاتصال بفوناكي لإخباره بما حدث معه، فترك هذا الأخير كل شيء وجاء إليه على الفور.

كان الوقت عند الظهيرة عندما جلس فوناكي إلى طاولة القهوة يدخن السيجارة تلو الأخرى ويضع أعقابها في صحن السجائر الذي كان إيساكا قد نظفه بعناية.

«وهل أنظمتهم محكمة إلى هذه الدرجة، أم أنه يريدك أن تعتقد ذلك؟».

«إن شركة روزالين وظفت ثماني وثلاثين عاملة هاتف بدوام كامل، من الساعة العاشرة صباحاً حتى الثامنة مساء، وكل واحدة منهن تجلس إلى مكتب صغير عليه هاتف».

كان منظرهن يشبه إعلاناً تلفزيونياً: مجموعة من الشابات الجذابات في العشرين أو أوائل الثلاثين من العمر يرتدين بدلات متشابهة.

«صحيح أني قلت إنها هواتف، إلا أنها في الحقيقة تشبه لوحات مفاتيح الكهرباء القديمة. هناك أزرار بالطبع، وسماعة رأس مع ميكرفون صغير موصول بها كالذي يستخدمه المغنون، كي تتمكنّ هذه

السيدات من الرد على المكالمة واستخدام الكمبيوتر في الوقت نفسه، وكل شخص يطلب طلبية يحصل على رمز خاص به للمراجعة».

«كل شيء له رمز؟».

«أجل، إنهم بهذا يختصرون الوقت. هذا ليس نظاماً سيئاً وقد أدخلوه إلى الشركة يوم رأس سنة 1988».

قال فوناكي وهو يحك رقبته «في كانون الثاني من عام 1988 صحيح؟ وكيوكو شينجو بدأت العمل في شهر نيسان من السنة نفسها. أليس كذلك؟»

«هذا صحيح، في 20 نيسان. هذا ما ذكر في سجلاتهم، أي أنهم بدأوا باستخدام هذا النظام قبل أن تبدأ هي بالعمل معهم».

«وشوكو سيكين سجلت كزبونة لديهم بتاريخ....؟».

إن فاتورة المستشفى التي وجدتها نوبوكو كونو والتي دون عليها الرقم المجاني لشركة روزالين كانت بتاريخ 1988/7/7. وحسب سجلات شركة روزالين التي أحضرها وادا، فإن شوكو اتصلت بهم أول مرة لتطلب إرسال كتالوج كانت بتاريخ 1988/7/10 وفي 1988/7/15 أرسلت لهم الاستبيان وطلبت أول طلبية فأعطيت الرمز الخاص بها.

قال فوناكي بإحباط: «إنها ليست فترة طويلة. صحيح؟»

«لا لسوء الحظ، وهذا ما قاله أيضاً ذلك الشاب وادا عندما كان يؤكد لي أن كيوكو لا يمكن أن تكون قد سرقت بيانات شوكو سيكين».

[تخيل كم ملفاً عليها أن تبحث فيه لتختار شخصاً واحداً]

«على أيّة حال، لقد قال إن النظام الذي كانت تستخدمه كيوكو

في عملها من أجل الحسابات الداخلية وحساب الأجور مختلف تمام الاختلاف عن النظام الخاص بشؤون الزبائن، ولا يمكن الانتقال من واحد إلى آخر، والأشخاص الوحيدون الذين يمكنهم ذلك هم العاملون في القسم الإداري فقط».

قال فوناكي عابسا: «حتى ولو كان ذلك صحيحاً، فالناس في ذلك القسم يستطيعون الوصول إلى المعلومات التي يريدونها. صحيح؟ ماذا لو أن كيوكو تمكنت من تعلم تلك المهارات؟».

ضحك هونما وهز رأسه: «دعنا لا نستبق الأمور. لقد كانت مبتدئة في مجال الكومبيوتر عندما جاءت إلى الشركة، حتى إنها لم تكن قد جربت ألعاب الكمبيوتر من قبل».

«وأنت صدقت هذا؟».

«كان يشعر بشيء ما نحوها، لكن حسب قوله، إن شعوره لم يتطور إلى ذلك الحد، سأتحقق من هذا الأمر عل كل حال».

«ستتحدث إليه مرة أخرى؟».

«حتى هذه اللحظة، يبدو لي أنه أفضل مصدر للحصول على معلومات عن كيوكو. فشركة مثل شركة روزالين، يتغير الموظفون فيها باستمرار ولن يكون من السهل العثور على أشخاص كانوا يعملون مع كيوكو أو يعرفونها جيداً».

«هل تثق بهذا الفتى؟ فهو يبدو لي متعاونا جداً، لكني أتساءل عن السبب».

فكر هونما قليلاً ثم قال: «أعتقد أنه يعرف أموراً أكثر من التي ذكرها، لكن ما هي يا ترى؟ وإذا كان متورطاً معها في هذا، فهل كان

سيلحق بي ويريني كل تلك المستندات؟».

تنهد فوناكي بعمق من دون أن يتكلم.

«أعتقد أنه وكيوكو كانا على علاقة، ومن المحتمل أن يكون قد ساعدها في الحصول على تلك البيانات. لكن يبدو أنه لم يفكر وقتها بما كانت تريد فعله بها، والآن خطر له الموضوع ثانية على نحو مفاجئ».

لم يكن فوناكي مقتنعاً بهذا الكلام.

«أتظن هذا؟.... لا أعرف، ولكني أرجح أن يكون وادا هذا شريكها، ومن المحتمل أن يكون متورطاً بجريمة قتل».

«قتل من؟ شوكو سيكين؟».

«وأمها».

«لست متأكداً من هذا، ولكنه تأثر كثيراً حين رأى صورة كيوكو».

«لا أحد يعلم».

«حسناً، حسناً. لكنه مدير شؤون الموظفين في الشركة فوق كل شيء ولا يمكنه أن يتغاضى عن أمر كهذا. إذا فكرت فيه فستجد أنه أمر خطير. هناك امرأة قد اختفت والمرأة التي انتحلت شخصيتها تخلت فجأة عن وظيفة جيدة وتركتها، حتى الولد الصغير يستطيع أن يشم رائحة جريمة في مكان ما. تذكر أنه هو الذي وظفها، ولم تمض بعد سنتان أو ثلاث سنوات منذ أن استقالت».

يبدو أن فوناكي لايزال غير مقتنع.

«ولا داعي لذكر أن تسريب بيانات الزبائن ممنوع بشكل قطعي في

شركة كهذه. ومن المؤكد أنه يسيء إلى الشركة الأم ميتومو جروب، ولهذا فإن وادا مضطر لمساعدتي لأنه إذا تركني أفتش وحدي، فستنتشر في الشركة إشاعات وأحاديث كثيرة. وبالعودة إلى أجهزة الكمبيوتر، لنفترض أن إحدى عاملات الهاتف تريد أن تهرب بعض المعلومات من دون أن يكشفها أحد. طبعاً يجب أن تكون خبيرة بهذه المسائل، ولنقل إنها نجحت بإدخال القرص الذي ستحمل عليه المعلومات، لكن إذا حاولت القيام بأية عملية لست موجودة على لوحة المفاتيح، فإن الشخص الجالس إلى جانبها أو خلفها سيعلم بذلك».

كان فوناكي عابساً، فهو لا يطيق الحديث عن الكمبيوتر حتى إنه لا يعرف المبادئ الأساسية في معالجة النصوص.

«ولن يكون سهلاً بالنسبة لها أن تدخل إلى النظام الصحيح، فهذه ستكون مجازفة، لأن الكمبيوتر متصل بالخارج، جيئة وذهاباً، بين المخازن ومركز التوزيع ولديهم هناك أيضاً خطوط هاتف خاصة بهم ولكن بأرقام غير مدرجة بالقائمة، وحتى لو افترضنا بأن كيوكو شينجو استطاعت الحصول على أرقام الهواتف فإن هذا لن يكون كافياً، إذ لا تستطيع أن تسحب النقود بمجرد معرفتك للرقم السري وليس لديك بطاقة السحب. والشيء نفسه ينطبق على وادا».

«إذا، فهذا يلغي وجهة النظر هذه في الوقت الحاضر؟».

«يبدو هذا. لكن فقط الجزء المتعلق بكون كيوكو استخدمت الكمبيوتر بنفسها لاستخراج البيانات».

«ماذا عن شريكتها في السكن؟ هل قابلتها؟».

هز هونما رأسه: «لقد كانت في إجازة. إنها فتاة تدعى أوري تشينو

وقد ذهبت في جولة سياحية إلى استراليا لمدة أسبوعين. كانت تخطط لهذه الرحلة منذ فترة، لكنني حصلت على رقم هاتفها».

«هل أخبرك وادا بكل هذا؟ وكيف تعلم بأنه لم يكن يكذب؟»

«لأنني جعلته يتصل ليحصل لي على عنوانها وأوقات دوامها وذلك لأكون متأكداً».

قال فوناكي متعجباً: «هل يحفظون ساعات عمل كل شخص على الكمبيوتر؟ ماذا عن كيوكو إذا...؟».

قال هونما مكشراً: «مكان وجودها؟».

ثم قال بأسلوب جدي: «تقصد إن كانت تعمل في 1989/11/25، يوم توفيت والدة شوكو؟ بالطبع لقد تحققت من هذا الأمر».

من الطبيعي أن تكون الشكوك قد ساورت وادا حول اهتمام هونما بمكان وجود كيوكو في ذلك اليوم، لكنه كان مضطرا لذلك.

قال هونما وهو يمرر مجموعة من الأوراق من تحت أنف فوناكي:

«حتى إنني حصلت على هذه المعلومات مطبوعة على ورق. لقد كانت كيوكو شينجو في إجازة مرضية من 11/18 وحتى 1989/11/26».

أخذ فوناكي يصفر بهدوء.

تابع هونما: «عندما قلت لوادا (أرى أنك كنت على علاقة طيبة معها نوعاً ما) وجدته يقدم لي كشفاً بأوقات دوامه هو أيضاً».

«ثم؟»

«إن الخامس والعشرين من تشرين الثاني كان يوم سبت، لكنه عمل ذلك اليوم، وقد بقي في المكتب حتى التاسعة مساء».

قال فوناكي مشككاً: «وهذا يجعله بعيداً عن الشبهة؟ لا أعرف لماذا مازلت أظن أنه يخفي شيئاً ما ولا يريدنا أن نعرفه».

«حسناً، دعنا نراقبه لفترة ونرى إن كان سيقوم بشيء مثير للشك».

لقد بدأت العقد تنحل ولذلك لا داعي لاستعجال الأمور.

«بعد أن أنهيت حديثي مع وادا قمت بجولة في أوساكا».

قال فوناكي بقلق واضح لا يليق بمحقق: «هل ساقك على ما يرام؟»

ابتسم هونما: «لقد كنت أعرج، أتعلم ماذا؟ إن أوساكا مدينة رائعة، هناك فرق كبير إذا ما قارنتها مع طوكيو. إنها بلدة خالية من مظاهر الزخرفة الفارغة».

«زخرفة فارغة؟»

«أجل، ففي طوكيو، في وسط المدينة بالقرب من نيهومباشي، تجد تلك المكاتب العصرية والمباني الأنيقة مقابل المتاجر القديمة ذات الطابقين. إنما في أوساكا لا يوجد شيء من هذا، بل فيها منطقة تجارية لا تضم سوى المتاجر فقط ولا شيء آخر، وإذا عبرت الشارع تجد نفسك في منطقة محظورة حيث لن يكون غريباً أن ترى تبادلاً لإطلاق النار».

تمتم فوناكي: «بالنسبة لي، لا أستطيع أبداً أن أعيش في أوساكا، فأنا لا أطيق الطعام هناك وفريق هانشن تايغر ليس هنا».

قال هونما متجاهلاً الجملة الأخيرة التي قالها فوناكي: «كنت أتساءل إن كان بإمكاني أن أطلب منك خدمة أخرى؟».

«دعني أحزر، تريد نسخة من سجل كيوكو شنيجو العائلي».

«بالضبط».

«إذا بدأنا من عنوانها المذكور لدى شركة روزالين، فلن تكن مهمة صعبة».

«لكن..».

«مازلت تريدني أن أتكتم على الموضوع. صحيح؟ لا مشكلة».

ووضع يده على فمه للتأكيد.

«إن أردت الحقيقة، إنها قضية صعبة. وإذا جعلناها رسمية في هذه المرحلة، فربما يبعدوننا عنها. ومن يعلم، ويمكن ألا يعتبروها حتى قضية أشخاص مفقودين».

هذه المرة لكمه هونما بقوة وقال: «وذلك لأن لديهم قضية ملحة أخرى يجب حلها، ها؟ لهذا السبب تحديداً أفضل أن أبقيها سرية لوقت أطول. أقصد أنه حتى الآن ليس لدينا جثة، وربما يقولون إننا لسنا متأكدين بأن شوكو سيكين ميتة حقاً. وهذا يمكن أن يكون صحيحاً».

«هل تعتقد أنها يمكن أن تكون على قيد الحياة؟»

«أنا شبه متأكد بأنها ليست كذلك».

«وأنا أوافقك الرأي».

«وكيف تخلصت من الجثة برأيك؟»

استقام فوناكي في جلسته فجأة وقال: «هذا صحيح! إن هذا يتطلب قوة تفوق قوة امرأة واحدة، فلا بد أنها تلقت مساعدة من أحد الأصدقاء».

هز هونما رأسه وهو شارد الذهن: «أما أنا فأظن أنها كانت تعمل وحدها منذ البداية وحتى النهاية، وليس هناك سبب معين يجعلني أظن هذا. إنه فقط إحساس داخلي. إن إرادتها الجبارة وسعيها المستميت، والإحساس المتبلد الذي أظهرته عندما تخلت عن جان كوريساكا وربما وادا من قبله، بالإضافة إلى الطريقة التي تركت فيها أمتعتها خلفها وهربت، كل شيء حولها كان يقول إنها كانت وحيدة».

كان هونما يظن أنها حاولت أن تكون شخصاً آخر لأنها وحيدة. فلو كان لديها صديق قريب يفهمها لما فعلت ذلك، بل ربما كانت قبلت بمساعدته وبقيت كيوكو شينجو. لقد وجد الاسم فقط حتى ينادينا به الآخرون. فلو كان هناك من يهتم بها لما تخلصت أبداً من اسمها وكأنه إطار قديم. فالاسم يحمل المحبة.

«ليس لديها شريك؟ هذا يعني..».

تبع فوناكي نظرات هونما، هناك في المطبخ وفي إحدى زوايا الطاولة يوجد حامل سكاكين، خمس شفرات مختلفة، للخضار، للسمك، سكاكين تقشير... وجميعها مرتبة بعناية وموضوعة في أغمادها. إيساكا هو من أحضرها فهو دقيق جداً فيما يتعلق بأدوات الطبخ.

بقي فوناكي صامتاً في حين قال هونما: «سأفكر في وجهة النظر هذه، وسأذهب إلى المكتبة لأبحث في الجرائد. كما إنني أعرف مراسلاً صحفياً سأستعين به أيضاً فليست كل الأمور من عمل الشرطة».

وافقه فوناكي على ذلك قائلاً:

«[جثث مجهولة الهوية] من السهل إيجادها، فهي منتشرة كثيراً».

بعد ظهر اليوم التالي وصل تاموتسو هوندا.

كان يلبس بنطالاً من الجينز غسل مراراً وتكراراً حتى أصبح لونه أزرق فاتحاً، وكنزة منسوجة باليد فوق قميص أبيض. وعندما خلع سترته الصوفية السميكة ليعلقها على علاقة الثياب عند الباب، لاحظ هونما أن الأزرار الاحتياطية قد نزعت من البطانة. من الواضح أن آيكومي ربة منزل ذكية، وشيزوكو كانت تفعل الشيء نفسه. فكلما اشترت ثيابا جديدة، أزالت الأزرار الاحتياطية ووضعتها في سلة الخياطة لأنها تحتك بالقماش وتخربه.

كل الثياب التي اشتراها هونما بعد وفاتها لاتزال محتفظة بالأزرار الاحتياطية، فهو لسبب ما، لم يستطع أن يزيلها.

وقف تاموتسو مرتبكاً عند المدخل، وقد اضطر هونما أن يلح عليه كثيراً كي يجلس. وبعد أن ساد الصمت لفترة وجيزة، وضع على الطاولة كيساً كان قد أحضره من أحد المخابز المشهورة وقال:

«هذا من أجل ولدك».

حدث هونما نفسه وهو يشكره، إنها فكرة زوجته من دون شك.

كانا على وشك أن يبدآ بالحديث عندما جاء إيساكا بعد أن تناول الغداء في بيته. قال هونما بعد أن عرف كل منهما على الآخر: «هذا الشاب الصغير سيصبح أباً للمرة الثانية في القريب العاجل».

«هيه، أنا في الثامنة والعشرين».

ابتسم إيساكا بسعادة واضحة قبل أن يقول فجأة: «شوكو سيكين كانت في الثامنة والعشرين أيضاً أليس كذلك؟».

دهش تاموتسو لدى سماعه أحدهم يتكلم عن شوكو مستخدماً الزمن الماضي.

قال هونما بسرعة: «متى وصلت إلى طوكيو؟».

«ماذا؟ أوه... البارحة».

قبل أن يغادر أوتسونوميا، أخذ هونما تاموتسو على حدة وطلب إليه أن يجمع له معلومات بقدر ما يستطيع عن حياة شوكو سيكين قبل اختفائها.

قال تاموتسو وهو يفتح حقيبة الظهر التي أحضرها معه «لقد اهتممت بكل الأمور التي طلبتها مني».

أحضر إيساكا القهوة وسحب كرسياً ليجلس عليه، في حين أخرج تاموتسو دفتر ملاحظات صغير ووضعه مفتوحاً على الطاولة.

«قالت آيكومي إنه يجب علي أن أدون كل المعلومات التي أحصل عليها».

«نعم، إنها فكرة رائعة».

تنحنح تاموتسو ثم تابع كلامه: «إحدى الفتيات من أيام المدرسة قالت إنها التقت بشوكو صدفة منذ سنتين أو ثلاث وكانت ترتدي لباسا فاضحا وقد بدت لها غريبة بعض الشيء».

«لابد أنها كانت تعمل وقتها في لاهاينا».

«لم تستطع أن تتذكر التاريخ بالضبط، منذ سنتين أو ثلاث هذا كل ما تذكرته، إلا أنها قالت إن شوكو كانت تحمل نصف بطيخة، أي أن هذا كان في الصيف».

بحسب خبرة هونما، فإن ذاكرتها جيدة بالمقارنة مع ذاكرة معظم الناس.

«كانت شوكو تبدو سعيدة نوعاً ما، لكنها وضعت الكثير من

مساحيق التجميل. وتلك الفتاة كانت قد سمعت عن الشائعات التي تتحدث عن شوكو، فلم تقل لها سوى (الأمور على ما يرام، ها؟) وقد أجابتها شوكو قائلة: (نعم أظن هذا)».

قال إيساكا وكأنه صاحب خبرة: «هذا كل ما تستطيع أن تقوله عندما تقابل زميل مدرسة قديم وأنت في أتعس حالاتك».

تابع تاموتسو: «تصورت أن أفضل شيء يمكن أن أقوم به هو أن أستفسر عما حدث عندما توفيت العجوز سيكين، لذا قررت أن أجد الأشخاص الذين حضروا الوداع أو الجنازة. اعتقدت أن هذا سيتطلب جهداً كبيراً لكنه لم يكن بهذا السوء، على أيّة حال، كانوا بضعة أشخاص فقط وأغلبهم عجائز ولم يكن لديهن ما يقلنه».

كان تاموتسو قد سألهن أولاً عن شوكو، ثم إن كن قد رأين المرأة التي في الصورة.

«إن مراسم الوداع لم تتم في فيلا آكان، فزوجة المالك لم تسمح بذلك، لذا قاموا باستئجار مكان يبعد عن الفيلا خمس دقائق في السيارة. لقد قدم الجيران الكثير من المساعدة لشوكو».

شرب رشفة من فنجان القهوة وهو يقلب الصفحات الأولى من دفتر الملاحظات.

«معظم الناس كانوا يعتقدون مثلي، أن شوكو بدت مصدومة حقاً، وبعضهم انتقد شعرها المصبوغ بالأحمر وكيف أنه لم يكن لائقاً في مثل تلك الظروف وأشياء من هذا القبيل».

«يصبح الناس محافظين عندما يتعلق الأمر بالجنازات أو الأعراس».

«هذا صحيح، لكن أحداً لم ير تلك المرأة التي في الصورة، تلك التي جعلت نفسها شوكو، وجميعهم قالوا لو أن سيدة شابة لا يعرفونها جاءت لتقديم التعازي، لسأل الجميع عنها».

أومأ هونما برأسه. إن الناس في الجنازات يصبحون إما صقوراً أو نسوراً.

«ولكن.»... حك تاموتسو أنفه، «هناك شخص واحد تعرف إليها».

مال هونما وإيساكا نحو الأمام.

قال وهو يبتسم: «والأمر المضحك أنها كانت والدتي».

اتسعت عينا هونما «والدتك؟».

«أجل، مع أنني لم أسألها أبداً بل كانت هي من فتح الحديث، لقد قالت إنها سمعت في صالون التجميل أن شخصاً ما كان في البلدة يسأل عن شوكو».

لابد أنها كانت تصفف شعرها عند كاني مياتا، مزينة الشعر التي أعطاها هونما صورة كيوكو شينجي، حينها لم يكن يعرف عنها سوى أنها شوكو المزيفة.

«في صالون لوريال؟».

«ماذا؟ هل تقصد بأنك كنت تعلم؟» بدا تاموتسو محبطا قليلاً «إن السيدة مياتا، مزينة الشعر، هي من أراها تلك الصورة».

واستطاعت والدته أن تتعرف على السيدة؟!

«إن ذاكرتها سيئة للغاية في العادة، لكنها إذا شعرت بوجود شيء مريب، فتتذكره بطريقة تدعو إلى الدهشة. عندما توفي جدي لم يمكث

الكاهن الذي أدى الطقوس الأخيرة سوى لحظات، إلا أنها استطاعت أن تتذكر الشامة التي في عنقه، فبعد مدة اختلس هذا الكاهن نفسه بعض المال من الأبرشية وهرب مع إحدى النساء، لقد كانت فضيحة كبيرة... آسف، لا أعرف لماذا أخبركم بهذه القصة».

«لا، هذا جيد. لقد فهمت قصدك. تريد أن تقول إن ذاكرة والدتك تشبه إلى حد ما الحاسة السادسة».

هز تاموتسو رأسه موافقاً: «لقد قالت إنها رأت هذه السيدة لمرة واحدة عندما كانت تغادر صالون التجميل».

«متى؟»

«لم تكن متأكدة من التاريخ في البداية، ثم قالت يومها كانت تجهز نفسها لحضور حفل تأبين العجوز يوشيكو سيكين، أي في اليوم التاسع والأربعين من الحداد، وقد تحققت من الروزنامة ووجدت أنه يصادف يوم الأحد 1990/1/14».

«انتظر أوضح لي ذلك ثانية....».

«اسمع، بما إنه لم يكن لشوكو أقارب، فقد قام الجيران بترتيبات حفل التأبين، غير أنني لم أستطع الحضور، إذ كان لدي عمل ضروري. ذهبت والدتي وكان عليها أن تبدو أنيقة، لذا ذهبت كي تصفف شعرها. وعندما خرجت من الصالون، رأت تلك الشابة تقف على الطرف الآخر من الشارع أمام فيلا آكان فصاحت: (هيه مرحباً، هل أنت بحاجة إلى مساعدة؟) لكن الفتاة تجاهلتها وانصرفت. انزعجت والدتي كثيراً وأسرعت خلفها وهي تصيح: (هيه انتظري... أنت... انتظري لحظة!). لكن المرأة كانت أسرع منها. إنها لاتزال تتذكر

وجهها جيداً. قالت إنها كانت تشبه نجمات السينما».

رسم هونما جدولاً زمنياً في رأسه: أقيم حفل التأبين في 1990/1/14 أي أنه لم يكن بعد تسعة وأربعين يوماً بالضبط من وفاة العجوز سيكين في 1989/11/25، لكن يبدو أنهم اختاروا أول يوم أحد بعد عطلة رأس السنة لإقامة الاحتفال، وبعد ذلك بعشرة أيام ذهبت شوكو سيكين لتسأل المحامي عن مبلغ التأمين،. فلابد أن تكاليف الجنازة كانت تشغل بالها.

ومن جهة أخرى، فإن كيوكو شينجو استقالت من شركة روزالين في 1989/12/31 وراحت تجهز نفسها للتحول الكبير، وربما تكون قد ذهبت في إحدى المرات إلى أوتسونوميا لتتحقق من الأمور.

سأل إيساكا: «وأين أقيم حفل التأبين؟».

«في المعبد حيث كان رماد السيدة سيكين محفوظاً هناك».

حك إيساكا حاجبيه: «لكن عندما تموت الزوجة عادة، ألا يضعونها مع زوجها في القبر نفسه؟»

«هذا صحيح».

وبعد وقفة قصيرة قال هونما: «هل تقصد أن زوجها لم يكن لديه قبر هو الآخر؟ ألم يحصل على واحد؟».

هز تاموتسو رأسه: «لا، لقد كان الابن الثالث لعائلة كبيرة، لذا لم يكن لديه الكثير من المال، وقد توفي عندما كانت شوكو لاتزال طفلة صغيرة. كانت الأوضاع سيئة دائماً حتى إنه»...

قرأ إيساكا أفكاره «حتى إنه عندما ذهبت السيدة سيكين إلى عائلة زوجها لتطلب منهم المساعدة في شراء قبر له قاموا بطردها، مثل جميع

العائلات القديمة: كل شيء للابن الأكبر ولا يحصل البقية على أي شيء. صحيح؟».

«بالضبط، ولذلك اضطرت أن تترك رماد زوجها في المعبد حيث بقي هناك طوال هذا الوقت. وكل خمس أو عشر سنوات، كانت تقدم مبلغاً من النقود للمعبد لكنه لم يكن كافياً للقبر».

«إذاً، فقد وضع جثمان العجوز سيكين هناك أيضاً».

«أجل، وقد حطم هذا قلب شوكو، فأقسمت أن تجعل والديها يرقدان بسلام في قبر مناسب يوماً ما، على الرغم من أنها كانت وقتها غارقة في الديون».

عاد هونما للحديث عن الصورة: «هل رأى تلك السيدة أحد غير والدتك؟»

هز تاموتسو كتفيه «لا أظن، فقد قالت السيدة مياتا إنها آسفة لأنها لم تتمكن من المساعدة».

قال هونما لنفسه إنه لا داعي للاعتذار.

إن الشهود على أكثر الجرائم فظاعة بالكاد يتذكرونها في بعض الأحيان، وهو الآن يسأل عن أمر عادي جداً، هل رأى أحد شابة جميلة غير أنها في الوقت نفسه تثير الريبة.

شوكو سيكين وكيوكو شينجي، الشيء الوحيد الذي جمع هاتين الشاباتين لأول مرة كان قاعدة البيانات في شركة روزالين. ثم اجتمعتا ثانية في مكان مختلف تماماً، في بلدة شوكو، يوم حفل تأبين والدتها.

قال هونما: «في الحقيقة، لقد حددنا هوية المرأة التي نبحث عنها».

بدا تاموتسو وكأنه جفل، فجأة أصبح الأمر حقيقياً. إن المرأة التي انتحلت شخصية شوكو لم تعد شبحاً بعد الآن، بل إنسانا من لحم ودم. لطالما خشي هذه اللحظة.

«من هي؟ وكيف تعرفت إلى شوكو؟».

إذا اتضح أنها صديقة لشوكو أو أنها شخص تثق به، ما الذي سيفعله في هذه الحال؟

«إنها غريبة عنها تماماً».

جلس تاموتسو يستمع بتركيز، كان يعض شفته بين الحين والآخر وكانت عيناه تحدقان في الأرض، وعندما أنهى هونما حديثه جلسوا ثلاثتهم صامتين. بعدها نهض إيساكا ليرفع فناجين القهوة عن الطاولة.

وبعد مرور بعض الوقت قال تاموتسو: «لكن شوكو لم تكن تهتم إلا بشؤونها الخاصة».

«صحيح».

«لقد أرادت أن تحصل على شيء جميل، لذلك اشترت لنفسها ثياباً داخلية فاخرة. أستطيع أن أتفهم هذا فنادراً ما تقوم آيكومي بشراء ملابس جديدة، لكنها تقول دائماً إنها تحب أن تشعر بأنها جميلة من الداخل».

«كانت شوكو حريصة على أن تدفع فواتير شركة روزالين في المواعيد المحددة، وكان الدفع يتم عن طريق حوالات بريدية. لقد قالوا إنها كانت زبونة جيدة».

«زبونة جيدة». كرر تاموتسو هذه الكلمات بينه وبين نفسه وهو

يشد على قبضتيه تحت الطاولة.

لقد تأخر قليلاً في محاولة حمايتها، حدث هونما نفسه، لكنه يقوم الآن بالبحث عن كيوكو شينجو بنفسه ولم يهمل القضية، أهي عادة لديه؟ أم من باب الفضول؟

أياً كان السبب، فهو يريد مقابلة كيوكو هذه وسماع صوتها ومعرفة ما ستقوله عندما يسألها لم فعلت هذا؟

لم يتقبل هونما فكرة نزول تاموتسو في الفندق وأصر على استضافته في بيته ابتداء من تلك الليلة، لذلك ذهبا ليحضرا أغراضه وبعد أن أخذا قسطاً من الراحة جلس هونما يرتب ملاحاظاته فتذكر أن عليه أن يتصل بذلك المراسل الصحفي.

لقد كان فضولياً جداً فقد سأل هونما الكثير من الأسئلة، لكنه لم يستطع الحصول على أي شيء إلا ما أراد هونما أن يخبره به.

«كلما عملت معك يا هونما أجد شيئاً ما يفيدني، لذا أعطني يومين أو ثلاثة وسأرى ما الذي أستطيع فعله، طوكيو- منطقة كانتو صحيح؟».

قال هونما بشكل تلقائي: «أجل». ثم صحح: «لا، شينتسو أيضاً».

لم يكن هناك سبب محدد، إنما انتابه شعور بأن كيوكو شينجو يمكن أن تتوجه إلى الجبال لتتخلص من الجثة.

توجه هونما بعد ذلك إلى المكتبة ليبحث عن الجرائد التي كتبت عن موت العجوز فوجد أن اثنتين أو ثلاثة من الصحف الوطنية كانت قد كتبت فقرات صغيرة عن القصة ولكنها ذكرت كل الحقائق فأخذ

نسخاً منها وغادر. عليه الآن أن يحاول اكتشاف أسلوب عمل كيوكو شينجو.

لسبب ما كانت كيوكو بحاجة إلى هوية جديدة، ربما لأن أحداً كان يلاحقها. لقد ذهبت للعمل في شركة روز الين من أجل هذه الغاية، يبدو هذا منطقياً أكثر من أن نتصور أن الفكرة قد خطرت لها بعد أن بدأت العمل هناك. إلا أن السؤال الوحيد هو كيف استطاعت اختراق نظام الكمبيوتر. لابد أنها استخدمت وادا بطريقة ما، وهذا يفسر لم كان يبدو مرتبكا إلى تلك الدرجة. وبعد حصولها على المعلومات اختارت شوكو سيكين لتكون هدفها الرئيسي، ولكي تحصل على سجلها العائلي ووثيقة إقامتها كل ما كان عليها فعله هو الذهاب شخصياً إلى مكتب البلدية في الحي الذي تسكن فيه شوكو وإحضارهما.

خطوتها التالية إذاً كانت التخلص من قريبة شوكو الوحيدة، وهي والدتها، لكن هناك تساؤلات كثيرة حول تمكنها من القيام بهذا، حتى إن المفتش ساكاي صاحب الخبرة رأى أن المسألة كلها كانت مجرد حادث أو حالة انتحار.

لكن ماذا لو أنها في تلك الليلة، أي في الخامس والعشرين من كانون الأول، نجحت في خداع العجوز سيكين مستخدمة حجة ما، لنقل إنها اتفقت معها على أن تتقابلا في مكان ما بالقرب من حانة تاجاوا، وبما أنها ستكون قد حددت موعدا للقاء، فستعرف وبشكل طبيعي وقت خروج العجوز من الحانة. ولابد أنها قالت في نفسها «كيف يمكن لشخص ينتظر في مكان صاخب كهذا أن يعرف وقت خروج السيدة سيكين من تاجاوا؟ من الأفضل أن

أحدد موعداً»، وهذا ما حدث.

لقد كانت تتصرف بذكاء فلم تختلق سبباً خطيراً يجعل السيدة سيكين تعدل عن الذهاب إلى تاجاوا وتجلس في البيت لتنتظر، فربما قالت لها إنها صديقة لشوكو وهي قادمة من طوكيو وإن شوكو طلبت إليها أن توصل لها شيئاً ما، لكنها ستصل في وقت متأخر برفقة صديق، لذا لن تتمكن من رؤيتها لأكثر من خمس دقائق، هذا سيكون كافياً.

وهكذا انتظرت كيوكو في الحانة المجاورة ثم خرجت في الوقت الذي يجب أن تخرج فيه العجوز سيكين من تاجاوا فدفعتها عن الدرج وأسرعت عائدة إلى الحانة. وبما أن صالة الرقص تكون مزدحمة جداً، فلن يلاحظ أحد إن نقص زبون أو زاد.

لكن مع كل هذا، كانت كيوكو بحاجة إلى أن تعرف مسبقاً عن عادة العجوز في الشرب، بالإضافة إلى السلالم الخطرة الموجودة في الحانة. فالأمران لم يذكرا في سجلات شركة روزالين، لذا لابد أنها قابلت شوكو في وقت ما وإثبات هذا الأمر كان خطوة هونما التالية.

وهكذا وبعد مدة قصيرة قامت كيوكو بقتل شوكو والتخلص من جثتها ثم زعمت أنها هي. وبذلك تكون شوكو سيكين قد انتقلت من مجمع كاواجوتشي السكني وتركت العمل في لاهاينا دون إنذار مسبق واختفت، ثم ظهرت فجأة من جديد وهي تعمل في شركة إيماي وقد استقرت في شقة هونانتشو واستصدرت سجلاً عائلياً جديداً خاصاً بها ودونت الشقة الجديدة على أنها عنوانها الدائم، كما استخدمتها عنواناً محلياً حالياً لها من أجل التأمين الصحي الوطني وصندوق المعاشات والضمان الشخصي وغيرها. لكن يبدو أن الأمور كانت

معقدة بعض الشيء في مكتب التوظيف، لأن كيوكو لم تتمكن من الحصول على بطاقة العمل الخاصة بشوكو، لذلك ذهبت إلى هناك وأخبرتهم بأنها تعمل للمرة الأولى. ثم تعرفت إلى جان وارتبطا....

والسؤال الذي بقي من دون إجابة هو، بطاقة الائتمان، فإلى أن بدأت كيوكو، بعد أن أصبحت شوكو، تخطط لحفل الزفاف وقام جان بالضغط عليها لتحصل على بطاقة ائتمان، لم تكن قد امتلكت واحدة من قبل أبداً، فلو أنها فعلت لكانت علمت بمسألة إفلاس شوكو.

هل كانت هكذا ببساطة لا تحب بطاقات الائتمان؟ فبعض الناس يرفضونها من حيث المبدأ. ثم إن هناك الصورة، الدليل الحقيقي الذي لديه على هوية كيوكو، لماذا التقطت؟ ولماذا احتفظت بها؟ هل هناك ذكرى ما مرتبطة بها؟ ولكن لماذا ستتمسك بذكرى تخص شخصاً عملت المستحيل للتخلص منه؟

أغلق هونما دفتر ملاحظاته.

عند الساعة الرابعة عاد ماكوتو إلى البيت فقط ليقول إنه خطط ليقوم ببعض الأمور مع كازي، وكان إيساكا قد بدأ بتحضير الطعام عندما دخل تاموتسو حاملاً حقيبة من ماركة بوسطن، وفي هذه الأثناء رن جرس الهاتف.

«هل هذا منزل السيد هونما؟» كان هذا السيد إيماي يتصل من مكتبه، يريد أن يعرف إن كان هونما قد وجد الآنسة سيكين أم لا.

قال له هونما: «ليس بهذه السرعة».

تنهد إيماي وقال: «إن ميتشي قلقة جداً، نعم وهناك شيء تريد أن تخبرك به. سأمرر لها السماعة».

«سيد هونما هل تذكر ذلك السؤال الذي سألته عن الاسم الذي تنادي به ولد ابن زوجتك؟».

«هل وجدته؟».

«لا لم أفعل». لقد بدت وكأنها تعتذر.

«لا بأس، أظن أنه أمر صعب، لا تقولي لي إنك كنت تبحثين طوال هذه المدة؟»

«في الحقيقة أنا لست ماهرة في مثل هذه الأمور».

«ليس هناك من هو ماهر فيها».

غيرت ميتشي نبرة صوتها «لم تظهر الآنسة سيكين حتى الآن؟»

«ربما من الصعب عليها أن ترجع».

«لابد أن هذا صعب على السيد كوريساكا أيضاً، أتعلم لقد تذكرت أنهما تشاجرا في إحدى المرات».

«تشاجرا؟»

«نعم، من أجل خاتم الخطوبة فالآنسة سيكين كانت تقول إن حجر الميلاد لا أهمية له وإن على الشخص أن يشتري الخاتم الذي يريده، لكن السيد كوريساكا كان يرى أن حجر خاتم الخطوبة يجب أن يكون إما حجر ميلادها أو الألماس، لأنها إذا اشترت غيرهما، فلن يكون خاتم خطوبة حقيقياً».

قال هونما محدثاً نفسه: «لابد أن جان قال ذلك من أجل العناد فقط». ثم سألها ميتشي: «هل كانت الآنسة سيكين تفضل حجراً معينا غير حجر ميلادها، لكنها كانت تريد شراءه بكل الأحوال؟».

«بالطبع، وهذا هو سبب الخلاف».

وضع هونما كفه على سماعة الهاتف وأشار لإيساكا الواقف في المطبخ: «هل تعرف شيئاً عن أحجار الميلاد؟».

وقف إيساكا هناك متفاجئاً والمغرفة في يده «ليس كثيراً».

فوجه إليه سؤالاً وأجابه إيساكا في الحال، عندها رفع كفه عن السماعة وقال:

«ميتشي، إن حجر ميلاد الآنسة سيكين هو الياقوت الأزرق على ما أعتقد، وهو ما اشترياه في النهاية. أليس كذلك؟»

«أجل الحجر الخاص بشهر أيلول».

«والآن دعيني أخمن الحجر الذي أرادت أن يشتريه لها جان».

«أوه... إذا أنت تعلم؟»

«أظن أنه الزمرد».

صرخت ميتشي: «مذهل! كيف عرفت؟»

إن كيوكو تلك كانت فتاة خبيثة، فكر هونما، فالزمرد هو حجر شهر أيار، الشهر الذي ولدت فيه. لقد أرادت الحجر الخاص بها، أرادت خاتم خطوبة حقيقياً.

رجع صوت ميتشي ثانية «إذا عادت الآنسة سيكين فأخبرها من فضلك أنني والسيد إيماي قلقأن جداً عليها وأننا نرغب في رؤيتها حقا».

وعدها هونما بأن يفعل وأغلق الهاتف. وفجأة شعر بشيء من التعاطف مع شوكو تلك والتي يعرفها باسم كيوكو.

«إننا نرغب في رؤيتها حقاً». وفجأة انقطعت أفكاره عندما سمع صوت ضجة في المدخل، ثم فتح الباب الأمامي وأغلق بعنف. إنه

ماكوتو، لقد كان يفتش في الخزانة وقد داس على كومة من الجرائد الملقاة على الأرض وهو يسحب بقوة مضرب بيسبول بيديه.

«ماكوتو! ما الذي حدث لك؟ أين تظن نفسك ذاهب ومعك هذا؟»

لكن الصبي لم يكن يستمع. كانت عيناه مليئتين بالدموع ووجهه ملطخاً بالوحل.

اتجه تاموتسو نحوه وقال: «أنا سأوقفه».

«هيه... لن تخرج ومعك هذا الشيء! أعطني إياه».

كان ماكوتو يرفس ويصيح لكن تاموتسو نجح بانتزاع المضرب منه فنزل على ركبتيه.

انحنى هونما بالقرب منه وسأله: «هل تشاجرت مع أحد؟ إن كان الأمر كذلك فهذا المضرب لن ينفع، ربما تؤذي أحدهم».

كانت ركبتا ماكوتو ومرفقاه مغطاة بالخدوش، ولديه كدمة حديثة على ذقنه بدأت بالازرقاق في تلك الأثناء، وكان يلهث وينشج محاولاً أن يشرح الموقف «بلوك.... بلوك هيد.»...

صاح هونما وإيساكا معا: «بلوك هيد؟»

سأل تاموتسو: «بلوك هيد؟»

شرح له هونما «إنه اسم كلب، ماذا حدث؟ هل وجدتموه؟»

«إنه ميت».

«ميت؟»

«ذلك الصبي الشرير، تازاكي، لقد قتله.... قتل بلوك هيد ثم رمى جثته بعيداً».

قال إيساكا بصوت متقطع: «ماذا؟ هل أنت متأكد؟».

«متأكد، طبعاً متأكد... أنا... لقد وجدته».

«ولهذا السبب تشاجرتما؟».

«نعم». جاء صوت مختلف من فوقهما فرفع الجميع أنظارهم، كان كازي واقفاً في الممر. إنه صبي قصير وبدين ولم تكن حاله أفضل من حال ماكوتو، فقد كان وجهه أيضاً هو الآخر ملطخاً بالدموع والطين ولديه جرح في خده.

«إنه تازاكي، ذلك الولد السيئ لقد قتل بلوك هيد ووضعه في القمامة، كنا نعلم أنه هو من فعلها، إلا أنه لم يعترف في البداية، لكننا جميعاً ضغطنا عليه حتى اعترف».

صرخ ماكوتو باكياً: «لا، الأمر ليس هكذا، لقد جاء وأخبر الجميع بذلك، كان يتبجح بذلك في المدرسة».

سأله إيساكا والغضب باد على وجهه: «ولكن لماذا أراد قتل بلوك هيد؟»

«قال إنه لا يفترض بنا أن نربي حيوانات هنا في البناية، فهذا مخالف للقوانين».

«ومع ذلك هل هذا سبب وجيه لقتل الكلب؟».

قال ماكوتو: «لكن... إن هذا مخالف للقوانين كما قال، أي لا مشكلة في قتله. لقد أراد أن يعلمنا درساً».

تاموتسو: «هذا فظيع، ولهذا السبب أنتم تتشاجرون؟ حسناً في المرة القادمة سأكون معكما إنا أيضاً».

عندها هدأ الصبيان فقد أعجبتهما فكرة أن يكون هناك جولة

أخرى مع تازاكي.

تمتم كازي: «لقد قال لنا إذا لم يعجبك هذا، فاذهب واشتر لنفسك بيتاً حقيقياً».

«بيتاً حقيقياً؟»

«كالبيت الذي تعيش فيه عائلته على ما أظن».

«ألهذا السبب يستطيع هو أن يقتني كلباً. أما العائلات الأقل مستوى، فلا يمكنها ذلك أبداً. لابد أنه يعاني من عقدة ما».

حالما قال هونما ذلك انفجر الولدان بالبكاء من جديد، فنظر هونما وإيساكا إلى بعضهما من فوق رأسي الصبيين الباكيين، فقال تاموتسو وهو ينظر إلى المضرب المعدني الملقى عند قدمه:

«ما هذا الهراء الذي يحدث هنا؟».

# ✧ 21 ✧

في اليوم التالي وجد هونما نفسه وجهاً لوجه مع تومي مياجي، المرأة التي شاركتها شوكو في السكن بعد أن أعلنت إفلاسها ولم تعد قادرة على دفع الإيجار في شقة كاسل مانشن كينشيتشو. لقد حصل هونما على اسمها ورقم هاتفها من الفتاة التي تعمل في مكتب المحامي ميزوجوتشي.

كانت زميلة شوكو في حانة جولد ترتدي حذاء ذهبي اللون وكانت أظافرها طويلة وشعرها مموجاً مصبوغاً بلون كستنائي وقد وضعت عطراً نفاذا كالذي تضعه فتيات الحانات في العادة. إنها في الخامسة أو السادسة والعشرين، على الرغم من أن هونما كاد يقسم بأنها تجاوزت الأربعين بعد أن تحدث إليها بالهاتف. صوتها الأجش كان يدل على أنها أكبر من عمرها.

«أنا لا أحب الجلوس في الضوء في هذا الوقت من النهار، أرجو ألا تمانع بأن نجلس في الخلف».

كانا قد اتفقا أن يلتقيا في أحد المقاهي التي افتتحت مؤخراً بالقرب من شقتها في شيبويا، وقد جاء تاموتسو أيضاً. كان الطقس جميلاً ولم يكن ثمة زبائن في المحل.

«لقد قلقت عندما انقطعت أخبار شوكو هكذا فجأة، لكنني قلت

لنفسي من يعلم؟ ربما يكون السيد رايت قد عاد ومن أنا حتى أحشر نفسي بينهما».

أشعلت سيجارة وهزت كتفها من تحت السترة السميكة الفضفاضة التي كانت ترتديها ثم قالت:

«إذاً، ليس لديك فكرة عمّا حدث لها؟».

«لا، لقد اختفت هكذا من دون أثر، متى كانت آخر مرة رأيتها فيها؟».

هزت تومي رأسها: «منذ أن اتصلت بي وأنا أحاول أن أتذكر، أظن أنها كانت في السنة ما قبل الماضية وقبل رأس السنة بأيام قليلة».

وعندما أعطاها هونما صورة كيوكو شينجو دققت فيها طويلاً حتى أنها تركت سيجارتها تحترق في صحن السجائر ثم قالت ببطء: «أنا لا أعرفها ولم أرها في حياتي».

«ولا حتى في النادي؟».

«لا، فهي لافتة للنظر حقاً، وكنت سأتذكرها حتما لو أنني رأيتها. هناك خمس فتيات في نادي جولد وربما يكون هذا عدداً كبيراً لحانة واحدة، لكن هذا لأننا أرفع درجة من تلك الملاهي الليلية الرخيصة».

«ماذا لو كانت تأتي كزبونة؟».

أشعلت تومي سيجارة أخرى وأخذت منها نفساً وهي تضحك: «ليس هناك فتاة تأتي إلى نادي جولد وحدها، ولا مع جماعة. إنه ليس مثل تلك الأماكن التي يتحدثون عنها في المجلات».

أشاح تاموتسو بنظره بعيداً وعلى عجل، فقد كانت تومي تحدق فيه باهتمام بالغ.

«كيف كانت شوكو تبدو في العمل؟».

أجابت مباشرة: «محبطة».

«بسبب المال؟».

«وماذا غيره؟ كاد محصلو الديون أن يحطموا باب النادي تقريباً، ولحسن الحظ لم يكونوا كباقي أفراد الياكوزا الأشرار الذين نعرفهم، فقد نجحت في التخلص منهم وعليها أن تكون شاكرة لهذا، فقد نجت بأعجوبة وإلا كانت ستباع في واحد من تلك الأماكن التي تتاجر بالجنس. لقد حاولت إقناعها بأن تترك كل شيء وتهرب».

«إذا جمعنا المبالغ التي سحبتها من بطاقات الائتمان والقروض التي حصلت عليها من الشركات فإن مجموع ديونها يصل إلى عشرة ملايين ين، هل كنت على علم بهذا؟».

هزت تومي كتفيها: «تلك المجنونة، كنت أعلم أنه دين كبير».

نظر إليها تاموتسو بحدة وقال:

«من السهل عليك أن تقولي عنها مجنونة، لكن هذا يحدث لكثير من الناس».

قالت بلهجة لاذعة: «أوه، أظن أنك صديقها القديم من البلدة. إذاً، لا بد أنك تعرف بأن شوكو كانت تقول دائماً إنها جاءت إلى طوكيو لأنها لم تعد تحتمل قسوة الحياة في تلك البلدة».

نظر هونما إلى تاموتسو الذي كان جالساً هناك وقد خلا وجهه من أي تعبير.

قالت تومي موجهة كلامها إلى هونما:

«لم تكن لديها أي ذكرى جميلة، هذا ما قالته، فلطالما أرادت أن

تترك بلدتها وتبدأ حياة مختلفة تماماً. إن هذا ليس أمراً سهلاً، فلا يمكنك أن تغير حياتك بهذه البساطة».

أضاف هونما: «على الأقل ليس نحو الأفضل».

قالت وهي تبتسم: «صحيح، ليس نحو الأفضل. لقد تحطمت جميع أحلام شوكو في أن تحيا حياة مرموقة وتحصل على وظيفة جيدة عند باب أول عمل حصلت عليه، فالراتب كان قليلاً جداً والمسكن سيئاً إلى أقصى حد».

«في شركة كاساي أليس كذلك؟ في الحقيقة لقد مررت بهم هذا الصباح».

في الواقع لم تكن تلك الزيارة لشركة كاساي سوى مضيعة للوقت، فمدير شؤون الموظفين لم يكن متعاوناً أبداً وقد ادعى بأن الموظفين يتغيرون باستمرار وبسرعة كبيرة، لذا فالبحث في الملفات لن يفيدنا بشيء، وبالطبع لم يزعج نفسه بإلقاء نظرة على صورة كيوكو شينجو. لكن ذلك لن يكون أمراً ذا أهمية في حال كان هونما محقاً في تفكيره بأنها قررت أن تنتحل شخصية شوكو بعد أن بدأت العمل في شركة روزالين، وبتعبير آخر بعد شهر تموز من عام 1988. وفي هذه الحال تكون زيارته لشركة كاساي عديمة الجدوى. إلا أنه، على الرغم من كل شيء، لم يكن سعيداً بذلك الاستقبال الذي حظي به.

«لم أعد أذكر اسم الشركة لكن ربما تكون هذه هي. على أية حال، كان المكان المخصص لسكن الموظفين سيئاً، لكن الأمور ازدادت سوءا عندما تركته، لقد أصبحت في الحضيض بكل معنى الكلمة، غير أن هذا لم يكن مفاجئاً، فالإيجار في كاسل مانشن كينشيتشو لم يكن

معقولاً أبداً».

«ولهذا السبب بدأت تستدين؟».

نظرت تومي إلى علبة السجائر وقامت بعدِّ السجائر المتبقية ثم أخذت واحدة وأشعلتها.

«لقد بدأت تعتمد على بطاقات الائتمان وبعد فترة أدركت كم كانت حمقاء».

«حمقاء؟»

«لا أعرف بماذا أدعوها غير ذلك، فلم تكن تملك المال وليس لديها شهادات جامعية وليست ماهرة في عمل شيء، ولم يكن وجهها الجميل كافياً لجعل موظف البنك يثق بها ويفتح لها حساباً وهي تعمل في شركة من الدرجة الثالثة. الحياة الجيدة بالنسبة لشوكو لم تكن أمراً يجب أن تسعى بجد من أجله، بل كانت تريد الحصول عليها بأية طريقة. فيما مضى كان الإنسان إما أن يعمل بجد ليشق طريقه في هذه الحياة، وإما أن يقنع بالوضع الذي هو عليه، صحيح؟».

بدا تاموتسو وكأنه يريد أن يقول شيئاً، غير أنَّ هونما أشار إليها أن تتابع.

«لكن في أيامنا هذه لا يريد الناس السعي ليحققوا أحلامهم، وفي الوقت نفسه لا يريدون التخلي عنها، وبالنسبة لشوكو كل ما كانت تريده هو المال، من أجل التسوق والمعاملة اللطيفة من قبل شركات الائتمان، لا قيود ولا أسئلة. أما فيما يتعلق بالآخرين، فالوضع مختلف تماماً».

«هذا لا يتعلق بالنساء فقط، فهناك الكثير من الرجال الذين يرهقون

أنفسهم في سبيل دخول جامعة جيدة أو الحصول على وظيفة مرموقة، صحيح؟ إنه الوضع نفسه، الحلم نفسه. لكن هذه الأحلام جديرة باحترام أكبر».

تذكر هونما حديث الآنسة سواجي عن ما يسمى (رعب التمويل الاستهلاكي) في بداية الثمانينيات، وكيف كان الناس يحلمون بالحصول على منزل أحلامهم حتى لو اضطروا إلى رهن أرواحهم، فقد كان امتلاك قطعة أرض سيحقق السعادة الأبدية.

«في السابق لم يكن ضرورياً أن يمتلك الزوجان المال ليكونا قادرين على تحقيق أحلامهما، هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك الكثير من الأمور التي تستنزف نقود الناس مثل عمليات التجميل ومستحضرات الزينة الغالية الثمن والمدارس الباهظة التكاليف، ولم تكن المجلات تعرض كل منتج جديد يتم صنعه».

كانت تومي منفعلة جداً لدرجة أنها نسيت أن تشعل سيجارتها.

«لقد أصبحت الأمور أكثر سهولة الآن، فالمال قادر على شراء جميع الأحلام، وأولئك الذين يملكون المال سيصرفونه وأما الذين لا يملكونه فسيستدينون مصروفهم ثم ينتهي أمرهم مثل شوكو».

«بالمناسبة، منذ متى وأنت تعملين في جولد؟»

«سبع أو ثمان سنوات، وقبل ذلك كان لديَّ ناد خاص بي، كنت أمتلكه أنا وزوجي وعندما أفلسنا هرب وتركني، لكني مع هذا لم أعلن الإفلاس فلم يكن من الصعب معالجة الأمور بطريقة محترمة، فقد ناقشت الوضع مع الدائنين، وفي الحقيقة ما زلت أسدد الدين حتى الآن».

ثم قالت وهي تنفخ دخان سيجارتها: «هل تعرف ماذا قال لي زوجي في أحد الأيام؟ يجب أن أعترف بأنه كان رجلاً جيداً. لقد سألني لماذا تغير الأفعى جلدها يا ترى؟».

«الأفعى؟».

«نعم، مع أن هذا يتطلب جهداً كبيراً، فلم تفعل ذلك؟».

قال تاموتسو: «لكي ينمو جلد غيره».

ردت تومي من دون اكتراث: «خطأ، بل لكي ينمو لها أرجل، فالأفاعي ليست بحاجة إلى أرجل. غير أنها نظرت حولها فرأت أن جميع الكائنات تملك أرجلاً، لذلك فهي تحاول أن تحصل على أرجل هي الأخرى. إن العالم مليء بالأفاعي التي تتلوى بسبب الديون باحثة عن أرجل».

هنا تذكر هونما كلمات شوكو «كل ما أردته هو أن أكون سعيدة..»...

تابعت تومي: «وبما أنني مررت بكل هذا من قبل فقد جعلت شوكو تقيم معي فلا مكان لديها تذهب إليه، ومن ثم أعلنت إفلاسها وذهبت للعمل في مكان آخر».

«لاهاينا؟».

«أظن ذلك، وحتى بعد أن بدأت العمل هناك وانتقلت للعيش في كاواجوتشي بقيت تتصل بي من حين لآخر، وقد تناولنا الغداء معاً في إحدى المرات. كان هذا في ربيع السنة ما قبل الماضية على الأغلب أو ربما قبل ذلك، وعندما توفيت والدتها كانت بائسة حقاً، لذلك اقترحت عليها أن نذهب إلى الينابيع الساخنة ونسترخي قليلاً»...

«وهل كانت هذه هي المرة الأخيرة التي قابلتها فيها؟».

عبست تومي ثم قالت من دون اهتمام: «صحيح، وأنا لست من الأشخاص الذين يسعون وراء الناس، فإن توقف أحدهم عن الاتصال بي أتركه وشأنه، وهكذا انتهت الأمور بيني وبين شوكو. أخشى أني لم أقدم الكثير من المساعدة».

«في الفترة التي كانت فيها شوكو تعيش في كاواجوتشي وبالتحديد وقت وفاة والدتها، هل تذكرين أنك قد سمعت شيئاً غريباً لافتا للانتباه؟».

«ماذا تقصد؟».

«هل لاحظت أي تغيير، أي شيء جديد، هل كونت صداقات جديدة أو بدأت بالذهاب إلى مركز تجميل مختلف، أي شيء؟».

مررت تومي يدها في شعرها وقالت:

«منذ أن اتصلت بي وأنا أحاول أن أتذكر بعض التفاصيل عنها والتي يمكن أن تكون مهمة ولكني لم أتذكر شيئاً، فأنا بالكاد أتذكر المكالمة الهاتفية بعد أن أغلق السماعة بدقيقة».

جلست متجهمة وقد ضغطت بكلتا يديها على أنفها وجلس تاموتسو وهونما ينظران إليها بصمت.

«هذا لن يجدي نفعاً، أن تحاول إجبار نفسك على التذكر، لن ينفع، لنر... في وقت من الأوقات كانت تتلقى مكالمات هاتفية قذرة وقد أقلقها هذا الأمر كثيراً، ولكنه لم يكن أمراً مهماً إلى هذه الدرجة».

ثم لمع بريق في عينيها: «انتظر لحظة، الآن تذكرت لقد اتصلت بي ذات مرة، وربما تكون قد تأثرت بتلك المكالمات الهاتفية، وقالت إن

أحدهم فتح بريدها».

«بريدها؟ في مجمع كاواجوتشي السكني؟».

«لقد نسيت اسم المكان ولكنه في كاواجوتشي، أجل، قالت إن المغلفات كانت مفتوحة وقد قلت لها حينها إنها تبالغ كثيراً وربما تكون المسألة مجرد مزحة أو أن هناك خطأ ما في مكتب البريد. حدث هذا تماماً في الوقت الذي يفترض أن تحصل على نقود تأمين والدتها، وقد كانت هذه المرة الأولى التي ترى فيها نقوداً حقيقية بعد أن أفلست، كنت على وشك أن أضحك عندما قالت إنها كانت تخطط لشراء قبر من أجل والدتها. أظن أن المبلغ كان مليوناً أو مليونين».

كان هونما ينظر إليها ويفكر في الصندوق الذي تركته شوكو وراءها والذي أرته إياه صاحبة الشقة. فمن بين الأشياء التي كانت فيه، نشرة إعلانية تخص مدفن البستان الأخضر، إن لم تخنه الذاكرة.

«هل كانت تفكر بشكل جدي في شراء قبر؟».

إن هذا يدعو للضحك فعلاً.

«بشكل جدي؟ بالطبع، حتى إنها ذهبت في جولة إلى المقابر واستقلت واحداً من تلك الباصات الخاصة، لقد قلت لها وقتها أراهن على أنك أصبحت مشهورة لدى تلك الشركة فشابة مثلك لا تذهب عادة إلى مكان كهذا، ولكني أذكر أنها قالت إن فتاة أخرى أصغر منها كانت هناك أيضاً وقد تحدثتا عن غرابة هذا الموقف، أي أن تقوما بشراء قبور وهما بهذا العمر».

اتصل هونما أولاً بصاحبة الشقة التي كانت تسكنها شوكو ليتحقق من أن اسم المدفن هو (مدفن البستان الأخضر) ثم اتصل بالمدفن.

كان المكتب الرئيسي في الطابق الأرضي لمبنى صغير ومرتب يقع شمال طوكيو. كانت الجدران مغطاة بصور مواقع القبور الجاهزة للبيع على تلال مختلفة وفي مناطق مشجرة من المقبرة. وفي الرواق كانت هناك صورة ضخمة لموقع على وشك أن يكون جاهزاً بين تلال إقليم جوما البعيدة.

كان مدير المدفن الذي استقبل هونما وتاموتسو رجلاً متوسط العمر، مهذباً ومعسول اللسان. وعندما سأله هونما عن شوكو وعن النشرة الإعلانية التي كانت لديها، قال إنها من المحتمل أن تكون قد ذهبت في جولة إلى الأراضي القريبة من إيماتشي، فقد كانوا يروجون للبيع في تلك الأماكن في وقت من الأوقات.

«إن لدى ابنة أختي بعض المشاكل في الميراث، لذا أريد فقط أن أتحقق إن كانت قد جاءت إلى هنا».

يبدو أنه لم يكن يغفل أي شيء: «إن كل شخص يشارك في جولاتنا يحصل على صورة جماعية للذكرى، كما إننا نحتفظ بنسخة منها في سجلاتنا فهل تريد أن تلقي نظرة؟».

راح هونما وتاموتسو يتمشيان في الممر إلى أن عاد الرجل حاملاً ألبوماً ضخماً.

«أخذت هذه الصور في الفترة ما بين شهري كانون الثاني ونيسان من عام 1990».

فتح الألبوم ثم تركهما وشأنهما فأخذا يقلبان الصفحات بسرعة: 1\18، 1\29، 2\4، 2\12.

«هنا!» كان تاموتسو ينقر بإصبعه على إحدى الصفحات.

الأحد 18\2\1990 – مدفن البستان الأخضر – زوار الجولة رقم 13.

كان في الصورة اثنان من الموظفين، رجل وامرأة، واحد من كل جانب يمسكان شعارا أخضر اللون من أطرافه، ولم يكن هناك سوى ثمانية أشخاص وكانت شوكو في الوسط. يالها من فتاة مسكينة.

ولأن عدد الأشخاص في الصورة لم يكن كبيراً، فقد كانت اللقطة قريبة والوجوه كلها واضحة. وجه شوكو كان هو الوجه نفسه الذي رآه هونما في صورة المدرسة الثانوية التي بحوزة تاموتسو، إلا أن شعرها كان مختلفاً فهو الآن مجعد طويل ومصبوغ بلون كستنائي وقد بدأ يطول فظهرت الجذور السوداء اللون. كانت تلبس سترة قطنية واسعة وبنطال جينز وقد أغمضت عينيها في الضوء، فبدا مظهرها عفوياً تماماً بالنسبة لشخص يقوم بجولة في المقبرة، حتى إنها كانت تبتسم، ويمكنك أن ترى مجموعة من الأسنان المعوجة تحيط بها شفاه ضخمة. إلى جانبها تماماً كانت كيوكو شينجو، تبتسم هي الأخرى مظهرة صفاً جميلاً من الأسنان البيضاء.

كانتا تقفان جنباً إلى جنب وذراعاهما متشابكتان. إنهما أصغر من أن تقوما بشراء القبور أو أن تتركا وحيدتين في هذا العالم.

تمتم تاموتسو «شوكو».

# ✧ 22 ✧

على بعد ساعة ونصف من ناجويا في قطار كينتيتشو، تقع مدينة آيسي الهادئة المشهورة بآيسي شرين، الموقع الأكثر قداسة في الديانة الشنتوية. هذه كانت بلدة زوج كيوكو شينجو السابق، ياسوجي كوراتا، والذي كان هونما قد اقتفى أثره عن طريق بعض السجلات التي حصل عليها فوناكي من أجله.

إن النظرة الخاطفة التي ألقاها هونما على دليل هاتف مدينة آيسي أظهرت عدداً كبيراً جداً من الشركات التي تحمل اسم كوراتا، ومن بين أكبر هذه الشركات كانت هناك وكالة عقارات بالقرب من المحطة. ذكر الإعلان الخاص بهذه الشركة، والذي شغل ربع صفحة، أن المدير العام للشركة هو سوجيرو كوراتا وكتب تحته تماماً، ياسوجي كوراتا مسؤول شؤون العملاء.

لقد أصبح في الثلاثين، وقد طلق كيوكو قبل أربعة أعوام ثم تزوج ثانية وهو الآن أب لفتاة في الثانية من عمرها. عندما اتصل هونما من طوكيو أجابته والدة كوراتا ولكن ما إن أتى على ذكر اسم كيوكو شينجو حتى توقفت عن الكلام، لقد مرت حوالي عشر ثوان من الصمت لم يتجرأ هونما في خلالها على مخاطبتها. لقد قال في نفسه: «حسناً، دعها تغلق الخط وسأتصل مرة أخرى». لكن لا، عاد صوت

الأم من جديد: «عن أي شيء تريد أن تسأله؟».

حاول هونما أن يشرح لها الموقف الذي حدث بين كيوكو وخطيبها الجديد بقدر ما يستطيع.

«اعتقدت أن السيد كوراتا يمكن أن يدلني على أحد أصدقائها فلربما يعرف أحد منهم مكانها. هذا كل ما أريده منه».

ثم بدأ يضيف أعذاراً مختلفة قائلاً إنه يعرف أن اتصاله كان مفاجئاً وأنه حتماً يسبب الإزعاج... وهكذا...

فقالت الأم فجأة: «صحيح أن الأمور لم تكن جيدة، لكن هذا كان في الماضي».

ثم قالت بعد لحظات وكأنها تتحدث إلى نفسها: «كيوكو المسكينة».

«هل أستطيع أن أتحدث إليه؟»

صمتت الأم مرة أخرى ثم تبع هذا هجوم آخر: «لدينا جميعاً أمور نندم عليها فيما يتعلق بأسلوب تعاملنا مع كيوكو، ولكنك تبحث عن معلومات تتعلق بوضعها الحالي وأنا أخشى، بصراحة، أنه ليس لدينا أية فكرة عن مكانها والحديث مع ولدي سيفتح الجروح القديمة فقط».

كان واضحاً أن هذا آخر ما سيقال في هذا الموضوع، وقبل أن يتأكد من ذلك كانت قد أغلقت الخط.

لم يتوقع هونما أبداً أن تكون عائلة كوراتا حبة جوز سهلة الكسر، إلا أن طرده بهذه الطريقة زاده حماساً للموضوع.

عندما أخبر ماكوتو وإيساكا بأنه سيتغيب ليومين، كل ما استطاع ماكوتو قوله كان:

«اتصل لتخبرنا بأنك مازلت على قيد الحياة».

ولما غادر القطار لمحهما وهما ينزلان عن الدرج. كانا يريدان القيام بالتسوق، فقد كانت هذه حجتهما ليرافقانه كل هذه المسافة. إنهما يبدوان مثل أب وابنه.

في ناجويا ركب هونما قطاراً آخر. جلس في مقعد مخملي وراح يتصفح مقالة عن (الجثث المجهولة الهوية) والتي كان الصحفي قد أحضرها له. كان القطار فارغاً تقريباً، فاستغل هونما المساحة الإضافية المتوافرة ليمد ساقيه.

لقد قام الصحفي بعمل بارع. رسم جدولاً مفصلاً كالآتي: الموقع- الأجزاء الموجودة- العمر- الجنس- الأشياء الشخصية التي عثر عليها، بالإضافة إلى عمود للملاحظات من أجل التقارير المرحلية. ولم يستغرق هونما وقتاً طويلاً حتى وجد ما كان يبحث عنه.

في يوم الطفل 5 \5 \1990 كانت الأجزاء المتبقية من جثة فتاة شابة هي الذراع اليسرى، والجذع، وربلة الساق وقدم. وجدت بالقرب من مقبرة في نيرازاكي في جبال ولاية ياماناشي. كان الجلد في مرحلة متقدمة من التعفن والعظام مكشوفة جزئياً وقد لوحظ على الأصابع آثار طلاء أظافر أحمر اللون. تحت بند الأشياء الشخصية كان الشيء الوحيد الذي عثر عليه هو خلخال في الرجل اليمنى.

إحساسه يقول له إنها هي.

التواريخ كانت ملائمة فشوكو سيكين اختفت من مجمع كاواجوتشي السكني في 17\3\1990، وإذا افترضنا أنها قتلت في غضون أسبوع فهذا وقت كاف لتصبح الجثة في الحال التي وجدت

عليها في 5\5\1990.

كانت الأجزاء المتفرقة من الجثة ملفوفة بأغطية بلاستيكية، كل على حدة ومدفونة داخل كومة من القمامة في إحدى زوايا المقبرة، ولا بد أن الغربان والكلاب الشاردة كانت أول من وجدها. ويبدو أن الذراع كانت ظاهرة للعيان فلفتت انتباه أحد الأشخاص الذي كان قد جاء لينظف أحد القبور. كانت الأغلفة البلاستيكية تخص إحدى وكالات بيع السوشي في إقليم كانتو- طوكيو وكانت تستخدم كورق لف وهي منتشرة جداً لذا لم تفد في شيء إطلاقاً. وكذلك الأمر بالنسبة للخلخال، فقد كان من الذهب المطلي الرخيص ومرصعاً بأحجار ماسية مزيفة، ولا يساوي أكثر من ألفين أو ثلاثة آلاف ين في أحسن الحالات ولا يستحق السؤال عنه.

لقد قامت شرطة ياماناشي ببحث مكثف عن الرأس المفقود والذراع اليمنى والفخذين لكنها لم تجد شيئاً، والأدلة التي جمعت من موقع الجريمة لم تشر إلى وجود أشخاص مشتبه بهم أو آليات غريبة حول المكان. كل شيء في المقبرة كان طبيعياً وكالمعتاد، على الرغم من أن هذه المقبرة التي نتحدث عنها كانت صغيرة وليست بتلك الفخامة. غير أنها لم تكن تبعد إلا مسافة قصيرة مشياً على الأقدام من نيرازاكي كانون، التمثال البوذي الذي كان يستقطب الكثير من السياح، كما أن المتحف التاريخي المحلي كان قريباً منها أيضاً لذلك فإن الزوار كانوا يأتون إلى البلدة في الإجازات وعطل نهاية الأسبوع وذلك لكون نيرازاكي قريبة من كروم كوفو وينابيع سيكيوا الساخنة.

مقبرة في نيرازاكي؟ هل كانت ضمن نطاق تحركات كيوكو ياترى؟

عليه أن يسأل زوجها السابق. لكن ما الذي حدث لبقية الجثة؟ وللرأس بالتحديد.

ثمة احتمالان وراء التقطيع: أحدهما، لجعل الضحية مجهولة الهوية. أما ثانيهما، فلتسهيل عملية نقلها. النساء في الغالب هن اللواتي يقمن بتقطيع الجثة وذلك لإخفائها، كما حدث في قضية الشرطي الذي وجدت جثته مقطعة في القناة في الجهة الشرقية من طوكيو قبل عدة سنوات، وقد تبين أن الفاعلتين كانتا زوجة الرجل الميت ووالدتها.

يتطلب تقطيع الجثة في العادة قوة هائلة، لكن عندما يكون الفاعلون في حالة دفاع عن النفس فإن نسبة الأدرينالين سترتفع لديهم وهذا سيمدهم بقوة خارقة. أما إذا كان المجرم امرأة وقد صممت على القيام بهذا، فيمكنها أن تغلق باب بيتها على نفسها وتقوم بالعملية داخل الحمام وعلى أقل من مهلها.

إذاً لقد قامت كيوكو بتقطيع جثة شوكو ورمت نصفها في مقبرة نيرازاكي ولكن أين بقية الجثة؟ إن الوقت مبكر جداً لنقول إن كيوكو هي التي قتلتها. إلا أنّ هونما لم تعد لديه أية شكوك. فكل شيء يشير إلى أنها هي الفاعلة.

كان الأمر يبدو مثل لعبة الوصل بين النقاط، وهو يندفع مسرعاً عبر البلاد ليملأ الفراغات، على الرغم من أنه ليس في مهمة رسمية.

شعر هونما وكان النهار أصبح رمادياً، فالغيوم التي ظهرت في السماء عندما غادر ناجويا أصبحت الآن قريبة جداً، وما إن أعلن مكبر الصوت أنهم على وشك الوصول إلى آيسي حتى بدأت حبات المطر تطرق على النافذة. هذا الجو المعتم يتناسب مع الأحداث الحزينة. كم

كانت قصيرة تلك الأيام التي قضتها كيوكو ربة منزل في هذه البلدة الهادئة وكم انتهت بتعاسة.

عند المرور ببوابة التذاكر رفع هونما نظره إلى السماء وفتح عينيه في الضباب البارد وقال في نفسه، لقد كانت تمطر دائماً فوق رأس كيوكو.

كان العقار الذي يملكه آل كوراتا أصغر مما توقعه، فقد كان عبارة عن بناية ضيقة مؤلفة من أربعة طوابق مكسوة ببلاط رمادي اللون، وتضم متجرين في الطابق السفلي ويقع المكتب فوقهما.

وقف هونما جانباً ليستكشف المكتب بترو عندما اندفع خلفه تماماً ولد صغير، بدا مثل حبار أصفر وهو يرتدي معطفاً مطرياً طويلاً بقبعة وحذاء المطر الضخم وراح يقفز ويخبط ثم ضرب الأرض بقدميه بقوة أمام الباب الأوتوماتيكي فانفتح لوح الزجاج.

«ماذا تظن نفسك فاعلاً أيها الشقي؟».

ظهرت الأم من مكان مجهول وصفعت الولد من الخلف وسحبته من يده بقوة فراح يمشي وهو يضرب الأرض بحذائه معبراً عن احتجاجه، وأغلق الباب ثانية. لم يستطع هونما منع نفسه من الابتسام، ومن دون أن يرى وجهه عرف أنه كان صبياً.

إنه وحده ثانية، فالصبي يعبث الآن باللافتة الدوارة التي تقول (محل صنع مفاتيح) الموضوعة أمام المحل المجاور، فما كان من الأم إلا أن أمسكت به من معطفه لتسحبه بعيداً. لم يكن ماكوتو يتصرف هكذا أبداً على الرغم من أنه كان يشاكس شيزوكو في كثير من الأحيان.

التفت هونما إلى الوراء عندما كان الباب على وشك أن يغلق،

فالتقت عيناه بعيني شاب يقف خلف الطاولة على بعد خمسة أو ستة ياردات. لابد أن الباب لفت انتباهه، ولكن يبدو أن الشاب كان ينتظر هونما ليشيح بنظره أولاً مع أن هذا التصرف كان يعني تجاهل بقية العملاء والزبائن.

لابد أن هذا الشاب هو ياسوجي كوراتا، ومن الواضح أن والدته قامت بتحذيره. لما خطا هونما خطوة للأمام ربت أحد الموظفين على كتف الشاب، هناك مكالمة هاتفية له. لقد رد على الهاتف لكنه لايزال شارد الذهن.

كانت موسيقى موزاك تنبعث من الداخل، وجلس عدد من الزبائن إلى الطاولة. انهمك كل واحد منهم في الحديث مع أحد المندوبين. تقدَّمت إحدى السيدات التي كانت ترتب النشرات الإعلانية على مسند للعرض نحو هونما وقالت: «كيف أستطيع مساعدتك يا سيدي؟».

ولما أخبرها هونما بأنه جاء ليقابل ياسوجي كوراتا قالت متفاجئة: «السيد كوراتا؟ هل لديك موعد معه؟».

«نعم، لقد اتصلت باكراً».

كان كوراتا لايزال يتكلم بالهاتف ويتجه بالاتجاه المعاكس، غير أنه التفت فجأة للوراء وكأنه كان يستمع إليهما وقال بصوت عال بعد أن وضع يده على السماعة: «لا بأس سيدة كاتو أنا سأهتم به». عندها ابتعدت السيدة وعادت لترتيب نشراتها.

بينما كان هونما ينتظره حتى يغلق الخط، راح يفكر بكيوكو شينجو. لابد أنها كانت معروفة في هذا المكان فوالد زوجها يملكه

وزوجها يعمل هنا، ومن المحتمل أنها كانت تأتي إلى هنا من وقت لآخر وتثرثر مع الموظفات.

خرج كوراتا من وراء الطاولة وقال بسرعة وهو يأخذ مظلته: «لنتحدث في الخارج». ومشى خلف هونما تماماً وهو يقوده بعيداً عن أنظار الناس الموجودين في الداخل.

«هل أنت الرجل الذي اتصل؟».

«أظن أن والدتك يجب أن تكون قد قالت لك شيئاً ما؟».

لعق كوراتا شفتيه بعصبية: «وأنا أظن أيضاً أنها أخبرتك أنه ليس هناك ما نناقشه».

«وهل هذا رأيك أنت أيضاً؟».

«اسمع... فيما يخص كيوكو»...

قاطعه هونما مباشرة: «كيوكو يمكن أن تكون قد ماتت».

«ماذا؟ لم تقول هذا؟» لقد بدا مصدوماً بعض الشيء.

«هل هناك ما يثبت العكس؟».

قال هونما في نفسه لندعه يثرثر ثم سنرى.

ضحك كوراتا بعصبية «لا... لا شيء».

وبينما كانا يحتميان تحت المظلة الصغيرة، راح هونما يشرح له كل شيء مرة أخرى، كما فعل مع الأم. بالكاد كان هونما ينظر إليه، بدا وكأنه يعد حبات المطر المتساقطة من سطح المظلة.

«لم تعد تعني لي شيئاً الآن».

«حقا؟ هذا مضحك، لأنها تعني لي الكثير».

نظر إليه كوراتا بحدة: «لأنها تركت قريبك؟ ألهذا السبب

تبحث عنها؟»

«لنقل إنني مهتم بها».

«أوه، حقا؟ هل أنت كذلك؟».

«أنا قلق لأن كيوكو هربت من قريبي لسبب لا يعرفه أحد، أخشى أن تكون قد وقعت في مشكلة خطيرة ولا تستطيع حلها وحدها».

«حسناً، إن أمرها لم يعد يهمني أبداً».

تنهد هونما وكان على وشك أن يغادر: «كما تريد». ثم نظر إلى الأرض وأضاف:

«أنا آسف لم أكن أعلم بأن كيوكو سببت لك كل هذا الألم».

نظر إليه كوراتا ثم سأله فجأة: «هل ذهبت إلى آيسي شرين من قبل؟».

«لا، أبدا».

يبدو أن القصة أثارت اهتمامه، على الرغم من أن أي شعور بالحب كان يكنه لكيوكو قد انتهى من زمن طويل، أو على الأقل هو لن يستخدم هذه الكلمة ليصف شعوره نحوها الآن. لكن كان واضحاً أن هذه المرأة لاتزال تثير بعض العواطف داخله.

إنه لتصرف بغيض، فكر هونما، أن تنبش ذكريات الناس الذين تعبوا كثيراً حتى استطاعوا نسيانها، لكنه مضطر لأن يقوم بهذا.

نقل كوراتا المظلة إلى اليد الأخرى وقال:

«خذ سيارة أجرة إلى المحطة وأخبر السائق أن يوصلك إلى مكان يدعى أكافوكو، الجميع يعرفه. ادخل المقهى الذي في الخلف وليس إلى القسم الذي يبيعون فيه الحلويات وانتظرني هناك».

«لا تفهم أني لا أريد الذهاب، ولكن ألن يكون هناك الكثير من السياح؟ أتظن أن بإمكاننا أن نتحدث هناك؟».

أكافوكو كان مشهوراً بمحل الحلويات التقليدية الذي فيه وهو مذكور في أي دليل للأماكن.

«إننا في فصل الإجازات ولن يكون المكان مزدحماً جداً، بالإضافة إلى أن اليوم هو يوم عمل وبكل الأحوال سيكون مناسباً بالنسبة لي إن تصرفت كسائح».

ثم قال بصوت خافت: «إذا قلت إنك أحد معارفي من طوكيو وإنني آخذك في جولة حول آيسي، فلن يشك أحد بشيء. فوالدي معروف جداً هنا والناس سيلاحظون وجودي أنا أيضاً. أتعلم أني إذا أردت أن أقابل أحداً بشكل سري، فيجب عليَّ أن أقطع كل تلك المسافة إلى ناجويا».

«وإذا انتشر الخبر بأن هناك شخصاً يسأل عن كيوكو، فسيكون الوضع سيئاً، أليس كذلك؟».

«لا، لا أريد أن يتسرب أي خبر».

لابد أن طلاقه من كيوكو قبل أربع سنوات سبب فضيحة.

« أيضاً، يجب أن نضع زوجتي في الحسبان».

وبعد أن اتفقا على أن يلتقيا عند الساعة الرابعة، ذهب كل منهما في اتجاه وسمع هونما صوت الباب يفتح ثم يغلق وراءه.

إنها جلسة من مسرحية الساموراي المعدة للتلفزيون، فالنزل الريفي كان مصنوعاً من خشب قاتم اللون وفي الخلف منطقة واسعة مرتفعة قليلاً مغطاة بحصيرة خصصت للجلوس. كان المكان مزدحماً عند

المدخل لكن بعض الناس خلعوا أحذيتهم وجلسوا يشربون الشاي. في الحقيقة لم يكن هناك سوى مجموعة مؤلفة من أربع نساء متوسطات في العمر جلسن يثرثرن حول طاولة بعيدة عن طاولة هونما.

انتشرت المجامر هنا وهناك وكان الفحم المشتعل بداخلها يشع بوهج دافئ، فخلع هونما معطفه الرطب ووضعه جانباً. وفي هذه الأثناء جاءت صبية ترتدي الثوب الياباني التقليدي وقدمت له الشاي وصحناً من كعكة الفاصولياء، لكن هونما لم يكن مولعاً بالحلويات مثل ماكوتو وإيساكا.

إنه مكان قديم الطراز وهناك إبريق معدني يتدلى من فوق معلق بسلسلة، وكان يغلي فوق الحطب. إن طعم الشاي هنا مختلف عن الشاي الذي يشربه في البيت. ولما رفع نظره عن الفنجان رأى كوراتا يصعد إلى المنطقة المغطاة بالحصيرة.

جلس كوراتا إلى طاولة هونما وأسرعت النادلة لإحضار صينية أخرى من الشاي والكعك فشكرها كوراتا بابتسامة خفيفة ووضعها جانباً. بدا مرهقاً وقد ارتخت ربطة عنقه خلال هذه الفترة القصيرة منذ أن تركه هونما. جلس يحدق بصمت في الفحمات المشتعلة داخل المجمر وقد خلا وجهه من أي تعبير ثم قال فجأة: «هذا المكان مشهور جداً».

ويبدو أنه ما إن بدأ بالكلام حتى خطر له حديث آخر فقال:

«هل لاحظت كثرة المباني الخشبية حول المكان؟ إن الكثير من الشركات المحلية عادت إلى اعتماد أسلوب البناء التقليدي بدلاً من الإسمنت، يبدو الأمر وكأنه نزعة نحو التراث. وهذا بالطبع يؤثر في

مجال السياحة. في السنة القادمة سيحين موعد إعادة بناء المقام، فهم يقومون بهذا كل عشرين سنة، لذلك ستكون البلدة مزدحمة جداً».

ثم أضاف بصوت أقرب إلى الهمس: «إن والدي يشارك في هذه المشاريع الإنشائية ولذلك يجب أن أتوخى الحذر».

«أنا لا أرغب في إثارة أية مشاكل».

«لا يسعني إلا أن أصدق كلامك مع أنه يمكنني وبكل بساطة أن أتجاهلك، لكن إن كان هذا سيؤدي إلى نتائج عكسية فلن أجني شيئاً سوى المزيد من المشاكل على المدى الطويل».

تناول فنجان الشاي وهو ينظر في عيني هونما مباشرة.

«أنا أحذرك، إن كنت واحداً من أولئك الصحفيين الذين يسعون إلى التدخل في حياتنا الشخصية للقيام بنشر سلسلة من الأكاذيب فسوف أجعلك تندم».

كانت محاولة أخيرة جريئة، لكن من يلومه؟ إنه يجلس هنا فقط بسبب حساب قديم بينه وبين كيوكو.

أجبر هونما نفسه على الابتسام وقال: «ليس عليك أن تقلق من ناحيتي».

ثم بدأ يحدثه عما كانت كيوكو تفعله في الآونة الأخيرة وكيفية انتحالها شخصية شوكو سيكين وكيفية اختفائهما معاً بعد ذلك.

أخبره بكل شيء إلا عن شكوكه بحدوث جريمة قتل، ويبدو أن هذا الحديث أخرس كوراتا تماماً فلم يبد أي ردة فعل إلى أن ذكر هونما بأن كيوكو هربت بعد أن علم خطيبها بأمر إفلاس شوكو سيكين.

قال وقد نهض عن كرسيه قليلاً: «لم أسمع في حياتي

كلاماً غبياً كهذا».

«غبي؟».

«من المستحيل أن تنتحل كيوكو شخصية امرأة مفلسة».

«لكنها لم تكن على علم بالأمر».

«أتعتقد بأنها ستقدم على انتحال شخصية أحداهن من دون أن تكتشف أمراً جوهرياً كهذا؟».

«هذا ما حدث على ما يبدو». ووضع يده على جبهته ثم سأله بشكل مفاجئ:

«هل هذا مستحيل لأنه كانت لدى شوكو تلك المشاكل المتعلقة بالائتمان والقروض وهذه الأمور كلها؟».

«كانت كيوكو تكره الأمر كله، تمقته كثيراً وتحاول دائماً البقاء بعيدة عن هذه الأشياء».

لا بد أن هذا الكلام يعني شيئاً ما، فكر هونما، إنه يتطابق مع كون شوكو لم تمتلك أية بطاقة ائتمان في حياتها.

«أجل فهناك الكثير من الناس الذين لا يثقون ببطاقات الائتمان».

قال كوراتا بحماسة: «ليست هذه هي المشكلة إطلاقاً».

«وما هي إذا؟».

«إن المسألة أكبر من هذه بكثير».

مجموعة كبيرة من رجال كبار في السن، ويبدو أنهم تقاعدوا من الشركة نفسها، احتشدوا فوق الحصيرة واحتلوا عدداً من الطاولات القريبة من طاولة السيدات. نادوا على النادلة وراحوا يملون عليها طلباتهم بأصوات مرتفعة وكأنهم تلاميذ في المدرسة.

حول هونما نظره عنهم ونظر إلى كوراتا: «ما هي المشكلة؟».

«لقد تفرقت عائلة كيوكو قبل وقت طويل بسبب مشاكل الديون».

غير صوته وكأن الموضوع تطلب نغمة مختلفة: «لم يتمكنوا من تسديد ثمن منزلهم فغادروا البلدة على عجل، وقد تطلقنا أنا وكيوكو لهذا السبب أيضاً».

كانت يداه ترتعشان على حضنه، ثم وسع ربطة عنقه وقال:

«عندما تزوجنا تم حذف اسمها من السجل العائلي الخاص بأسرتها والموجود في بلدتها، موريياما في ولاية فوكوشيما، ولكنهم أضافوا كالعادة البند الذي يذكر اسم زوجها ومكان السجل العائلي الخاص بعائلته. وعلى الرغم من أنها لم تكن متورطة بتاتاً في الأمر، فقد واصل محصلو الديون مضايقتها حتى بعد أن انتقلت للعيش معي. لقد اكتشفوا عنوانها فجاؤوا إلى هنا ليقرعوا بابنا بوحشية.

لقد هربت عائلة كيوكو في ربيع عام 1983 أي قبل زواجنا بأربع سنوات وقد استمروا بملاحقتها طوال هذه المدة. وفي أثناء ذلك كانت الفوائد قد أصبحت هائلة جداً. لقد جربوا كل الطرق ليجعلوها تسدد الدين، إلى أن قررنا في النهاية أن أفضل شيء يمكن أن نقوم به ولمصلحة الجميع هو أن ننفصل».

# ✧ 23 ✧

هكذا إذاً... كيوكو شينجو وشوكو سيكين: يقيدهما الماضي نفسه ويطاردهما الشبح ذاته.

قال هونما متمتماً: «هذه هي القصة إذاً». ثم مسح جبينه بإحدى يديه فدهش عندما اكتشف أنها تبللت بالعرق ونظر إلى كوراتا ليرى تعابير الدهشة مرتسمة على وجهه.

«ألم تكن تعلم؟».

«لا، إني أسمع هذا الكلام للمرة الأولى».

لكن هذا يوضح كل شيء ويفسر استماتة كيوكو شينجو للحصول على هوية جديدة، وقطعها كل هذه المسافات لحيازتها. إن كوراتا محق، إذا تمكن محصل الديون بطريقة أو بأخرى من التوصل إلى السجل العائلي لأحد الأشخاص ووثيقة إقامته، التي من المفروض أنها محفوظة في مكان آمن ويتعذر الحصول عليها، فبإمكانه أن يقتفي أثرهم ويجدهم. ولهذا السبب فإن المدينين ينتقلون دائماً من مكان إلى آخر ولا يعملون في وظائف ثابتة.

«على هذا النحو عاشت كيوكو حياتها، لقد هربت مع عائلتها منذ... دعنا نرى... منذ ربيع عام 1983».

«هذا يعني أنها كانت في السابعة عشرة، كانت لاتزال في

المدرسة الثانوية».

«صحيح، ولهذا السبب توقفت عن الدراسة مع أنها كانت متلهفة جداً للتخرج».

وتزوجا بعد ذلك بأربع سنوات، حسب كلام كوراتا، وبما أنها بقيت بعيدة عن الأنظار طوال هذه المدة فلابد أنها اعتقدت بأن محصلي الديون يجب أن يكونوا قد استسلموا، ولكنها نسيت أمر المستندات فحسب القانون الياباني، عندما يتزوج الرجل والمرأة يتم حذف العروس بشكل تلقائي من سجل والدها ويضاف إليه بند يقول (تم حذفها لتضاف إلى عائلة جديدة) ويدون العنوان الجديد للزوجين.

سأل هونما: «وهل هربت العائلة بسبب قرض سكني؟».

أومأ كوراتا: «كان والد كيوكو موظفاً عادياً في شركة صغيرة من الدرجة الثالثة لذلك كان صعباً بالنسبة إليه أن يستمر بالدفع في وضعه هذا، ولكنه في الوقت نفسه لم يستطع أن يتخلى عن فكرة امتلاك بيت خاص به، إن كيوكو هي من أخبرني بكل هذا».

استطاع هونما أن يتخيل جيداً الحلقة المفرغة التي وقعت فيها عائلة شينجو، دفعات صغيرة وبسيطة وقرض ضخم، وعندما تأزمت الأمور حصل الأب على قرض ثان أصغر من الأول ولكن هذه المرة من شركات القروض المسماة بقروش القروض، وبهذا تكون العائلة قد رمت الكرة لتتدحرج، فبدأت سرعتها تزيد ثم أصبحت أسرع فأسرع ولا يمكن لأحد أن يوقفها.

«وفي النهاية استعانوا بواحدة من تلك الشركات التي تضيف فائدة قدرها عشرة بالمئة كل عشرة أيام، كانوا بمثابة واجهة للياكوزا، فعلى ما

يبدو أن كل هذه الديون تعود لهم».

لقد تدحرجت الكرة إلى الحفرة الأسوأ، وبهذا تكون اللعبة قد انتهت.

«إن أفراد تلك العصابة كانوا يطرقون بابهم بعنف في منتصف الليل ويضغطون على أقاربهم، يهددون ويتوعدون إذا لم يقم أحد ما بالدفع. لقد أصيبت والدتها بانهيار عصبي، حتى إن العائلة كانت تفكر بالانتحار الجماعي. أما كيوكو فقد كانت مرتعبة للغاية، وفي الحقيقة، إن قرار العائلة بترك البلدة كان من أجل حمايتها».

إن فتاة جميلة في السابعة عشرة كانت سلعة رائجة وقتها.

«هل حاولت العصابة بيعها؟».

حاول كوراتا أن يتملص من الإجابة على هذا السؤال.

«لم تخبرني بالتفاصيل أبداً، ولكنني عرفت بأن والديها كانا خائفين لدرجة أنهما تركا كل شيء وهربا».

لجأ أفراد عائلة شينجو في البداية إلى بعض الأقرباء في طوكيو، على الرغم من أنهم كانوا متأكدين بأنه مع الوقت حتى الأقرباء البعيدين سيقتفي أثرهم.

«عندها قرروا أنه من الأفضل لهم أن يتفرقوا. توجه الأب إلى الشوارع ولم تأت على ذكر مكانه أبداً، إلا أنه كان في طوكيو وربما في سانيا، حيث يقيم جميع العمال الذين يعملون بأجر يومي. أما كيوكو ووالدتها، فقد اتجهتا إلى ناجويا حيث أقامتا في بيت مفروش رخيص الإيجار وعملت الأم في إحدى الحانات. أما كيوكو، فاشتغلت نادلة بدوام جزئي».

بقيتا على هذا الوضع حوالي سنة. تواصلتا مع الأب عن طريق الهاتف والرسائل، إلى أن تعرض الوالد لحادث مروري فذهبت والدة كيوكو لزيارته.

«وبما أنهم لم يتعرضوا لأية مشاكل طوال تلك السنة فقد تخلوا عن توخي الحذر، فإصابة الوالد لم تكن بتلك الخطورة، وقد تمكنوا من جمع بعض المال بشق الأنفس، لذا بدأوا يخططون للم الشمل من جديد في ناجويا ظناً منهم أن الخطر قد زال، وراح الوالدان يزوران أقاربهما ثانية. لكن كانت لهذه الزيارات عواقب وخيمة، فأولئك الأوباش في موريياما كانت لهم أعين في طوكيو، ويبدو أن أحدهم راقب المكان. ففي أحد الأيام وعندما كان الوالدان خارجين من البيت، اختطفا وأجبرا على الصعود إلى سيارة. لقد عرفت كل هذا من كيوكو بطريقة غير مباشرة ولهذا السبب أنا لا أعرف الكثير من التفاصيل لكن... لقد أجبر والدها على توقيع تعهد سداد بالفائدة يجبره على العمل لديهم إلى أن يفي الدين، أما والدتها فقد أرسلت إلى موريياما حيث أمضت السنة التالية تعمل مرافقة، أي في مجال الدعارة نوعاً ما، ولكنها فعلياً كانت سجينة. وبالطبع تعرض الوالدان لكثير من الضغوط لكنهما لم يصرحا أبداً بمكان كيوكو».

ولما لم تستطع والدتها أن تعود، عرفت كيوكو بأن والديها وقعا في ورطة فتركت عملها في ناجويا في الحال وهربت. الشيء الذي كان والداها قد أوصياها أن تكون جاهزة للقيام به في أي وقت. بعد ذلك واظبت على إرسال الرسائل إلى أحد مكاتب البريد في طوكيو مستخدمة خدمة التوصيل العادي، إذ يحتفظ المكتب بالرسائل إلى

أن يأتي أصحابها لاستلامها. أخيراً وبعد سنة تقريباً تمكنت الأم من الهرب ونجحت في الوصول إلى ابنتها. إلا أنها كانت قد تغيرت. قالت كيوكو إن أمها كانت مثل هيكل فارغ. وبعد مدة قصيرة أصيبت بالانفلونزا التي تحولت فيما بعد إلى التهاب رئوي مما أدى إلى موتها. كانت كيوكو حينها في الواحدة والعشرين.

«وحتى ذلك الوقت لم تكن تعرف مكان والدها، لكنها بقيت تحاول الاتصال به عن طريق مكتب البريد نفسه، لذلك كانت هي الشخص الوحيد الذي حضر جنازة والدتها».

ثم بدأت بالبحث عن عمل، فصدف أن رأت إعلاناً في الجريدة يقول إن أحد الفنادق هنا في آيسي بحاجة إلى موظفين. وبعد أقل من ستة أشهر من انتقالها إلى آيسي اتصل والدها. فإما أنه هرب أو ببساطة لم تعد هناك فائدة ترجى منه، المهم أنه أصبح حراً. لكنه بدا محطماً، كان يلهث وبالكاد استطاع أن يجيب على أسئلتها. لقد رجته كيوكو كي يأتي إلى آيسي لكنه لم يستمع إليها وقال :

«لقد انتهيت، لم أعد أقوى على البدء من جديد، إن الرجال ليسوا أقوياء كالنساء».

وأغلق الخط، ربما لم يكن يستطيع تحمل كلفة مكالمة تلفونية بعيدة.

مسح كوراتا فمه بظهر كفه وقال: «لم تتمكن كيوكو من معرفة مكانه».

ثم راح يفتش عن سجائره: «هل تمانع إن دخنت؟».

أشار له هونما بأن يدخن لكنه لاحظ بأن يد كوراتا كانت تهتز وهو يرفع ولاعة السجائر.

«كنت أعرف أصحاب الفندق الذي عملت فيه كيوكو، فقد كنت صديقاً للابن وهو الذي عرفنا ببعضنا. لقد قال إنها فتاة جميلة وذكية ونشيطة، وقد كانت كذلك بالفعل».

خادمة الفندق وابن أشهر رجل أعمال في المنطقة. لابد أن المسألة كانت في البداية، بالنسبة لكوراتا، مجرد لهو ومرح فقط. عرف هونما أنه سيبدو متطفلاً لكنه أراد أن يسأله على الرغم من كل شيء.

ابتسم كوراتا بعصبية وقال:

«في بداية الأمر، أجل، كل ما كنت أريده هو بعض التسلية والمرح، لكني مع مرور الوقت تعلقت بها ومن دون أن أشعر. كنت مأخوذاً بها حقاً».

«لأنها كانت جميلة وذكية؟».

«أجل، لكن ليس من أجل هذا فقط فهناك الكثير من النساء الجميلات، إلا أنني عندما أكون بصحبة كيوكو... لا أعرف كيف أصف ذلك... أشعر بأنني رجل حقيقي، قوي ومليء بالثقة. كنت أعرف أن كيوكو بحاجة إليَّ وقد كنت هناك مستعداً لحمايتها. هذا كل شيء».

كان هونما يستمع لكلمات كوراتا متخيلاً وجه قريبه جان، إنها القصة نفسها تقريباً. فطوال المدة التي أمضياها معاً كان جان هو الذي يتخذ جميع القرارات. وجعله مضيه بالخطوبة على الرغم من معارضة أهله أكثر تصميماً. حتى عندما علم بموضوع الإفلاس لم يزعج نفسه ويخبرها، بل راح يحاول التوصل إلى معرفة مصدر هذه المعلومات الخاطئة بدلاً منها.

كانت كيوكو الرقيقة والمفعمة بالحيوية تجذب الرجال من حولها، وعندما يحين الوقت المناسب توقظ الغرائز الدفاعية لديهم. كان حزنها جذاباً. أثارت شفقتهم فاندفعوا لنجدتها، وهرعوا لحماية الوردة بأيديهم.

إذا فكرنا قليلاً، فسنجد أن هناك الكثير من الصفات المشتركة بين جان وكوراتا. فقد تربى كلاهما تربية جيدة وكانا متفوقين في المدرسة، واثقين بنفسيهما ويتمتعان بإمكانيات متميزة. لكن في أعماق كل واحد منهما كانت هناك رغبة صبي صغير للتمرد على وضعه، من دون أي سبب واضح، كإزعاج والديه أو إهمالهما له. لكنهما يظلان بالنسبة له الوالدين الجيدين، القويين، والجديرين بالاحترام واللذين أمنا له طفولة سعيدة وعلماه مبادئ الحياة الصحيحة ولم يقوما بأي شيء يستحقان اللوم من أجله. فيكبت ذلك الولد الدوافع الثائرة في داخله بتحويلها إلى رغبة في أن يصبح هو نفسه أباً، وامرأة مثل كيوكو سمحت له بأن يشعر بمثل هذا الشعور.

جان وكوراتا كانا يعرفان حق المعرفة أنه مهما عظم شأنهما فلن يصبحا ندين لوالديهما. لقد أدركا أنهما حتى ولو سلكا الطريق الذي رسمه لهما والداهما، فإنهما بحاجة إلى أن يسلكا درباً خاصة بهما ليتمكنا من اختبار قدراتهما. وهذا يشبه تماماً حاجتهما إلى شيء ثمين يدافعان عنه، وهنا كانت كيوكو جاهزة تحت الطلب.

كانت كيوكو ذكية جداً. فقد تمكنت بذكائها من أن تستغل تلك الطبيعة الذكورية، وجعلتهما يهرعان للدفاع عنها. إذا ما أرادت فرساناً تحت إمرتها فيمكنها أن تجعلهما يخوضان المعارك من أجلها

ثم يعودان إليها بالغنائم.

ومع ذلك، فلو أن جان أو كوراتا كان شخصاً مخادعاً لوجدت كيوكو نفسها مجرد عشيقة، ولأضاعت شبابها من دون أن تصبح زوجة حقيقية. غير أن الاثنين كانا شابين خلوقين أرادا الارتباط بها بالطريقة التقليدية.

ولكن من يعلم؟ ربما هذه الطريقة التي أرادت كيوكو أن تسير عليها الأمور. بالكاد قد بلغت العشرين في ذلك الوقت، وقد تصرفت بدهاء أفظع من أن يكتشفه الشاب المدلل كوراتا.

عندما قرر كوراتا في البداية أن يعرفها على أسرته، عارضت كيوكو ذلك تماماً والأسرة بدورها لم ترحب بالفكرة أبداً، الأمر الذي كانت كيوكو قد توقعته فقامت بمسرحية التردد تلك، فلم يكن أمام كوراتا إلا أن يهرع للدفاع عنها.

«لقد أخبرتني كيوكو بكل شيء عن وضعها العائلي... ناقشنا كل الأمور وليس لديها أي أمر تخجل منه... وأنا أريد أن أتزوجها».

كان كلامه مطابقاً تماماً للكلام الذي قاله جان بعد ذلك بعدة سنين. وفي النهاية نجحت محاولات كوراتا المؤثرة في إقناع والديه، مع أن نزاعاتهم استمرت إلى ما قبل الزفاف الذي تم في حزيران 1987.

«لقد عارضت أمي الموضوع حتى النهاية، غير أن والدي ساهم بإقناعها. في الحقيقة، أنا لست متأكداً لكني أشعر أحياناً أنه كانت هناك امرأة ما في ماضيه، ربما كانت لديه كيوكو خاصة به ولكنه فقدها. لابد أنها ذكرى قديمة وقد قمت أنا بنبشها من جديد. هو لم يعترف بهذا أبداً لكنه ولأكثر من مرة، عندما تكون والدتي بعيدة،

كان يتحدث إليَّ بطريقة مؤثرة نوعاً ما عن أنني يجب أن أختار الأشياء الحقيقية في حياتي، ويجب أن أتمسك بآرائي حتى لا أندم فيما بعد.

لم ترد حفل زفاف كبير، فلن يحضر أي شخص من طرفها فليس لديها أهل ولا أقارب. وقد ذهبنا إلى كيوشو لأربعة أيام من أجل شهر العسل»...

سكت كوراتا قليلاً ثم مرر يده على وجهه وبدأ من جديد:

«توجهنا بعد ذلك إلى مكتب البلدية لإنشاء سجل عائلي جديد لنا بعد أن أصبحنا زوجين، تلك الورقة الصغيرة التي تثبت بأنها أصبحت زوجتي بشكل قانوني. كنا واثقين جداً وفخورين بأننا سنبدأ ببناء حياة جديدة».

«لايزال هناك أمر واحد غير واضح بالنسبة لي». أطفأ كوراتا سيجارته ونظر إليه.

«لم تكن كيوكو متورطة بالديون بشكل شخصي، بل إن والديها هما المسؤولان، والأب بالدرجة الأولى. صحيح؟ إذاً، قانونياً لا يحق لمحصلي الديون أن يهددوها ويطالبوها بالسداد. ألم تتمكنوا من استصدار أمر من المحكمة لمنعهم من التعرض لها؟».

حسب القانون الياباني فإن الآباء والأبناء، والأزواج والزوجات يتشاركون بمسؤولية دفع الديون التي تحمل توقيعهم المشترك فقط.

«بالتأكيد، هذا هو القانون». ثم أضاف كوراتا مبتسما: «لكن هؤلاء الأشخاص يعرفون كيف يتحايلون على القانون، فهم لم يقولوا لكيوكو أبداً إنها مسؤولة عما حدث لكنهم تركوها تقرأ ما بين السطور.

(لقد قام والداك باستدانة هذه الأموال وأنت استفدت منها، والآن حان وقت الدفع. هيه... أنت أخبر عروستك الشابة بأنها ستتحمل المسؤولية).

تجولوا في الجوار قائلين لها: (لا بد أن يتصل والدك، لذلك أخبرينا أين يمكن أن نجده في حال اتصل). لقد قلنا لهم إننا لا نعرف مكانه وإنهم لا يستطيعون القيام بشيء معنا، ولكن من المستحيل أن يستسلموا، فقد قصدوا مندوبي مكتبنا وراحوا يحدثونهم عن صعوبة الظروف بسبب ديون عائلة السيدة كوراتا. لقد قام أحد البنوك على إثر ذلك بقطع كل علاقاته معنا».

هذا وحده كان كافياً لجعله شديد الحساسية عندما يتعلق الموضوع بزوجته الأولى.

«ماذا عن الإفلاس؟ لا أقصد كيوكو بل والدها. ألم تتمكن من إيجاده وجعله يعلن إفلاسه الشخصي؟ فبعد إضافة الفوائد التي احتسبت خلال أربعة أعوام لابد أن الدين وصل إلى عشرات الملايين، وهذا كثير جداً ولا يمكن لأي عامل عادي أن يسدده».

لكن لم لم يعلن إفلاسه في موريياما قبل أن تهرب العائلة وتضطر للاختباء؟ ألم يكن قد سمع به يا ترى؟ تذكر هونما شيئاً قاله المحامي ميزوجوتشي: «بالتأكيد لا داعي لأن نخسر عشرات الآلاف من الضحايا كل سنة».

«لكننا لم نستطع إيجاد والدها في ذلك الوقت».

«هل قمتم بالبحث عنه؟».

«بالطبع فعلنا، لا تقلق».

«ألم يكن باستطاعة كيوكو أن تعلن الإفلاس بدلاً منه؟».

ابتسم كوراتا: «لو كان القيام بخدعة كهذه ممكناً لما تعرض أحد للمشاكل، لقد عانت كيوكو الكثير بسبب هذا الموضوع. تحدثنا إلى أحد المحامين الذي أخبرنا بأن القانون يشدد كثيراً على أن الدين هو مسؤولية الشخص الذي تورط فيه ولا يمكن لأحد من أفراد العائلة أن يعلن الإفلاس بالنيابة عن فرد آخر. وبالطبع مادامت كيوكو ليست مسؤولة قانونياً عن ديون والدها فلا يجب أن تقلق إطلاقاً من أجل تسديدها، وليس من المفترض أن تهدد أصلاً من قبل محصلي الديون. كما أنها ليست مضطرة لا قانونياً ولا منطقياً كي تعلن إفلاسها، والحصول على أمر من المحكمة لحمايتها لن يجدي نفعاً في مثل هذا الوضع.

إن الزبائن يدخلون ويخرجون إلى المكتب طوال الوقت ولا يمكنك أن توقفهم باستمرار لتتحقق من أوراقهم، وبما أن ديون والدها كانت مسألة بسيطة فلا يمكنك حتى أن ترفع قضية تشهير».

طالما أن أفراد الياكوزا لا يمارسون عنفاً فعلياً، فلا تستطيع الشرطة أن تفعل شيئاً. إن عدم التدخل في الشؤون الشخصية هو من أهم القواعد لديهم.

«عندما يقبضون عليك يحرصون أشد الحرص على ألا يتركوا آثاراً، فلا تتمكن عندها من القيام بأي شيء. كنتُ وكيوكو وحتى والداي على وشك أن نفقد عقولنا. والموظفون في الشركة بدأوا بالاستقالة»...

«قال المحامي وقتها إن هناك مجموعة من الإجراءات يمكن أن نقوم

بها. أولاً يجب أن تعلن كيوكو رسمياً عن اختفاء والدها وتدعي بأنها لا تملك أي دليل على كونه حياً أو ميتاً، فإذا قبلت المحكمة بذلك يتم شطب والدها من السجل العائلي، وعندها يمكن أن تذهب كيوكو إلى المحكمة الأسرية وتتنازل عن أي حق لها في أملاك والدها».

غير أنَّ المشكلة كمنت في أنه لا يمكن الإعلان عن اختفاء شخص من دون مرور سبع سنوات على رؤيته أو سماع أية أخبار عنه.

«لا يمكن لأي شخص أن يتحمل وضعاً مثل الوضع الذي عانت منه كيوكو، لذلك اقترح المحامي أن نفكر في احتمال آخر كأن يكون والد كيوكو قد مات. اشتغل عاملاً يومياً، لذا من الممكن أن يكون قد سقط في الشارع ميتاً في أحد الأيام من دون أن نعرف. فإذا استطعنا إثبات موته يمكن أن تبدأ كيوكو بإجراءات الحرمان من الميراث مباشرة، أو يمكنها أن ترث ديونه وتستخدمهم حجة لإعلان الإفلاس فالنتيجة واحدة. وهكذا انطلقنا أنا وكيوكو إلى طوكيو، وبعد أن قمنا بزيارة أقاربها توجهنا إلى المكتبات».

«لتفتشوا في الجرائد؟».

نشرت جريدة سيتي جوفرمنت الشهرية بانتظام قوائم بأوصاف الجثث المجهولة الهوية. احتوت عموداً بعنوان (الموتى المجهولون). لابد أنهم اختاروا هذا العنوان بترو تجنباً لاستخدام مفردات أخرى مثل (متشرد) أو (تائه). كان هونما يلجأ في مجال عمله إلى تصفح هذه الجرائد أحياناً.

إنها مهمة بائسة وتستغرق وقتاً طويلاً، إذ عليك أن تبحث وتدقق في قائمة لانهائية من الأشخاص المجهولين الذين لا يعرف عنهم إلا

مكان وفاتهم وتاريخها: ذكر- الاسم والعنوان غير معروفين- العمر 60-65 سنة - الطول 6,5 قدم - نحيف - يلبس ثياب وحذاء عامل. إنه مثل الطواف بمقبرة مليئة بقبور لم يكتب عليها أي شيء.

قال كوراتا وهو يحدق في المطر: «لن أنسى ذلك أبداً، كانت كيوكو جالسة إلى طاولة في المكتبة تدقق في الجرائد باحثة عن أي مواصفات يمكن أن تتطابق مع صفات والدها... لا، بل كان الأمر أسوأ من ذلك».

كان صوته ضعيفاً ومتوتراً.

«بقيت هناك تقلب في الصفحات لساعات وساعات، يوجد الكثير من البيانات ويبدو أنها نسيت وجودي كما نسيت أي شيء آخر في الغرفة لأنني سمعتها تهمس لنفسها قائلة: «أرجوك كن ميتاً، أبي أرجوك، كن ميتاً». إنه والدها! لقد صدمتني بشدة... عندها اكتشفت أي نوع من البشر كانت كيوكو. لقد تحطم شيء ما داخلي».

لا يهم كم مرة قال لنفسه إنه يحبها، فرؤيتها وهي تفتش في قوائم الموتى المجهولين بحثاً عن الجثة المناسبة كان أصعب من أن يستوعبه شاب ترعرع في بيت مليء بالمحبة والطمأنينة. ومن يقدر أن يلومه؟

بضربة واحدة، أنهت كيوكو الحياة التي حلما بها وحطمتها إلى أجزاء صغيرة.

قال كوراتا بصوت مرتجف: «قلت لها انظري إلى نفسك جيداً في المرآة، أنت شريرة».

إحساس هونما كان في محله، لقد كانت كيوكو وحيدة تماماً، فالأشباح التي لازمتها في النهاية أبعدت كل من حولها.

أصبح صوت كوراتا الآن أعلى من الهمس بقليل: «بعد ذلك بأسبوعين تقريباً تطلقنا بشكل رسمي».

في أيلول 1987، أي بعد ثلاثة أشهر فقط. هذا ما قصدته بأنها تزوجت في سن صغيرة، ولكن الزواج لم ينجح، كما قال وادا.

«أظنها عادت إلى ناجويا بعد أن انفصلنا لتبحث عن عمل».

لابد أن أوراقها عادت أيضاً إلى سجلها العائلي الأصلي في موريياما، وهذا أمر يمكن التحقق منه بسهولة. وبعد سنة وجدت عملاً في أوساكا، وهكذا عادت إلى القلق والتوتر مرة أخرى.

قال كوراتا باستهتار: «ولم أعرف ماذا حل بها بعد ذلك».

ثم أضاف: «لكن أتعلم، عندما تزوجنا قالت إن لديها صديقة وتريد أن تخبرها بزواجنا. أذكر أنها أرسلت لها بطاقة بريدية. أظن أنها فتاة أكبر منها وكانت قد ساعدتها عندما كانت تعمل بدوام جزئي في ناجويا. لابد أن العنوان لايزال معي في البيت، لكن ربما تكون انتقلت».

جعل المطر الخفيف المستمر الشوارع تبدو خالية، فانطلقت سيارة الأجرة بسرعة نحو إحدى الفلل التي تحيط بها حديقة أكبر من المشروع السكني الذي يعيش فيه هونما. شجيرات السرو التي كانت تسيج المكان بدت نظيفة ومبللة، أما البوابة فقد كانت فخمة جداً وقد علقت فوقها، تحت بلاطات السقف الرمادية اللون، لافتة مكتوب عليها بخط اليد (سو مون– بوابة الابتسام) وإلى جانبها حبل قصير يستخدم تعويذة شنتوية كان لافتاً للانتباه.

رأى هونما أن عليه أن ينتظر في الخارج، وبعد خمس دقائق رجع

إليه كوراتا حاملاً بيده ورقة صغيرة من تلك الأوراق التي تدون عليها الملاحظات ومظلة بلاستيكية في اليد الأخرى. عندما فتحت البوابة ثم أغلقت، لمح هونما في الممر المفروش بالحصى دراجة حمراء صغيرة ذات ثلاث عجلات. لابد أنها لابنة كوراتا الصغيرة.

أعطاه كوراتا الورقة أولاً ثم المظلة وقال له: «لم أعرف إن كنت تملك مظلة أم لا، لكن إن لم تحتج إليها في طوكيو، فتخلص منها في المحطة».

شكره هونما ثم تذكر أن يسأله عن الحبل.

«أوه، إنه تقليد يقوم به الناس هنا».

«شيء تقومون به في آيسي شرين على ما أعتقد؟».

«هذا صحيح، وهو أول شيء لفت انتباه كيوكو أيضاً. كانت تؤمن بالخرافات، فإذا أرادت أن تدق مسماراً في الحائط، قرأت الصلوات مخافة أن يلحق بها الحظ السيئ».

كان هذا أول شيء يقوله ببعض التأثر عن المرأة التي كانت زوجته، ولو باختصار.

ثم أضاف: «لكن الصلوات لم تنجح بإبعاد محصلي الديون».

ويبدو أنه لم يكن بوسع أي شيء فعل هذا.

## ✧ 24 ✧

قال كوراتا إن اسم الفتاة هو كارو سودو، وعنوانها الذي لديه كان في ناجويا- منطقة موريياما، لكن لم يتمكن العاملون في خدمة الاتصالات من إيجاد رقم هاتف لها، لذا وجب على هونما أن يذهب هناك بنفسه. ركب القطار السريع في الصباح التالي وأمضى طول النهار تقريباً وهو يفتش في ذلك الحي، إلى أن أخبره أخيراً الصبي الذي يوزع الجرائد بأن الآنسة سودو انتقلت من الحي قبل سنتين، فلم يبق أمامه خيار إلا أن يطلب من فوناكي خدمة أخرى، وهي أن يجد له عنوانها الجديد. ثم رجع إلى طوكيو مباشرة ليصل إلى هناك بعد منتصف الليل.

كان مصباح المطبخ مضاء وتاموتسو جالساً هناك إلى الطاولة، إلا أنه لم ينتبه لعودة هونما. إنه يتابع التحقيق مع الأشخاص الذين عملت معهم شوكو في شركة كاساي ونادي جولد ولاهاينا. كما قام ببعض التحريات في الأحياء التي سكنت فيها مثل مجمع كاواجوتشي السكني وكاسل مانشن كينشيتشو.

صاح هونما: «لقد عدت».

أجفل تاموتسو فقام بحركة مفاجئة وضربت ركبتاه أسفل الطاولة، عندها ضحك وهو يحاول منع الكتاب من السقوط على الأرض.

كان من عادة هونما أن يتصل بالبيت مرة واحدة في اليوم على الأقل عندما يكون في الخارج، واليوم عندما رد إيساكا على الهاتف راح يحدثه عن تاموتسو ضيف جيد، خجول، ولطيف حتى إنه غسل الأطباق.

«إنه لطيف مع ماكوتو خصوصاً، فبعد حادثة الكلب أصبح الصبي مكتئباً حقاً، ولكن منذ أن جاء تاموتسو إلى هنا أصبح أكثر نشاطاً».

فرح هونما لسماعه هذا الكلام، فمنذ أن مات الكلب بلوك هيد وهو لا يعرف كيف يتعامل مع ابنه.

قال هونما لتاموتسو: «تبدو مستغرقاً جداً، ماذا تقرأ؟».

«هذا». وقلب الصفحات قليلاً ليريه الكتاب.

«يبدو مثل كتاب المذكرات المدرسية».

أومأ تاموتسو: «أجل، كتبي وكتب شوكو لقد حصلت عليها كلها: الحضانة، والمدرسة الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية».

وضعت أربعة كتب مختلفة الألوان والأحجام فوق بعضها وفتح كتاب المدرسة الثانوية من الأعلى.

قال هونما وهو ينقل نظره في بحر من الوجوه اليافعة: «هل احتفظت بها طوال هذه المدة؟».

«لا، إنها كتب شوكو».

رفع هونما بصره ونظر في عيني تاموتسو نظرة حادة: «ستجد هنا في الصفحة الأخيرة إمضاءات جميع أصدقائها وقد كتبت شوكو اسمها في الوسط». (شوكو سيكين) كتبت الأحرف بيد ضعيفة، واهنة ومترددة وأحاطت بها مجموعة كبيرة من العبارات والأسماء.

«من أين حصلت عليها؟»

فلم يكن لها أي أثر من شقة كاواجوتشي، وكما قالت السيدة نوبوكو، إن الصور والمذكرات هي من الأشياء التي يأخذها المرء معه عندما يهرب في منتصف الليل. ومن المؤكد أن كيوكو كانت تدرك خطورة ترك مثل هذه الأشياء وراءها. كما إنه لم يجد أي كتاب مذكرات عندما فتش شقة هونانتشو برفقة جان.

«في الواقع لقد كانت هذه الكتب في مكان غير متوقع، لدى إحدى زميلاتنا في المدرسة واسمها يومي والتي كنا نمضي أوقاتنا معها. اسمع، يبدو أنه عندما بدأت أسأل أصدقاءنا القدامى عن شوكو، انتشر الخبر ووصل إلى يومي فحاولت الاتصال بي لتخبرني بأن لديها مذكرات شوكو، ثم أحضرتها إلى بيتي وقامت والدتي بإرسالها إلى هنا».

«هل قامت شوكو بإعطائها لهذه الفتاة؟».

«لا، وهذا هو الغريب في الأمر».

ثم تناول مغلفاً مفتوحاً من أحد أطرافه وقد غطاه الغبار بسبب الإهمال الطويل، وفي داخله رسالة مطبوعة على ورقة رسائل ومكتوبة باستخدام الكمبيوتر.

عزيزتي يومي:

أعتذر لأنني أعرف بأنني فاجأتك. أنا متأكدة أنك دهشت عندما رأيت هذا الطرد الكبير ولكنني أريد أن أطلب منك معروفاً، هل تمانعين بأن تحتفظي بمذكراتي المدرسية لديك لبعض الوقت؟

أعتقد بأنك سمعت بأن أموري لا تسير بشكل جيد هنا في طوكيو، إنني تعيسة جداً هنا، حتى إنني لا أعرف لم أنا لست سعيدة. الآن

وبعد أن توفيت والدتي وبقيت وحدي، أعلم أنه يجب عليّ أن أحاول تنظيم حياتي أكثر، لكن في كل مرة أرى هذه المذكرات المدرسية أتذكر الفوضى التي عشتها، ومع هذا لم يطاوعني قلبي على رميها في أسفل الخزانة، فهل يمكنك الاحتفاظ بها من أجلي. لطالما كنت أفضل صديقة لديّ؟ يوماً ما عندما أتمكن من النظر إليها والشعور بشعور جيد حيال نفسي، سآتي لأخذها ولكن حتى ذلك الوقت هل يمكنك الاعتناء بها؟

وشكراً،

شوكو

قرأ هونما الرسالة مرتين ثم تناول كتاب المدرسة الثانوية وفتح صفحة الإمضاءات «لنبق أعز صدقتين دائماً وأبداً» يومي نومورا. وتحت هذه الجملة المكتوبة بأحرف مدورة رسم خط من الدموع المتساقطة: إنها التمنيات الأخيرة لفتاة مرهفة الحس.

«كيوكو شينجو هي من أرسل هذه المذكرات المدرسية إلى يومي».

ولكن كيف يمكنه أن يكون متأكداً إلى هذه الدرجة؟ لقد ذكر في الرسالة أن الأم ماتت، وهذا يعني أن الرسالة كتبت بعد تشرين الثاني 1989.

«متى استلمت يومي هذه المذكرات؟».

أخرج تاموتسو دفتر ملاحظاته: «لقد رمت يومي الورق الذي لف به الطرد، لذلك لم تستطع أن تتحقق من الختم البريدي، لكنها تظن أن

ذلك حدث في الربيع الذي جاء بعد وفاة والدة شوكو مباشرة».

في ربيع عام 1990، اختفت شوكو من مجمع كاواجوتشي السكني في 1990/2/17. إذا كان الطرد قد أرسل قبل هذا التاريخ، فهذا يعني أن شوكو أرسلته بنفسها. أما إذا كان هذا قد حدث بعد ذلك، فستكون كيوكو هي التي قامت بإرساله.

«قالت يومي إنها كانت قد أخرجت ثياب الربيع والصيف لتوها، وهي متأكدة من ذلك لأنها وجدت حيزاً في الخزانة لتضع فيه هذه الكتب، وهكذا عرفت بأن شوكو لم تقم بإرسالها».

«لكن من الصعب أن تحدد الوقت الذي يقوم الناس فيه بخزن ملابسهم الشتوية. يمكن أن يحدث هذا في آذار وربما في نيسان».

«إن الطقس في أوتسونوميا أكثر برودة من طوكيو، لا أحد يفعل هذا في آذار، صدقني».

تحدَّث تاموتسو بثقة كبيرة، إلا أن هونما لم يستطع أن يفهم السبب وراء تأكده إلى هذا الحد، فلكل أسرة عادات خاصة بها.

«هل هناك أمر آخر؟ هل قالت أي شيء يمكن أن يساعدنا في تحديد التاريخ؟».

قلب الصفحات بإبهامه مرة أخرى.

«كأن تكون قد نسيت أن تأخذ معها بطاقتها الشخصية التي تحمل عنوانها إلى مكتب البريد، ولذلك لم يسلموها الطرد؟».

«انتظر لحظة، هل تقصد أن أحداً لم يكن في البيت عندما وصل الطرد، لذلك اضطرت يومي للذهاب إلى مكتب البريد في اليوم التالي لإحضاره؟».

قال تاموتسو متلعثما: «نعم، أعتقد هذا. أظنني لم أشرح لك الأمر بشكل جيد، صحيح؟ عندما قرأت يومي الملاحظة التي تقول إن شوكو سيكين قد أرسلت لها طرداً بريدياً، لم تكن لديها أدنى فكرة ما الذي يمكن أن يكون بداخله، لذلك أسرعت في صباح اليوم التالي لإحضاره. ولما فتحته ورأت المذكرات المدرسية، شعرت بشيء من الإحباط».

«هل أفهم من كلامك أن عائلة يومي لا تعيش معها في البيت نفسه؟».

«إنه محل، لذلك لابد أن يكون فيه أحد باستمرار، لكن في ذلك اليوم كان الجميع قد خرجوا بالصدفة».

«ولم كانوا جميعاً في الخارج يومها؟».

«دعنا نرى إن كنت سألتها؟» تفقد تاموتسو ملاحظاته وبعد عدة دقائق حك رأسه وقال معتذراً: «لا، لم أسأل عن السبب».

فكر هونما قليلاً ثم سأله: «هل يمكن أن ألقي نظرة على دفتر الملاحظات هذا الذي تحمله معك أينما ذهبت؟»

ارتبك تاموتسو قليلاً: «لا، لا بأس، إن خطي ليس»...

لم يكن خطه أكثر الخطوط التي رآها هونما وضوحاً، وقد كتب التاريخ والموضوع في رأس كل صفحة.

«ملاحظات يومي» كانت الأسئلة والأجوبة مرتبة في البداية، لكن بعد أن احتدمت المناقشة بدأت الأسطر تتطاير هنا وهناك، كأن الكتابة كانت تعاني من انعدام الجاذبية. وعلى الرغم من هذا، قام تاموتسو بعمل جيد. في إحدى الزوايا كتب عبارة وحيدة «انزعجت يومي».

وفوقها من جهة اليمين كتب هذه الكلمات الغريبة «شاي الهايدرانجيا الحلو».

أشار هونما إلى الصفحة وقال: «ما هذا؟».

«في طريق عودتها من مكتب البريد رأت يومي أنهم يقدمون الشاي الحلو في المعبد. إنها بدينة بعض الشيء ولا يمكنها أن تقاوم أي شيء حلو المذاق. هذا كل ما تحدثت عنه، اليوم أكلت هذا، البارحة تناولت ذاك».

ابتسم هونما وقال: «أعتقد أن هذا سيوصلنا إلى شيء ما، لقد توقفت في المعبد وهي عائدة من مكتب البريد وتناولت شاي الهايدرانجيا الحلو، هل هذا ما قصدته؟».

«تماماً».

«يقدمون هذا الشاي في المعبد في يوم واحد كل سنة وهو يوم ميلاد بوذا في 8 نيسان».

«هذا يعني»...

«لقد أرسل الطرد في اليوم السابق أي في 7 نيسان، وهذا يعني أن شوكو لم تقم بإرساله».

قال تاموتسو مبتهجا: «لقد قمت بعمل جيد، أليس كذلك؟».

اتضح من كتاب المذكرات المدرسية أن شوكو سيكين ويومي نومورا كانتا في الصف نفسه والفئة نفسها. فقد ذكر هذا في فهرس الكتاب وفي قائمة أسماء الطلاب «السنة الثالثة، الفئة ب». هذا بالإضافة إلى عبارة «لنبق أعز صديقتين» في صفحة الإمضاءات. ألم يكن هذا كافياً لجعل كيوكو تقرر إرسال المذكرات إلى يومي؟

وحسب الرسالة، فقد علمت كيوكو بأن أهل البلدة قد سمعوا بمشاكل شوكو، وربما أخبرتها شوكو هذا بنفسها في خلال التجول في المقبرة. فالناس في بعض الأحيان يشعرون بالراحة عند التحدث إلى الغرباء، مثل سائق التكسي أو الرجل الجالس في المقعد المجاور في الحانة. يقولون لهم أشياء لا يستطيعون البوح بها لأصدقائهم المقربين، وخصوصاً في المقبرة، فما الذي يمكن أن يتحدث عنه المرء في مكان كهذا غير الأمور المحزنة التي حدثت في حياته؟ ومن المحتمل أن تكون كيوكو قد استدرجتها لتحكي لها مثل هذه القصة.

ولكن لماذا لم تأت على ذكر مسألة الإفلاس؟ هل رأت أنه موضوع خطير وأهم من أن يذكر في حديث عابر؟

المضحك في الأمر، أنها لو تحدثت عنه لكانت بقيت على قيد الحياة، تسكن في شقة كاواجوتشي وتعمل في لاهاينا.

«عندما استلمت يومي هذه الكتب، هل انتبهت إلى عنوان المرسل؟ هل سألتها عن ذلك؟».

هز تاموتسو رأسه: «بالطبع سألتها، لكنها لم تتذكر، قالت إنه مكان ما في سايتاما».

إذاً ربما يكون مجمع كاواجوتشي السكني.

«هل تحدثت عن الشعور الذي انتابها عندما وصلها هذا الطرد فجأة؟».

«قالت إنها اندهشت». ثم أشار إلى العبارة «لنبق أعز صديقتين دائماً وأبدا!» وقال:

«في الحقيقة إن هذا السطر مبالغ فيه قليلاً».

«هل تقصد أنهما لم تكونا صديقتين حميمتين؟»

«كانت علاقتهما جيدة، لكن في الوقت نفسه لم تكونا مقربتين من بعضهما إلى هذه الدرجة، كل ما هنالك أنهما حظيتا معاً ببعض الإثارة والبهجة عند التخرج حتى إن يومي قالت بعد أن قرأت الرسالة إن شوكو هذه جريئة جداً»... ثم طرق في الأرض وقال:

«وبعد أن توضحت الأمور الآن، وقبل أن أعرف أي شيء عن التاريخ، أول ما خطر لي هو أن شوكو لا يمكن أن ترسل مثل هذه الأشياء إلى يومي».

تكلم تاموتسو بهدوء وثقة: «وعندما قرأت تلك الرسالة أيضاً، فكرت... لا، لا يمكن أن تكتب شوكو هذه الكلمات».

«لم لا؟».

«لا تهتم شوكو بالماضي بهذا الشكل. ليست من ذلك النوع من الفتيات اللواتي يتصفحن المذكرات المدرسية وينتحبن لأن الحياة الآن لا تسير على خير ما يرام. كانت دائماً تقول إنها لم تكن سعيدة على الإطلاق أيام المدرسة».

هذا منطقي جداً، فكر هونما. إن طفولتها التعيسة تفسر لنا لم تلهفت جداً لتحقق شيئاً ما في حياتها. لكنها ولسوء الحظ اختارت الطريق الخطأ لتسعى وراء أحلامها. فبدلاً من أن تعمل بجد كي تصنع من نفسها شخصاً ما، قامت بشراء مرآة تريها نفسها كشخص آخر.

«لقد ماتت شوكو، يجب أن أعترف بهذا في النهاية، فمن المستحيل أن تكون هي من فعل هذا».

تكلّم تاموتسو بنبرة كئيبة واستسلامية: «لقد عرفت أنها ماتت في

اللحظة التي رأيت فيها هذه المذكرات المدرسية».

ثم شد على قبضتيه بقوة، لكن ليس غضباً أو حزناً بل بدا وكأنه يقبض على ذكرياته معها.

بعد ذلك طلب من هونما أن يخبره بكل شيء عرفه عن كيوكو شينجو وجلس يستمع من دون أن ينبس ببنت شفة، ولما انتهى هونما، كل ما استطاع تاموتسو قوله: «إنها امرأة غريبة».

«ماذا؟».

«كأن كل ما فعلته لم يكن كافياً حتى قامت بإرسال كتب المذكرات هذه لصديقتها القديمة، لم لم تتخلص منها فحسب؟ لم وجب عليها أن تظهر بأنها تشعر بالأسف من أجل شوكو؟».

وفجأة دفع كرسيه للخلف ونهض بحركة سريعة متجهاً نحو الشرفة المظلمة. وقف خارجاً وأسند ظهره إلى النافذة. كانت حبال الغسيل مشدودة فوق رأسه بشكل أنيق. لقد أعطى ظهره لهونما، فالتصقت سترته البيضاء بزجاج النافذة وبدت مثل الشبح. لكنه بدا أكثر صلابة من أن يكون شبحاً، وفي الوقت ذاته كان فارغاً من الداخل، وحيداً.

لم يكن من السهل تتبع أثر صديقة شوكو التي تعيش في ناجويا. فقد حاول فوناكي الاتصال بشرطة أوتسونوميا المحلية، غير أنهم اعتذروا عن مساعدته لانشغالهم بأمور كثيرة. وفي الحقيقة، لم يكن لفوناكي نفسه متسع من الوقت ليقوم بدور الوسيط. وهونما كان يعرف بأنه يراكم الديون على نفسه الواحد فوق الآخر، إلا أن فوناكي تقبل الموضوع برحابة صدر.

غير أن هونما قام بحلّ لغز عملية السطو المسلح التي عمل فوناكي

عليها. فقد تبين أن الجريمة حدثت كما توقع هونما تماماً. اعتقلوا زوجة رجل الأعمال المقتول وإحدى زميلاتها القديمات في العمل. لقد قتلتاه بهدف الحصول على أملاكه وأعماله.

قال له فوناكي: «أنت عبقري». كان بمقدور هونما أن يرى وجهه المبتهج حتى عبر الهاتف.

«كيف أوقعتم بهما؟».

«لقد وضعناهما تحت المراقبة المستمرة، وفي النهاية انهارت أرملة الرجل المقتول. لقد استدعيناها للتحقيق، وهكذا بكل سهولة اعترفت عندما وجهنا لها الاتهام، لكنك بالتأكيد قدمت لي الكثير من الأفكار».

«أنت تقول هذا في كل مرة».

«هذا صحيح هذه المرة، بالمناسبة، احزر أين كانت الزوجة الشابة عندما اقترحت على صديقتها أن تساعدها في التخلص من زوجها؟».

لن يكون فوناكي سعيداً جداً إذا عرف هونما الإجابة، وهونما بدوره كان يعرف هذا، لكن قبل أن يتمكن من الإجابة قال فوناكي: «في جنازة».

«جنازة من؟».

«المديرة السابقة، رئيسة القسم، إنها في الثامنة والثلاثين وقد أصيبت بالسرطان. فبينما كان الكاهن يرتل العظة، كانتا جالستين تخططان للتخلص من الزوج».

«إن هذا يبدو لي تطبيقاً حرفياً لنظرية بوذا حول المؤقَّت والسريع

الزوال».

غير فوناكي الموضوع: «هيه، كيف تسير الأمور معك؟ هل أحرزت أي تقدم؟».

عندها قدم له هونما ملخصاً سريعاً عن الأحداث.

قال فوناكي بكدر: «إن إيجاد كيوكو شينجو هو الأمر الأهم، لكنك بحاجة إلى جثة أيضاً».

«أجل».

«هل قدمت طلباً رسمياً لشرطة ياماناشي للحصول على معلومات عن تلك الجثة المقطعة؟».

«ليس بعد. أنا متأكد نوعاً ما بأنها هي، ولكن هذا يبقى مجرد إحساس. كما أنني أعمل الآن عميلاً خاصاً».

إنه بحاجة إلى دليل قوي قبل أن يطلب القيام بإجراءات رسمية مثل رفع البصمات.

«اسمع، المرأة (أ) اختفت، ويبدو أن المرأة (ب) التي انتحلت شخصيتها هي التي قتلتها، لكنها اختفت هي الأخرى أيضاً من دون أي أثر. فكيف لي أن أطلب من الشرطة المحلية أن تساعدني في قصة كهذه؟».

«لو امتلكت أي شيء يثبت أنها صاحبة الجثة. هل قلت إن شوكو تلك كانت لديها أسنان معوجة؟ إنها صفة مميزة».

«لكن الرأس»... كان فوناكي يفكر: «إننا نبحث في كومة قش، لن تتمكن من إيجاده أبدا».

«حقاً؟ في الواقع، سوف يدهشك ما سيحدث».

«لماذا؟ ماذا لديك؟»

قال هونما مقتبساً كلام تاموتسو: «إن كيوكو شينجو هذه امرأة غريبة، لديها ذلك... ماذا يمكن أن نسميه؟... مسحة أخلاقية؟ جانب وجداني؟ فبالنسبة لتلك المذكرات المدرسية كان بإمكانها أن ترميها بعيداً، لكن لا، لقد كبدت نفسها عناء إرسالها إلى زميلة قديمة من أيام المدرسة، وبالإضافة إلى كون هذا عناء إضافياً لها، من يعلم؟ كان من الممكن أن يكتشف أمرها أيضاً».

«أجل، أوافقك الرأي»...

«لا يبدو تصرفها منطقياً، وكأن لديها مفاهيم خاصة، فقد كانت جميع تحركاتها محبوكة ومدروسة جيداً، وفجأة أصبحت إنسانية عندما تعلق الأمر بالمذكرات المدرسية. إنها متناقضة بعض الشيء».

إن ما قاله زوج كيوكو السابق عن كونها تؤمن بالخرافات قد علق في ذهن هونما.

«دعنا نناقش الأمر. لنقل إنها بعد أن قتلتها قامت بتقطيع الجثة لتتخلص منها لكنها شعرت بأن الرأس يجب أن يدفن بشكل لائق».

«يبدو هذا مثل تقليد معين».

«إم م..».

سكت الرجلان للحظات ثم قال فوناكي فجأة: «لو كان الأمر يعود إليَّ، لفتشت قبر والدي شوكو».

ابتسم هونما مجاملة: «فكرة جيدة، لكن المشكلة أنه لا يوجد قبر».

لقد توفي والداها وهما معدمان ورمادهما محفوظ في جرة داخل

المعبد.

«حسناً إذاً. اشطب هذه الفكرة».

نام هونما في خلال الفترة التي اسماها إيساكا بـ (الهبوط التدريجي) في فرشته الخاصة لأول مرة منذ فترة طويلة. وكان قادراً على الاهتمام بماكوتو بشكل جيد وعلى حضور جلسات العلاج الفيزيائي كلها مع الطبيبة ماتشيكو. وفي هذه الأثناء، كان تاموتسو يخرج كل صباح ولا يعود إلا في المساء حاملاً معه المعلومات التي جمعها في خلال النهار. غير أنه لم يتوصل لأي شيء يساعد في تحديد مكان وجود كيوكو شينجو، فقد ركز بدلاً من ذلك على شكل الحياة التي عاشتها شوكو في طوكيو. وعلى الرغم من أنه قد حصل على بعض التفاصيل الصغيرة التي تربط كيوكو وشوكو معاً والتي لم تكن ذات أهمية في تلك المرحلة إلا أنه أصرَّ على الاستمرار. لقد كان مصمماً إلى أبعد الحدود. قال في مساء أحد الأيام:

«هناك أمر أريد أن أسألك عنه».

«ما هو؟».

قطب جبينه قليلاً: «سوف نجد كيوكو شينجو صحيح؟».

«أتمنى ذلك».

«أقصد أننا سنجدها ولن نسلم القضية إلى الشرطة».

«بالطبع لن نفعل إلا إذا لم ننجح في ذلك».

«عندما نفعل هذا، أقصد عندما نقابلها، أريد أن أطلب منك أن تسمح لي بأن أتحدث إليها أولاً، أريد أن أسمع ما ستقوله».

في اليوم الثالث بعد عودة هونما من آيسي تلقى اتصالاً هاتفياً

من وادا، المدير الشاب في شركة روزالين. قال إنه تحدث إلى بعض الأشخاص الذين كانوا يعملون مع كيوكو ولايزالون في الشركة. غير أنه لم يتوصل إلى شيء مهم يستحق الذكر. ومع هذا، فقد رأى أن عليه أن يتصل بهونما ليخبره بأنه لم ينس وعده له.

لقد بدأ اهتمامه بالقصة يصبح مريباً بعض الشيء، لكن هونما كان متأكداً إلى حد ما أن كيوكو تمكنت من الوصول إلى قاعدة بيانات شركة روزالين بمساعدته.

سأل وادا: «هل تحدثت إلى شريكتها في السكن؟ ماذا كان اسمها؟ أوه... نعم أواري تشينو».

كان هونما قد سجل موعد عودة أواري تشينو من رحلتها في مفكرته. إن الموعد في اليوم التالي: «ليس بعد، أظنها لاتزال في سيدني أو كانبيرا. أليس كذلك؟».

قال وادا وهو يتلعثم بكلماته: «آه، نعم هذا صحيح».

يبدو أنه لم يرد أن يتحدث هونما إليها. إلا أنه لم يضع أية معوقات ولم يقم أيضاً بخداع هونما. يا له من رجل غريب!

«سأتصل بها غداً، شكراً لسؤالك على أية حال. ربما أحتاج إلى الاتصال بك لاحقاً، إذا طرأ أي أمر».

يمكنك أن تعرف أن وادا كان قلقاً من أسلوبه المتردد حين قال: «حسناً». ثم أغلق الخط بهدوء.

ظنَّ هونما أنه من الأفضل أن يتصل بأوراي فور عودتها، وقبل أن يتحدث إليها وادا، لذلك قرر أن يتصل بها في الصباح. وبعد أن فكر في الأمر ثانية رأى أن يتركها ليوم واحد مع نفسها، فذلك سيكون

أكثر تهذيباً وربما أكثر فعالية. وهكذا قرر أن يتصل بها بعد عودتها من العمل في اليوم الثاني لوصولها.

عندما اتصل في المرة الأولى أجابه المجيب الآلي. أما في المرة الثانية، فقد أجابت هي نفسها. كانت متحفظة جداً في البداية لكنها أصبحت أقل حدة عندما سمعت باسم وادا، ولم يمض وقت طويل حتى بدأت تثرثر، فقالت مازحة: «أتعلم، يبدو أن السيد وادا لم يتمكن من نسيان كيوكو».

آها، ها قد بدأنا.

«حقا؟ هكذا إذاً؟».

«عندما سكنت كيوكو معي، قام بإيصالها إلى البيت عدة مرات، لكنها لم تذكر أبداً أنها كانت تهتم به أو أي شيء من هذا القبيل. أما هو، فقد بدا وكأنه يفكر فيها».

هذا يفسر لنا سبب توتر وادا الشديد عند اتصاله. ربما أمِل أن يتمخض بحث هونما عن أمور تزيد من فرصه معها.

«عندما كنا أنا وكيوكو نعيش معاً، كنا حريصتين على عدم التدخل بشؤون بعضنا الخاصة ولهذا السبب أنا حقاً لا أعرف الكثير عنها، ثم إننا كنا نسافر في الإجازات».

رفع هونما حاجبيه: «كانت كيوكو تسافر في العطلات؟».

«أجل، لكن لا أعرف إلى أين بالضبط.

لكنها كانت رحلات طويلة نوعاً ما».

«هل كانت تملك»...

«رخصة قيادة؟ أجل... لكن السيارات التي قادتها كانت دائماً

مستأجرة».

«هل كانت تذهب برفقة أحد ما؟».

« كانت تذهب وحدها غالباً... أظن».

لا بد أنها قامت برحلات استطلاعية لتجهز نفسها من أجل التغيير.

«أنت أيضاً تعملين في شركة روزالين، صحيح؟».

«نعم، في قسم الكمبيوتر فأنا أهتم ببيانات الشركة».

كانت دهشة هونما عظيمة لدرجة أنه لم يتمكن من الكلام، لأن أوراي بعد لحظات بدأت تقول بقلق: «هيه؟ سيدي؟ مازلت هنا؟».

«لحظة من فضلك، أنت تعملين في غرفة الكمبيوتر؟» لكن وادا قال إنها موظفة عامة. إذاً إنه يكذب حتى ولو كانت كذبة صغيرة نسبياً وليست مؤذية.

«هذا صحيح. أنا أنظم المعلومات الواردة من روزالين، مينامي غرين جاردن، وبقية الشركات».

«وأين تعملين بالضبط؟».

«في قسم الكمبيوتر داخل مقر مكاتب ميتومو جروب، لقد تعرفت إلى كيوكو عن طريق المجلة فقط».

«المجلة؟».

«كنت قد وضعت إعلاناً أطلب فيه شريكة للسكن في المجلة الدورية الخاصة بالشركة، فلا أنا ولا هي كنا قادرتين على تحمل نفقات السكن». ثم تابعت تقول:

«إن عملي يحتاج إلى أشخاص اختصاصيين، لذلك لم يكن الراتب

سيئاً، أما كيوكو فقد كانت متدربة فحسب، ولم أكن متأكدة إن كانت ستقدر على هذا، لكنها بدت جدية بما يكفي، فقلت لها لا بأس».

«آنسة تشينو، أخشى أني سأطرح عليك سؤالاً صعباً نوعاً ما».

«تفضل».

«هل طلبت منك كيوكو يوماً أن تسربي لها بيانات الزبائن؟».

يبدو أن السؤال صدمها لأنها صمتت ثم انفجرت ضاحكة: «لا، ولكن لماذا تطلب مني مثل هذا الطلب؟».

«إذا طلب منك أحد أن تقومي بهذا العمل، فهل يمكنك فعل ذلك؟».

«بالطبع، يمكنني».

كانت لاتزال تضحك: «لكن إذا انتشر الخبر سيلقون بي إلى الشارع وربما لن أتمكن من العمل في مجال الكمبيوتر مرة أخرى في هذه البلدة».

طبعاً، لم يكن هونما يتوقع أن تكون كيوكو قد اعتمدت في خطتها وبشكل رئيسي على شريكتها في السكن والتي قابلتها للتو، لكن من الأفضل أن يتأكد.

«ماذا عن السيد وادا؟ هل تعتقدين أنه يمكن أن يقوم بهذا في حال طلبت منه كيوكو ذلك؟».

أجابت مباشرة: «بلا شك». ثم نفت ذلك بسرعة: «لكن هذا لم يحدث».

«ولم لا؟ إنه يجيد استخدام الكمبيوتر أليس كذلك؟».

ضحكت أواري: «أوه، إنه يتباهى كثيراً أمام العملاء، لكنه في

الحقيقة لا يملك تصريحاً للدخول إلى غرفة الكمبيوتر».

بدا واضحاً أن وادا، من وجهة نظرها، كان مجرد هاو غير محترف.

«أعتذر لإلحاحي على هذه النقطة، لكن كيف بدت كيوكو فيما يخص استخدام الكمبيوتر؟ هل كانت تستطيع أن تعبث بنظام شركة روزالين وتستخرج بيانات الزبائن بنفسها؟».

«هل تريد القول إن هذا ما حدث بالفعل؟».

«لا، أنا أفترض فقط. عندما كانت تعيش معك هل بدت لك شخصاً خبيراً يمكنه القيام بأمر كهذا؟».

أجابته في الحال: «كيوكو لم تكن تفقه شيئاً في الكمبيوتر، اسمع يا عزيزي، إذا كانت كيوكو قادرة على سرقة المعلومات من الكمبيوتر فإنني، إذا تزوجت يوماً ما، فسألبس ثياب رامبو بدلاً من ثوب الزفاف».

ضحك هونما ضحكة سريعة، لكن كيف حصلت على بيانات شوكو؟

ثم قال محاولاً الانتقال إلى موضوع آخر: «كيف كانت فيما يتعلق بأمور السكن؟».

«في السكن؟».

«أقصد هل كانت مرتبة؟ أم فوضوية؟ هل كانت تنظف البيت؟».

«أوه... فهمت الآن، لقد كانت فتاة طيبة وحكيمة في الأمور المالية بالإضافة إلى كونها طباخة جيدة. فقد كانت تعد أفضل أرز مقلي من بقايا الطعام الموجودة في الثلاجة».

هنا تذكر هونما شفرات مروحة المطبخ اللامعة التي شاهدها في شقة هونانتشو.

«هل كانت تستخدم الغازولين لإزالة الدهون عن مروحة المطبخ؟».

اندهشت أوراي «كيف عرفت هذا؟».

«أخبرني شخص كان يعرفها عن هذا الأمر».

«من بين كل تلك الأمور لم أكن أحبه وكنت أكره رائحته التي تنتشر في البيت، بالإضافة إلى خطورة الاحتفاظ بالغازولين في مكان قريب. طلبت منها أن تستخدم سائل التنظيف. لكن لا. كانت تحتفظ بزجاجة الغازولين في الشرفة دائماً. لم يكن خطراً إلى هذه الدرجة على ما أظن، لكن من يعلم ماذا يمكن أن يحدث خاصة بوجود أكوام من الجرائد».

يبدو أن هذا قد ذكرها بأمر ما.

«أجل تذكرت الآن، لقد اعتادت أن تقرأ جريدة طوكيو».

«أية واحدة؟».

أخذت تتمتم في سرها: «أساهي؟ أم يومي يوري؟ أجل يومي يوري. أذكر أني قلت لها إن أوساكا يومي يوري ممتعة أكثر ومن السهل الحصول عليها، لكن لم أعرف لم فضلت طبعة طوكيو؟».

«بماذا أجابت؟».

«إم م... لقد نسيت ما الذي قالته».

يبدو أن كيوكو أرادت أن تعرف كل شيء عن طوكيو قبل أن تذهب للعيش هناك منتحلة شخصية شوكو سيكين. ربما كان لهذه

المدينة تأثير كبير عليها والجرائد كانت الطريقة الوحيدة لتقول لنفسها إن حياة جديدة في طريقها إليها، ولهذا السبب كانت تطلع كل مساء على الأحداث التي جرت في طوكيو خلال النهار.

«متى بدأت بقراءة يومي يوري؟».

فكرت أوراي قليلاً: «بعد أن انتقلت إلى الشقة مباشرة على ما أظن، وأحياناً كانت تقوم بقص بعض المقالات لتضعها في ملف القصاصات الخاص بها».

كانت هذه المرة الأولى التي يسمع بها بملف القصاصات هذا: «أي نوع من المقالات؟ هل تذكرين؟».

«لا أعلم، ربما وصفات للأكل، في الحقيقة لم أكن أهتم كثيراً».

وهكذا أوصاها هونما بأن تتصل به إذا ما تذكرت شيئاً في وقت لاحق ثم أغلق الخط.

لقد بقي اللغز لغزاً. حتى بالنسبة لشريكة السكن التي كانت تتناول الطعام معها على طاولة واحدة ولعدة أشهر. لكن على الرغم من هذا، كانت صورة كيوكو تتضح شيئاً فشيئاً: عملها في شركة روزالين، انتقالها للسكن مع أوراي التي تعمل في قسم الكمبيوتر، علاقتها بوادا وجعلها كل الأمور ملائمة لخطتها. لكن كيف جمعت المعلومات عن شوكو، أيجب عليه أن ينسى أمر وادا تماماً؟

قال فجأة ومن دون أن ينتبه إلى أنه كان يفكر بصوت عال: «لقد سئمت».

فسأله ماكوتو، الذي كان جالساً خلفه تماماً يكتب فروضه المنزلية «سئمت من ماذا؟ هل هذه لعبة؟».

«هيه، يبدو مزاجك جيداً».

ابتسم الصبي، فهو منذ أن مات بلوك هيد لم يتوقف عن البكاء ولم يعرف هونما ماذا يفعل معه، لذلك ذهب إلى العمة هيسي عله يحصل على بعض العطف، وهكذا ارتاح هونما من ذلك العبء الثقيل.

«لا مزيد من الدموع إذاً؟».

«أحياناً، عندما لا أستطيع منع نفسي، على كل حال لقد قالت العمة هيسي إنني إذا بكيت كثيراً فستؤلمني أذناي». ثم تابع يقول: «أتعلم ماذا، لقد قررنا أنا وكازي أن نصنع قبراً لبلوك هيد».

ارتبك هونما. ألم يقل إيساكا إنهم بحثوا عن الكلب في كل مكان ولم يعثروا على جثته؟ لكن يبدو أن ماكوتو أحس بذلك فأضاف:

«سنقوم بدفن الطوق».

«الطوق؟»

«أجل، فكما تعلم، كان لدى بلوك هيد طوقان وعندما اختفى كان يلبس طوق الحماية من البراغيث، ومازال لدينا الطوق الجلدي الرائع الذي يحمل اسمه».

«وأين ستدفنوه؟».

«لا أعرف بعد. كازي يقوم الآن بالبحث عن مكان جيد. هل تعتقد أن مشرف البناية سيغضب إذا قمنا بدفنه في ساحة ميناموتو؟».

«ربما لا تكون هذه الفكرة جيدة، لكنه قبر على أية حال».

«أجل، لقد توقعنا ذلك... قال تاموتسو إنه سيصنع شاهداً للقبر».

من الواضح أنه يكن محبة كبيرة لتاموتسو.

«أخبرني العم إيساكا أن بلوك هيد سيعتني بوالدتي من الآن فصاعداً».

ابتسم هونما، أحسنت يا إيساكا.

«وسيكون لديه مكان واسع ليلعب فيه».

نظر ماكوتو إلى صورة والدته فوق المذبح البوذي وقال: «أبي؟».

«نعم؟».

«لم قام ذلك الفتى البغيض، تازاكي بقتل بلوك هيد؟».

«لا أعرف يا بني، ما رأيك أنت؟ حاول أن تضع نفسك مكانه».

راح ماكوتو يؤرجح رجليه للأمام وللخلف وهو يفكر ثم قال:

«ربما كان يحس بالملل».

«الملل؟».

«أجل، إن أهله لم يسمحوا له بإحضار كلب إلى البيت».

إنه الصبي نفسه الذي قال إن تربية الكلاب في البناية أمر غير مسموح به. وإذا لم يعجب هذا الأمر ماكوتو، فعليه أن يطلب من أهله شراء بيت حقيقي له.

«يتحدث الجميع في المدرسة حول هذا الموضوع، حتى إن العم إيساكا سمع من الجيران أن والدّي تازاكي رفضا إحضار كلب إلى البيت، وأن والدته قالت إنهم تكبدوا الكثير من العناء حتى أمنوا المال لشراء هذا البيت لذلك تخاف هي أن يخربه الكلب».

«إذا ربما لم يكن تازاكي يريد حقاً أن يقتل بلوك هيد؟».

«ماذا تقصد؟».

«من المحتمل أنه كان يفضل الاحتفاظ به لكن أسرته لم تسمح

بذلك، ولهذا لم يكن يريد لكازي أن يحصل على كلب في حين هو لا يستطيع».

«ولهذا السبب قتل الكلب؟».

«ربما؟».

«ولم فعل هذا؟ كان بإمكانه أن يذهب إلى بيت كازي ويلعب مع بلوك هيد في أي وقت».

«إما إنه لم يفكر في هذا، وإما إنه كان منزعجاً جداً لعدم حصوله على كلب خاص به».

كان ماكوتو يدوّر قلم الرصاص بين أصابعه: «هل تعلم ماذا قال العم إيساكا؟».

«ماذا؟».

قطب الصبي حاجبيه وهو يبذل جهداً في إعادة الكلام الذي وجد صعوبة في فهمه عندما سمعه أول مرة.

«لقد قال إن هناك أشخاصاً في هذا العالم لا يشعرون بالسعادة إطلاقاً لما يفعله الآخرون، وإذا شاهدوا أمراً لا يعجبهم فإنهم يسعون لتدميره ومن ثم يقدمون أعذاراً لأفعالهم، ولهذا إذا فسر لنا تازاكي سبب قتله لبلوك هيد، فلن نستمع إليه. فكلامه ليس مهماً، المهم هو ما فعله».

أن يصدر مثل هذا الكلام عن شخص رقيق كإيساكا أمر يدعو للدهشة. هل أساء هونما الفهم يا ترى؟

«يعمل العم إيساكا مدبر منزل. صحيح؟ وهو والعمة هيسي يكسبان مالاً لا بأس به، لكنهما لا يريدان الانتقال، فإذا قال الناس

عنهما أموراً سيئة فإنه لن يهتم. قال، دعهم يتحدثون كما يريدون طالما إنهم بعيدون عني، لكن إذا تسببوا لي بأية مشكلة سأجعلهم يتمنون لو أنهم لم يفعلوا ذلك».

قال ماكوتو ذلك دفعة واحدة ثم سكت للحظة: «قال إن الأشخاص الذين يقومون بأمور فظيعة لا يفكرون حقاً بما يفعلونه، تماماً مثل تازاكي».

«إذاً، لن تسامح تازاكي. هل هذا ما قصدته؟».

هز ماكوتو رأسه: «لا، انتظر، لقد قال إنه يجب علينا أن نسامحه إذا جاء واعتذر».

«جيد، وأنا أظن ذلك أيضاً». إن هذا أفضل.

يبدو أن ماكوتو أحس هو الآخر ببعض الارتياح، فالتفت إلى واجبه المدرسي وعاد هونما إلى الجريدة المفتوحة أمامه. لكن ماكوتو لم يكن قد انتهى.

«أبي؟».

نظر هونما إليه من فوق الجريدة فوجده قلقاً مرة أخرى «ماذا؟».

«تلك المرأة التي كنت تبحث عنها، ألم تجدها بعد؟».

«هذا صحيح، مازلت أبحث عنها».

«هل قتلت أحداً ما؟».

«لست متأكداً حتى الآن».

«هل ستأخذها إلى الشرطة عندما تعثر عليها؟».

«حسناً، يجب أن نطرح عليها بعض الأسئلة».

«لماذا؟ هل هذا هو عملك؟ طرح الأسئلة على الناس؟».

حتى هذا الوقت لم يعرف ماكوتو الكثير عن طبيعة عمل والده. كل ما يعرفه أن والده محقق ويقوم بالقبض على الأشخاص السيئين. لم يسأله عن التفاصيل أبداً وهو بما بدوره اعتقد أن إخباره سيكون صعباً عليه بعض الشيء. كان يرغب في إخباره كم هو متعاطف مع كيوكو وكم يتمنى لو أن بإمكانه أن يتركها تهرب، لكن كل ما قاله كان:

«صحيح، هذا هو عملي». ثم أضاف بعد تفكير: «تلك المرأة لديها أسبابها، هي لم تقترف أعمالاً سيئة في حق الناس لأن أشياء سيئة حدثت لها، بل لأنها أرادت أن تفعل ذلك».

استغرق ماكوتو دقيقة قبل أن يستوعب: «هل تنتظر اتصالاً هاتفياً الآن؟».

«أجل».

«وإلى أين ستذهب بعد أن تتلقى هذا الاتصال؟».

«إلى ناجويا أو ربما أوساكا؟».

في تلك اللحظة رن الهاتف، فدوّر ماكوتو عينيه ثم تنهد وقال: «أحضر لي بعض الهدايا عندما تعود، اتفقنا؟».

# ✧ 25 ✧

كانت صديقة كيوكو التي تسكن في ناجويا، كارو سودو، قد تزوجت وغيرت اسمها منذ السنة الماضية وهي الآن تسكن في إحدى ضواحي ناجويا مع والدّي زوجها، مما يجعل فكرة لقائها في البيت غير لائقة. لذلك اقترحت على هونما أن يتقابلا في مكان ما في الخارج، وخصوصاً أنها كانت ماتزال تذهب للعمل.

سألها هونما إن كان بمقدوره رؤيتها في مكان قريب من الشقة التي سكنتها في خلال فترة معرفتها كيوكو، وإن كان هذا مناسباً لها.

«هناك مطعم صغير وجميل بالقرب من شقتي القديمة، حتى بعد انتقال كيوكو إلى أوساكا كانت تأتي أحياناً لقضاء الليلة معي وفي اليوم التالي كنا نتناول الطعام هناك».

مطعم كوتي واحد من تلك الأماكن التي يتردد إليها الزبائن نفسهم باستمرار وهم عادة يسكنون في الجوار.

ما إن دخلت كارو إلى المطعم حتى استقبلها صاحب المكان بابتسامة عريضة وسألها عن أحوالها. كانت طويلة ونحيفة وذات وجه صغير مثل عارضات الأزياء، وقد بدت في الثانية أو الثالثة والثلاثين من عمرها. جلست إلى الطاولة ودخلت الموضوع مباشرة.

«إن ضابط الشرطة، فوناكي. أليس هذا اسمه؟ قال إن كيوكو

اختفت. لم أسمع عنها شيئاً منذ سنتين وليس لديَّ فكرة عن مكانها في هذه الأيام».

بدأ هونما يشرح لها كل شيء، إلا أنه وكالعادة لم يذكر شيئاً عن شكوكه حول جريمة القتل.

كان وجهها هادئاً صافياً، لولا ذلك الجرح الطفيف بين حاجبيها المرسومين. قالت وهي تأخذ رشفة من فنجانها: «ما الذي تفعله كيوكو الآن يا ترى؟».

تعرفت كارو إلى كيوكو منذ أن هربت الأخيرة مع أمها إلى ناجويا حين كانت في السابعة عشرة وبدأت تعمل هناك بدوام جزئي.

«أنا أعرف كل شيء عن هروب عائلتها بسبب الديون، لقد أخبرتني بكل شيء».

كان حديثها متطابقاً في معظمه مع كلام زوج كيوكو السابق، إلا أن بعض الحقائق الجديدة بدأت بالظهور.

«بعد أن انفصلت عن كوراتا، نجح محصلو الديون بالإمساك بها في إحدى المرات».

بما إنهم كانوا على علم بأن الزوجين يسكنان في آيسي فقد كان هذا أمراً متوقعاً.

«رأيتها لأول مرة بعد طلاقها في السنة التالية، في شهر شباط على ما أظن، نعم هذا صحيح كان الثلج يتساقط».

حدث الطلاق في أيلول، أي إنها اختفت في مكان مجهول لستة أشهر تقريباً.

«أتتذكرين ما الذي حدث في تلك الزيارة؟».

«بالطبع أذكر. فقد كانت حالها مزرية جداً».

لقد وصلت كيوكو بعد منتصف الليل في سيارة أجرة وكارو هي من دفع الأجرة.

«لم تلبس إلا ثياباً تحتية فقط تحت معطفها المطري، وقد ازرق جلدها بالكامل تقريباً وتشققت شفتاها. أدركت حينها أي نوع من الأعمال كانوا قد أجبروها على القيام به».

ولما سألتها كارو أين كانت، لم تقل الكثير.

«لم يكن مكاناً كبيراً مثل طوكيو أو أوساكا، ولا حتى ناجويا وربما كان منتجعاً سياحياً هناك في قلب الغابات».

سأل هونما: «جعلوها تعمل كي تسدد الديون؟».

«لا، لقد قاموا ببيعها».

بقيت كيوكو معها حوالي الشهر تقريباً.

«لقد طلبت مني إقراضها بعض النقود فأعطيتها خمسمائة ألف ين، ثم قالت إنها ستعرضني للخطر إن هي بقيت في ناجويا لأنهم سيلحقون بها إلى هنا بالتأكيد، لذلك أرادت الذهاب إلى أوساكا لتبحث عن عمل».

وفي شهر نيسان بدأت كيوكو العمل في شركة روزالين.

«في البداية كانت تسكن في مكان صغير جداً وغير معروف، ثم انتقلت للعيش في شقة جميلة مع إحدى زميلاتها في العمل».

«لا بد أنها الآنسة تشينو».

«ربما». ثم أخذت تربت على صدغها بإصبعها: «عندما سمعت بهذا شعرت بالارتياح، وراتبها في روزالين لم يكن سيئاً أيضاً، ومنذ

ذلك الوقت بدأت تأتي لزيارتي من وقت لآخر راكبة سيارة».

«هل كانت دائماً تقود سيارة؟ لم تستقل القطار؟».

«قالت إنها كانت تخاف القطارات، وليس القطارات فقط بل كانت تخشى الأماكن المزدحمة بشكل عام، فلا أحد يعلم من يمكن أن تصادف».

كان قصدها واضحاً.

«إذا ركبت السيارة فيمكنها أن تهرب في حال تعرضت للمشاكل، وبالتأكيد كل السيارات التي كانت تقودها كانت سيارات مستأجرة».

من الواضح أن كيوكو قد فقدت صوابها بسبب الخوف، فاحتمال أن تصادف أحد محصلي الديون في مدينة كبيرة مثل أوساكا أو ناجويا، كان ضعيفاً جداً، لكنها لم ترد أن تجازف أبداً.

«وهل استمروا في ملاحقتها؟».

هزت كارو رأسها: «لم أعتقد هذا، وقد قلت لها: ألا تعتقدين أنك أصبحت بمأمن؟ لكنها لم تستمع إليَّ، بل قالت إنها ستظل خائفة منهم بقية حياتها».

لقد حاولت كارو أن تسألها عن الأشهر الستة التي اختفت في اثنائها وانقطعت أخبارها إلا أن كيوكو لم تقل شيئاً أبداً. لكن يبدو أن أحد أولئك الأوباش، أفراد الياكوزا، قد خطبها وأخذ يراقبها بشدة، ليس فقط بسبب الديون، بل كانت لديه أسبابه الخاصة.

«كان وحشاً بكل معنى الكلمة». هذا كل ما قالته.

قالت كارو بمرارة: «عندها أدركت جيداً ما كان يحدث، لكن

أمراً واحداً لايزال يحيرني. لقد أصبحت كيوكو فجأة لا تتحمل رؤية أي شيء نيء... مثل السمك أو أي شيء غير مطبوخ، قالت إن الرائحة تشعرها بالغثيان، وهي لم تكن هكذا من قبل».

«هل حدثتك يوماً ما عن خططها؟».

هونما يقصد إن كانت تخطط لزواج سعيد أو لحياة خاصة بها.

هزت كارو رأسها ثانية.

لا، لا يبدو هذا، من دون أب أو أم، أو أي شيء يحميها، حتى القانون لم يكن يحميها. والسيد وادا الذي اعتقدت أن بإمكانها الاعتماد عليه، قامت عائلته الكبيرة والغنية برفضها وكأنها قمامة. لقد خذلها جميع الرجال ولهذا السبب لن تتمكن من الوثوق بأحد، عليها أن تتكل على نفسها وتمضي بحياتها بشجاعة.

«هل أرتك كيوكو صورة لأحد البيوت في يوم من الأيام؟».

«أي بيت؟».

«هذا». وأخرج هونما صورة نموذج البيت البني ووضعها على الطاولة.

«آه، هذا».

«إذا لقد رأيتها من قبل؟».

ابتسمت كارو وأومأت برأسها: «بالتأكيد، لقد التقطتها خلال الدورة التدريبية. صحيح؟».

«أوه؟» وكأنه لم يكن على علم بهذا.

«كان لدى إحدى صديقاتها كاميرا فورية وقد قامت وقتها باستعارتها، كانت كيوكو تحب رؤية نماذج البيوت، وقد اعتدت أن

أمازحها بهذا الشأن».

تحب مشاهدة نماذج البيوت!

«على الرغم من أن القرض السكني كان هو السبب في جميع المشاكل التي حدثت لها؟».

وضعت كارو الصورة جانباً وقالت:

«أجل، إذا نظرت إلى الموضوع من هذا الجانب ستجد الأمر غريباً لكن أتعلم، إن للموضوع جانباً آخر مختلفاً. كانت تقول دائماً إنها يوماً ما ستكون عائلة وستسكن في بيت كهذا. كان هذا حلمها وزادتها كل الأمور التي مرت بها إصراراً على تحقيق هذا الحلم، كانت مصممة على ذلك».

إذاً لهذا السبب احتفظت بالصورة.

«لقد أحبت هذا البيت بالذات أكثر من كل النماذج التي شاهدتها، وعندما جاءت لزيارتي أرتني إياه وقالت: كارو، يوماً ما عندما تتحسن الأوضاع سأسكن في بيت مثل هذا البيت».

حاولت كارو تقليد صوت كيوكو المليء بالبهجة عندما قالت هذا الكلام.

«ألم تقل لك إنها رغبت في أن تريك البيت الذي ستسكن فيه أو إنها أرادت دعوتك إليه يوماً ما؟».

راجعت كارو نفسها قليلاً: «في الحقيقة، لا، لم تفعل».

طبعاً لأنها لا تستطيع ذلك، فكر هونما، فالبيت ملك لشخص آخر ويحمل اسماً مختلفاً. يبدو أن كيوكو كانت قد فكرت بالخطة حينذاك.

رفع هونما عينيه عن الصورة وقال: «ألم تسمعي عنها شيئاً مؤخراً؟».

انزعجت كارو قليلاً وتجهم وجهها: «لقد انقطعت أخبارها عني تماماً، هذه هي الحقيقة».

«ألم تتلقي أية اتصالات هاتفية وكان المتصل يغلق الخط عندما تجيبين؟».

«لا، لا أذكر شيئاً كهذا؟».

لا بد أن الجهد الذي يتطلبه الاستيلاء على هوية امرأة أخرى جعل كيوكو قلقة وغير مستقرة، حتى إنها لم تحاول الاتصال بصديقتها الوحيدة، الشخص الذي شاركته أحلامها، ماذا يعني هذا؟ أين كانت؟

«عندما تعرفنا أنا وكيوكو على بعضنا كنت وقتها أخرج مع الرجل الذي أصبح زوجي الآن، وقررنا أن نتزوج في خلال سنة أو سنتين، ولهذا يمكن أن تكون كيوكو اعتقدت بأنني تزوجت الآن وليس بإمكانها أن تزورني كما في السابق».

عاد هونما للتفكير بطريقة سوداوية مرة أخرى، ربما تكون قد قررت ألا تثق بكارو بعد الآن وأن تبقى وحدها.

«هل سكنتما بالقرب من هنا في ذلك الوقت؟».

«هناك تماماً، أترى؟».

وأشارت إلى نافذة في إحدى المباني على الجانب الآخر من الشارع وقالت إن شقتهما في الطابق الثاني. اصطفت على النافذة أحواض من الزهور الملونة، ونشر زوج من الجوارب الحمراء على حبل الغسيل

فوق مكيف الهواء. عندها تخيل هونما كيوكو وهي تساعد كارو في نشر الغسيل.

في كل الأماكن التي سكنت فيها: تلك الغرفة البائسة التي عاشت فيها مع والدتها، والشقة في ناجويا، والفندق الذي عملت فيه في آيسي، وبيت عائلة كوراتا الواسع، ثم ذلك الجحيم الذي اختفت فيه حين بيعت شقة أوساكا، ثم تلك الشقة الصغيرة الأنيقة في هونانتشو، أينما سكنت، اعتمدت كيوكو على نفسها في كل شيء، في التنظيف، وغسيل الثياب، والذهاب للتسوق والطبخ. لقد تبدلت حياتها على التوالي من حياة الخوف والرعب إلى حياة مليئة بالحزن والأسى ثم بالبؤس والحرمان وأحياناً بل نادراً ما كانت سعيدة نوعاً ما. لكن الأمر الوحيد الذي لم يتغير كان هروبها على الدوام. لقد هربت من الياكوزا أول الأمر ولكنها استمرت في الهرب، وعندما اعتقدت أنها وجدت طريقة لتترك الماضي خلفها إلى الأبد، بدأت بالهرب من جديد. لم يتغير أي شيء.

شعر هونما برغبة في أن يصرخ: «لا بد أنك متعبة، أنا أعلم هذا لأني تعبت، دعينا نوقف هذه المطاردة. توقفي لدقيقة فقط».

«عندما جاءت لزيارتي في المرة الثانية، كانت قد استقالت لتوها من شركة روزالين».

دوّن هونما ملاحظاته وأومأ برأسه قائلاً: «تركت الشركة في نهاية شهر كانون الأول 1989».

«هذا صحيح، جاءت إلى هنا بعد رأس السنة مباشرة... أو لا، في أواخر كانون الثاني، لقد أخذتني يومها لتناول الطعام في الخارج

وقامت هي بدفع الفاتورة».

كانت في طريقها لتصبح شوكو.

«قالت حينها إنها انتقلت من الشقة التي كانت تسكنها في أوساكا، فسألتها أين تقيمين الآن؟ وأخبرتني أنها تفكر في الذهاب إلى كوبي».

«أوه..؟»

«المضحك في الأمر أنها وفي خلال الحديث ذكرت شيئاً عن خط كيهين توهوكو، وهذا الخط يقع في منطقة قطارات طوكيو، فهو يتجه من يوكوهاما إلى طوكيو ثم يذهب شمالاً إلى سايتاما. صحيح؟».

من الطبيعي أن تتساءل كارو عما فعلته كيوكو هناك.

«لكن يا إلهي... لقد ارتبكت كثيراً... قالت إن هناك بعض الأمور التي يجب أن تهتم بها في سايتاما، كاوا جوتشي، في الحقيقة في كل الأماكن. استأجرت غرفة بشكل أسبوعي، غير أنها لم تستطع أن تعطيني رقم هاتفها».

ارتابت شوكو من كل شيء. لقد قالت إن هناك من فتح بريدها في أحد الأيام. هذا ما قالته الفتاة التي تعمل في نادي جولد، إذاً هكذا اكتشفت كيوكو أمر جولة المقبرة. ففي ذلك الوقت كانت شوكو تستيقظ عند الظهيرة وتعمل طوال الليل ثم تعود إلى البيت في الصباح الباكر، ولهذا فالفرصة سانحة للتفتيش في صندوق بريدها.

جزء صغير مازال مفقوداً، عندها ستتضح الصورة بالكامل، هناك رابط خفي يجمع بين شوكو سيكين وكيوكو شينجو، لا شك في هذا.

«عندما كانت كيوكو تأتي لزيارتك، هل بدت غريبة في إحدى المرات أو مختلفة عما تكون عليه في العادة؟».

«غريبة؟».

«أجل، عصبية، قلقة، أو أنها كانت تبكي من غير سبب؟».

كان السؤال غامضاً بعض الشيء، لكن هونما يريد أن يعرف كيف كانت كيوكو تتصرف في الفترة التي توفيت فيها والدة شوكو في 1989/12/25. فإذا صدقت شكوك هونما بأن هناك جريمة قتل قد حدثت وأن لكيوكو يداً في قتل العجوز سيكين، فإن أهم شيء يجب عليه القيام به هو إثبات وجودها في أوتسونوميا في ذلك اليوم.

أخذت كيوكو إجازة من شركة روزالين لتسعة أيام في الفترة الممتدة ما بين 1989/11/18 وحتى 1989/11/26، لقد علم بهذا من وادا، لكنه أراد أن يعرف إن كانت كيوكو قد اتصلت بكارو ذلك اليوم أو على الأقل ليلة الخامس والعشرين؟

جلست كارو وهي تسند ذقنها إلى قبضة يدها. يبدو أنها كانت تفكر. لم تحاول إخفاء أي شيء. أغلب الظن أن كيوكو عملت وحدها تماماً، حتى في ذلك الوقت. ومن المؤكد أنها عندما قتلت... أجل... قتلت الابنة، كانت قد قطعت الاتصال بصديقتها القديمة.

«لا أعرف إن بدت غريبة، لكن عندما جاءت آخر مرة في أواخر كانون الثاني كانت مختلفة». كانت كارو تتكلم بهدوء وتختار كلماتها بعناية.

«في آخر كل زيارة وعندما تهم بالمغادرة، تقول دائماً (إلى اللقاء!). وبعد أن تخرج من الباب كانت تلوح بيدها قائلة: (أراك قريباً)، إلا

أنّها في تلك الزيارة انحنت وقالت: (وداعا)».

وقد كان وداعاً حقاً، فقد اختفت كيوكو ولم ترها كارو ثانية وهي بالطبع لم تقابل شوكو سيكين.

تابعت كارو:

«نعم... لقد فكرت بالأمر وقتها، كانت قد تحدثت عن موت والدتها أيضاً. في الحقيقة، كان الموت موضوع حديثنا في تلك الليلة. لقد سألتني: «كارو، أين تريدين أن تدفني بعد أن تموتي؟» فهي كانت تريد أن تدفن في أبعد مكان ممكن عن موريياما. قالت لي: «لا أريدهم أن يدفنوني في مسقط رأسي بأي شكل من الأشكال».

وعندما سألتها كارو إن كان هناك خطب ما، ضحكت فقط.

«لقد شعرت بوجود شيء ما لكني لم أعرف ما هو، وعندما اختفت من دون أن تقول شيئاً، قلت في نفسي، حسناً هذا هو، كان عليَّ أن أجعلها تتكلم».

كانت كارو نفسها تتحدث بمزاج سيئ، ونبرة صوتها ذكرت هونما بالشعور الذي انتابه عندما قال لكوراتا بأن كيوكو يمكن أن تكون قد ماتت.

سألها هونما: «هل هناك شيء آخر؟».

تنهدت وقالت: «لا أستطيع أن أفكر بأي شيء».

«حسناً، هل يذكرك تاريخ 1989/12/25 بشيء ما؟».

«هل حدث شيء خاص في ذلك اليوم؟».

ابتسم هونما: «لا، لكن حسب سجلات شركة روزالين، فإن كيوكو غابت عن الشركة لتسعة أيام كاملة، قبل الخامس والعشرين

وبعده. كان ذلك يوم استلام الرواتب. فهل من الممكن أن تكون قد جاءت لزيارتك في ذلك اليوم؟».

نظرت كارو حولها ومدت يدها بتثاقل إلى فنجان القهوة فأخذت رشفة ثم وضعته على الطاولة بعزم وسألته: «خلال فترة عملها في روزالين، هل أخذت كيوكو أية إجازة طويلة غير هذه الإجازة؟».

تفقد هونما دفتر ملاحظاته، كان وادا قد قام بالتحقق من هذا الموضوع، لذا فمن السهل عليه أن يجيب مباشرة.

«لا، لقد غابت فيها لتسعة أيام من 18 إلى 28 تشرين الثاني».

بدت كارو مشوشة قليلاً: «في هذه الحال، لا أعرف، لكن إن لم تأخذ كيوكو إجازة طويلة غير هذه، فلا بد أن ذلك حدث في خلالها».

انحنى هونما للأمام: «هل اتصلت بك؟».

«أجل، لقد جاءت، كان ذلك في اليوم الثاني من إجازتها، أي ليلة التاسع عشر. بدت غريبة جداً وقد آذت نفسها».

«كيف حدث ذلك؟».

«احترقت، ولحسن الحظ لم يكن حرقاً خطيراً جداً، إلا أنها كانت بحاجة إلى الذهاب إلى المستشفى، فقد كانت تعاني من حمى شديدة».

اعتقد هونما للحظة أنه لم يسمع جيداً: «قولي ذلك ثانية».

«ذهبت إلى المستشفى في حالة إسعاف، مسشتفى المدينة العام، بالقرب من هنا وبقيت هناك حتى صباح يوم السادس والعشرين ولهذا السبب أخذت إجازة لتسعة أيام».

إذاً كيوكو شينجو كانت في أحد مشافي ناجويا عندما سقطت والدة شوكو عن الدرج...

«لقد أصيبت بالتهاب رئوي. ففي يوم الثامن عشر من الشهر خرجت في رحلة مع أحد الأصدقاء وقد أمضيا الليلة في فندق وفي طريق العودة تعرضا لحادث، ولهذا السبب وصلت إلى بيتي بعد منتصف ليلة التاسع عشر. ولما سألتها عمّا وقع لها، لم تقل لي شيئاً. بل بقيت صامتة. غطيت ذراعها اليمنى بالحروق. وعلى الرغم من برودة الجو، فقد ارتدت بلوزة وتنورة فقط وفوقهما معطف خفيف، قالت إن النار اشتعلت عند وقوع الحادث، فاحترقت سترتها. لقد ركبت القطار وجاءت إلى هنا من دون أن تتوقف لتلبس ملابس أخرى. كانت ترتعش من الحمى».

أول شيء فعلته كارو أن وضعتها في السرير وجلست بجانبها.

«لكن حالتها كانت أصعب من أن أتعامل معها، فقد ذهبت في إحدى المرات إلى الحمام وبعد قليل سمعتها تضرب رأسها بالحائط، كانت في حالة هياج ولم تكن تحس بوجودي إطلاقاً، وفي النهاية اضطررت إلى أن أتصل بسيارة الإسعاف. لم تخبرهم في الشركة بما حدث، إنما قالت إنها أصيبت بنزلة برد شديدة وهي الآن ترتاح في منزل عمتها، وهم بدورهم لم يدققوا كثيراً حسب علمي. وحتى بعد أن تعافت، رفضت أن تخبرني عمّن كان معها في السيارة. هذا كل ما أستطيع قوله حتى الآن».

لم تكن كارو من الأشخاص الذين يحملون مفكرة، إلا أنها كانت تتذكر الأحداث بشكل جيد كما لو أنها قامت بتسجيلها.

«لقد أقرضتها المال من أجل مصاريف المستشفى، وإذا رجعت إلى أوراقي ربما يمكنني أن أطلعك على التفاصيل، هل تريد ذلك؟».

«سيكون هذا عظيماً». ثم دون لها رقمه على ورقة.

كان قد رجع لتوه إلى الفندق عندما اتصلت لتقول إنه لا يوجد أي خطأ في التواريخ وإن بإمكانها أن ترسل له بالفاكس نسخة عن فاتورة المستشفى إلى الفندق.

اندهش موظف الاستقبال قليلاً من الطريقة التي اندفع بها هونما ليأخذ الورقة التي خرجت من جهاز الفاكس.

مشفى كوباتا العام

لقد تم استلام مبلغ 70,000 ألف ين من الآنسة شوكو سيكين مصاريف علاج وإقامة في المستشفى وذلك من تاريخ 1989/11/19 حتى 1989/11/26. وهي تحمل بطاقة التأمين الصحي الوطني.

## ✧ 26 ✧

عاد هونما إلى البيت قبل يومين، وهو الآن جالس إلى طاولة المطبخ يتحدث مع فوناكي، أما إيساكا فقد استمع إليهما وهو يعد طعام العشاء.

يبدو أن الأحداث غير المتوقعة قد أربكت هونما لدرجة أنه نسي وعده لماكوتو بأن يحضر له الهدايا.

قال فوناكي: «ماذا لو كان هذا ليس صحيحاً؟» ثم ابتسم ورشف من شاي كومبو الذي أمامه.

ثم اقترح إيساكا: «لابد أن لها شريكاً».

الليلة وبناء على طلب ماكوتو، سيتناولون سمكاً بالخضار على العشاء، وإيساكا سيطبخ كمية إضافية ليأخذها معه إلى بيته. كان الحساء يغلي ويملأ البيت برائحة زكية ودافئة.

سأل فوناكي: «ماذا عن ذلك الشاب وادا؟».

«كان في أوساكا ليلة ماتت العجوز سيكين. بقي في المكتب يعمل حتى الساعة التاسعة، إلا إذا نبتت له أجنحة فطار إلى هناك ووصل إلى أوتسونوميا عند الحادية عشرة».

قال فوناكي وقد بدا غير مقتنع: «هو حادث إذاً؟».

ضحك هونما: «في هذه الحال تكون والدة شوكو قد اختارت أن

يقع الحادث في وقت ملائم جداً لكيوكو شينجو».

«أنت تعلم ما يقولونه عن أن الحقيقة أغرب من الخيال».

قال إيساكا: «إنه رفيقها إذاً، الشخص الذي كان معها في السيارة عندما تعرضت للحادث في التاسع عشر من تشرين الثاني. ألا يمكن أن يكون هو القاتل؟».

أدخل هذا الكلام هونما في حالة صمت.

تمتم فوناكي: «ماذا لو كان رفيقها هذا هو خطيبها جان كورسيكا؟».

«أنتما الاثنان تقرآن الكثير من الروايات البوليسية».

«حسناً».

قال إيساكا فجأة: «هيه، بالمناسبة ماذا جرى له؟ لم يتصل ولا مرة، هو من جرك إلى كل هذا في الأساس، لا يمكن أن يكون غير مبال هكذا».

قال فوناكي: «أتظن أن رجلاً بمكانته سيحتاج إلينا؟».

منذ أن سمع فوناكي عن الطريقة التي رمى بها جان النقود في وجه هونما وهو يحاول التقليل من شأنه.

توجه إيساكا إلى الموقد ليتفقد الطعام، وما إن رفع الغطاء حتى تصاعدت غيمة من البخار الزكي الرائحة، فقال فوناكي الذي كان قد انحنى وأسند ذقنه على الطاولة: «يا لها من رائحة شهية!».

«أنت باق حتى تتناول العشاء، أليس كذلك؟».

«إلا إذا كنت تريد رفقة مميزة». قال فوناكي ذلك بخبث وكتم ضحكته، ثم أضاف:

«أتساءل إن كانت تتناول طعام العشاء الآن هي أيضاً».

«من هي؟».

«كيوكو شينجو».

نظر إليه هونما وقال: «أجل ربما».

«ولم لا، إنها تأكل وتستحم وتلبس أجمل الثياب ثم تخرج لتجعل من حياة أحد الأشخاص حياة بائسة، وربما هي الآن تقضي وقتاً ممتعاً». ثم ضحك ضحكة كئيبة: «نحن جالسون هنا نعذب أنفسنا بالتفكير، وهي في الخارج تجرب مجموعة الألوان الجديدة من أحمر الشفاه في مركز شيسيدو لمستحضرات التجميل».

«من أين جئت بهذه التفاصيل؟».

قال إيساكا الذي كان يحمل عيدان الطبخ بإحدى يديه وينظر إلى فوناكي:

«أظن أن هناك شخصاً ما قد رتب موعداً مع عروس مستقبلية، وأتساءل إن كانت... دعنا نرى... خبيرة تجميل في مركز شيسيدو».

ابتسم فوناكي رغما عنه: «من بين كل الافتراءات... أصبت الهدف».

ولكن حقاً أين هي كيوكو شينجو الآن؟ لم يكن هونما قد فكر في هذا الأمر كثيراً. هل عادوا إلى نقطة البداية إذاً؟ إلى ما قبل أن يكتشفوا بأن شوكو سيكين هي شخص آخر؟ وهل عليهم أن يفعلوا كما اقترح المحامي ميزوجوتشي ويقوموا بوضع إعلان في الجريدة؟

(كيوكو، دعينا نتناقش، ارجعي أرجوك) ولكن باسم من سيوقع الإعلان؟ باسم جان؟ هذه سخافة.

والأمر الأكثر سخافة هو أن تستجيب كيوكو بالفعل عندما نناديها باسمها (أجل، شوكو سيكين باعتني سجلها العائلي... شوكو؟ أوه، إنها تعمل في كيوشو الآن، لقد تحدثت إليها بالهاتف منذ بضعة أيام. آسفة لأني سببت كل هذا القلق)، وسيأتي إليها جان والدموع تملأ عينيه، ثم يرجعان لبعضهما ويتزوجان، أما أنا فسأدخل المستشفى بسبب القرحة، وربما تكون قرحة نازفة.

هيه، كن جدياً، إن كيوكو مختبئة في مكان ما، وربما تكون قد اختارت مكاناً بعيداً عن طوكيو قدر الإمكان.

وقف هونما فجأة.

سأله فوناكي مندهشاً: «ماذا هناك؟».

«كنت أفكر، ماذا تعمل كيوكو هذه الأيام برأيك؟».

قال فوناكي مبتسما: «ربما تبكي بحرقة، هذا إذا لم تكن تستشير خبيرة التجميل في شيسيدو».

ثم اقترح إيساكا: «أتوقع بأنها تعمل، فأنا أشك في أنها غادرت هذا المكان ومعها ما يكفيها لتعيش، ناهيك عن السكن في مكان جيد».

أضاف فوناكي: «أيمكن أن تكون مازالت على اتصال بكارو سادو أيضاً؟».

رأس هونما كان يدور وعيناه نصف مفتوحتين.

«ألا تعتقد أنها ربما ستحاول القيام ثانية بالخدعة نفسها في مكان آخر؟ أراهن على أن السبب الذي منعها من الاتصال بصديقتها القديمة هو أنها تخاف أن تفعل هذا».

«تخاف؟»

«أجل، لقد تركت جان عندما شعر بأن الأمور بدأت تسوء، وعندما أصبحت وحدها أخذت تفكر، ما الذي يفعله جان الآن يا ترى؟ إنه يبحث عنها، هذا ما يفعله. لكن من يعلم؟ بما أن جان تقبل موضوع الإفلاس بكل هدوء، فربما هو الآن يعيد ترتيب الأمور، إن شوكو سيكين كانت هي حقاً كيوكو شينجو»...

«لا، لا يمكن أن تفكر كيوكو بهذه الطريقة».

«لا يمكنها أن تكون متأكدة من هذا الأمر ولكن لا بد أنه خطر ببالها. والسبب الرئيسي الذي جعلها تقطع صلتها بصديقتها كارو، هي أنها أرادت أن تقطع كل العلاقات التي يمكن أن تكشف هويتها، فهي لا تريد أن تعود كيوكو شينجو، لأنها في هذه الحال سيكون عليها أن تبحث عن شخص آخر لتنتحل شخصيته».

تبادل كل من إيساكا وفوناكي النظرات، ثم قال فوناكي:

«ستكون بحاجة إلى أن تجد عملاً في شركة أخرى تبيع البضائع عبر البريد».

«ثم تبدأ من جديد، ومن البداية».

أخذ هونما نفساً عميقاً، لقد قضى هذا الحديث على أي بصيص من الفطنة التي كان يظن أنه يمتلكها.

نظر إيساكا إلى ساعة المطبخ: «آه... حان الوقت».

لقد أصر ماكوتو وكازي عليهم أن يحضروا جنازة بلوك هيد في ذلك اليوم.

كان الصبيان، آخر الأمر، قد سألا عائلة إيساكا إن كان بإمكانهما أن يحفرا القبر في حديقة الطابق الأرضي، والتي كانت ملكاً للمشروع

السكني في الواقع وليس لعائلة إيساكا. لقد قام تاموتسو بتثبيت قطعتين من الخشب معاً ليصنع منهما صليباً فظهر بذلك بمظهر الرجل المتعاون الذي يكن الاحترام للميت.

قام الولدان بحفر القبر بالمجرفة، وبالكاد كان كافياً لدفن طوق الكلب المسكين. كان الطوق جديداً تماماً وقبل أن يدفنه جعل ماكوتو جميع الحاضرين يشاهدون الكتابة التي في الداخل، ثم غرس تاموتسو الصليب فوق القبر ووضعت هيسي إكليلا من الزهور. بعد ذلك قام الجميع بإشعال أعواد البخور ومن ثم أمسكوا بأيدي بعضهم من أجل الصلاة.

سأل ماكوتو: «هل تظن أن هذه الجنازة ستعجب بلوك هيد؟».

«أظنه سيحبها كثيراً».

ثم قال فوناكي وهو يربت على كتفه: «أراهن على أنه سيكون سعيداً جداً بطوقه الجديد».

قال ماكوتو مبتسماً وهو يشير إلى سياج الشرفة: «عندما يأتي الصيف سنزرع اللبلاب هنا تماماً وسنجعله ينمو ويكبر».

«لقد أحضرت البذور».

«يمكننا أن نزرع أزهاراً مختلفة وفي كل الفصول، وهكذا سيكون لدينا أزهار طوال السنة. على أية حال، لم لا تضع المجرفة من يدك ومن ثم تذهبان للاغتسال، فهناك كعك إن اردتما».

وهكذا دخلوا جميعاً إلى البيت.

لاحظ هونما أن تاموتسو يتصرف بغرابة، وقد ظل صامتاً أغلب الوقت. في البداية اعتقد بأنه حزين. لكن لا، لم يكن هذا هو السبب

فهناك أمر يزعجه حقاً وقد تهدلت كتفاه وأمال رأسه إلى الجانب طوال الوقت.

«ما الأمر؟».

«لا أعلم، رقبتي تؤلمني». نفض الغبار عن بنطاله: «إن حفر الحفرة ووضع هذا الصليب ذكراني بأمر حدث منذ وقت طويل».

«هل مات الحيوان الذي كنت تربيه عندما كنت صغيراً؟».

هز توماتسو رأسه: «لا، لا شيء من هذا القبيل. في الواقع، كان والدي يكره الحيوانات، لقد بكيت كثيراً جداً لكنه لم يسمح لي باقتناء واحد. إنه أمر كان ينبغي أن أسأل آيكومي عنه فهي تعرفني أكثر من أي شخص، حتى أكثر مما أعرف أنا نفسي».

«إنها زوجة طيبة».

«طيبة جداً، ما إن أفكر بإساءة التصرف حتى تعرف في الحال».

بينما كان هونما يراجع ملاحظاته ذلك المساء، اتصل تاموتسو بآيكومي. كان هونما قد شجعه على الاتصال بالبيت مرة في اليوم وغالباً ما يقول: «كيف حال تارو؟ كيف الجنين؟».

أما اليوم فقد قال: «مرحباً، هذا أنا». لكن يبدو أنه قوبل ببعض الصد لأنه قال:

«ما الذي تقصدينه بمن أنت؟».

ابتسم هونما بينه وبين نفسه، لقد حان الوقت ليعود تاموتسو إلى أوتسونوميا، سواء انتهى التحقيق أم لم ينته. بالتأكيد إن هذه حياة تاموتسو الخاصة، لكن باستطاعة أي شخص أن يلاحظ أنه ينتمي إلى الحياة هناك مع زوجته.

قال تاموتسو محتجاً: «لا تتكلمي بهذه الطريقة، بالطبع أنا كذلك، بالتأكيد أنا قلق... أنت تعرفين، كيف يمكن أن تقولي هذا؟»، ثم نهض عن كرسيه وبدأ يتلعثم في الكلمات قليلاً:

«لا تكوني حمقاء. لا أريد أن أسمع هذا الكلام!»، كان يصيح في الهاتف: «هيه... أعطني فرصة. لقد اتصلت بك لأن هناك أمراً أريد أن أسألك عنه. هل أنت جالسة؟».

لحسن الحظ هدأت المناقشة وبدأ تاموتسو يشرح لها ما حدث في أثناء النهار.

«الموضوع هو أنني تذكرت شيئاً حدث منذ زمن طويل، تذكرت أنني قمت بحفر قبر لحيوان أو ما شابه، لكن أبي، أنت تعرفينه، لم يكن يسمح لي أبداً باقتناء حيوان. فما هذا إذاً، هل لديك فكرة؟».

كان تاموتسو يستمع.

«ماذا؟ المدرسة الابتدائية... ها؟ وكيف عرفت كل هذا؟ أنا أخبرتك؟ هيه... لقد بقيت أبلل الفراش حتى الصف الخامس، أفترض أنني أخبرتك بهذا أيضاً».

كان هونما يهم بالابتعاد عندما ضرب تاموتسو فجأة قاعدة الهاتف بقبضته وصاح:

«هذا صحيح! تذكرت الآن! شوكو كانت برفقتي!».

التفت هونما إليه.

فأخذ تاموتسو يومئ إليه بحماس: «أجل، أجل هذا ما حدث»...

يدو أن الحديث مع زوجته نشط ذاكرته: «آيكومي، أنت عبقرية!

أنا محظوظ بك».

ثم أغلق الخط وانضم إلى الآخرين الجالسين حول الطاولة.

«لقد كنا أنا وشوكو نعتني بأحد الطيور الذي دخل غرفة الصف في أحد الأيام».

قال وهو لايزال يلهث: «وعندما مات الطائر قمنا بدفنه في إحدى زوايا باحة المدرسة».

«هذا هو الأمر إذاً؟».

قال تاموتسو بحيوية وهو ينحني فوق الطاولة: «لكن اسمع، لقد تذكرت شيئاً بعد أن تكلمت مع آيكومي».

اندهش هونما من كل هذا النشاط الذي أصابه «ما هو؟».

«لقد تعلقت شوكو بذلك الطائر كثيراً».

لا شك أن ميزانية عائلتها لم تكن تسمح لها أبداً باقتناء حيوان أليف.

«لقد حزنت بشدة عندما مات الطائر وبكت كثيراً، تماماً مثلما فعل ماكوتو ذلك اليوم ولقد قالت: المسكين إنه وحيد تماماً».

لقد ظهرت بقع حمراء على خدي تاموتسو في هذه الأثناء.

كان هونما يحدق فيه مباشرة، لقد اتضح كل شيء فجأة: «أنت لا تقصد»...

كان تاموتسو يهز رأسه: «لا، هذا صحيح. إن شوكو لم تنسه أبداً، لقد قالت لي ذات مرة: تاموتسو إذا مت أنا قبلك، فادفني هنا مع الطائر».

كنا قد دفنا الطائر في زاوية من زوايا باحة المدرسة.

تابع تاموتسو: «هل فهمت قصدي؟ لقد سمعتها آيكومي تتحدث إلى نفسها في الجنازة عن أمرين، كم هي خجلة لأنها لم تستطع شراء قبر مناسب لوالدتها وعن أنها تمنت هي نفسها أن تدفن مع الطائر. لقد أكدت لي آيكومي أنها سمعتها، ولذلك من المحتمل أن يكون أحد ما قد سمعها أيضاً».

قال هونما محاولاً كبح أفكاره هو الآخر: «تمهل... هذا وحده لن»...

لكن تاموتسو لم يكن يستمع: «أنا أعتقد أن كيوكو شينجو قامت بجولة في تلك المقبرة لتمضي بعض الوقت مع شوكو، وهي قبل كل شيء جولة لشراء القبور، صحيح؟ وربما تكون شوكو قد تأثرت بعض الشيء وراحت تتحدث عن المكان الذي تحب أن تدفن فيه يوماً ما، وهكذا لا بد أنها أخبرتها عن ذلك الطائر. حتى ولو كانت كيوكو لا تعرف في أي بقعة بالضبط، بإمكانها بالتأكيد أن تزور المدرسة».

كان ذلك احتمالاً ضعيفاً، لكن مع هذا، تذكر هونما ما قاله فوناكي عن أن الأشخاص الذين يواجهون الموت يصبحون شديدي الثقة بالناس، مثل تلك الزوجة الشابة التي قتلت زوجها، رجل الأعمال.

هل ستنكشف المسألة هكذا بشكل طبيعي؟ أم أن كيوكو ستوجه الدفة باتجاه آخر؟ ولكن لم ستفعل ذلك ياترى؟ إنها لم تكن بحاجة لأن تعرف، إلا إذا...

بالطبع، لابد أن هناك سبباً ما. كيوكو لم تقدر على رمي مذكرات شوكو المدرسية بل خاطرت بإرسالها إلى إحدى صديقاتها.

ألم يكن هذا بسبب إحساسها بالذنب؟ وإذا كانت قد شعرت

بالذنب من أجل المذكرات المدرسية فماذا عن الجثة؟ ربما قطعتها لتتخلص منها، لكن هونما بدأ يفكر في احتمال أنه كانت لديها خطة ما، بالنسبة للرأس على الأقل، ولا بد أن شوكو قد أوحت لها بذلك من دون قصد.

يبدو أن الثقة التي شعر بها تاموتسو كانت معدية، فقد راح هونما يحاول تهدئة أعصابه.

«حسناً، ربما هذا ما قد حدث بالفعل، لكن ما الذي يثبت ذلك؟».

كان تاموتسو متحمسا للغاية: «هذا ما سنبحث عنه! لي الكثير من أصدقاء المدرسة في أوتسونوميا، وسنقلب باحة المدرسة كلها إذا اضطررنا لذلك».

الأمر المدهش الذي حدث صباح يوم الأحد، أن ماكوتو تمكن من الاستيقاظ في الوقت المناسب ليودع تاموتسو وداع الأبطال، فهو سيستقل أول قطار ذاهب إلى أوتسونوميا. كان وجهه مشرقاً ومرتاحاً وبدا متحمساً ليبدأ العمل.

من جهة أخرى، استيقظ هونما مشوش الذهن بعض الشيء. ففي اليوم السابق عندما جلسوا جميعاً إلى طاولة المطبخ يتبادلون أطراف الحديث، خطر له خاطر ثم تلاشى.

والآن وبينما هو لايزال مستلقياً في السرير، نصف نائم، عاد ذلك الشيء الذي خطر له ليهمس في أذنه ويزعجه مسبباً له القلق.

قال لنفسه بحزم وهو ينهض من السرير بتثاقل، أجل... أجل، لقد حان الوقت للتوصل إلى نتائج فعلية، لكن لا شيء يسير كما يجب.

لقد كسر صحناً بعد أن تناولا طعام الإفطار فقال له ماكوتو، الذي كان يساعده في تجفيف الصحون: «تبدو على غير عادتك، كأنك لست هنا».

«ربما أنا كذلك».

«ركبتك بحالة جيدة، صحيح؟ هل ستعود إلى العمل قريباً؟».

لا بد أن يعود، فهو لايستطيع البقاء على هذه الحال للأبد.

«ما الذي ستقوله الطبيبة ماتشيكي؟ لقد تغيبت عن كل الجلسات ولا بد أن تقع في المشاكل».

«ولكنني أمشي بشكل جيد تماماً الآن».

«هذا ما تظنه أنت، لكني أرى أنك مازلت تمشي بصعوبة».

قال هونما وهو يغلق الصنبور: «حقا؟».

خرج ماكوتو بعد ذلك ليلعب. أما هونما فقد جلس يراجع المعلومات التي توصل إليها عن شوكو سيكين وكيوكو شينجو وراح يركز على الثغرات التي وجدها.

أولاً: كيف تمكنت كيوكو من الوصول إلى قاعدة بيانات شركة روزالين، وهل تورَّط وادا في هذا أم لا؟ ثانياً: كيف قتلت كيوكو والدة شوكو، في حال كانت هي الفاعلة. هاتان هما المشكلتان الأساسيتان اللتان يحاول حلهما منذ حوالي أكثر من أسبوعين، لكنه لم يتوصل إلى شيء حتى الآن.

إنه لايزال يتخيل كيوكو وهي تقرأ الإعلان في الجريدة (كيوكو، دعينا نتناقش، ارجعي أرجوك)، ثم تظهر من مكان مجهول وتركض نحو جان الذي فتح ذراعيه للقائها.

لقد جلس ثم قام، ثم جلس ثم قام وبقي هكذا طيلة الصباح.

كانت الساعة قرابة الواحدة ظهراً عندما جاء ماكوتو ليسأل عن طعام الغداء. عادة وفي يوم عطلة إيساكا، يدخل هونما إلى المطبخ ويحضر الطعام إلا أنه اليوم لا يشعر برغبة في ذلك.

«ما رأيك أن نأكل في الخارج؟».

لم يكن بحاجة إلى أن يكرر السؤال.

انطلق الاثنان إلى أحد المطاعم العائلية القريبة من المبنى، ويبدو أن المشي في الهواء الطلق منح هونما شعوراً جيداً، فقرر ألا يرجع إلى البيت بعد الغداء مباشرة.

سأل ماكوتو وهما يخرجان من المطعم: «هل لديك خطط لفترة ما بعد الظهر؟».

«سأذهب إلى بيت كازي عند الثالثة، إنه الآن يشتري لعبة كمبيوتر جديدة».

«وما هي اللعبة هذه المرة؟».

ضاع هونما واختلطت عليه الأمور في أثناء شرح ماكوتو، لذلك تعين على الصبي أن يعيد الشرح من البداية ثلاث مرات من دون أن ينجح بالوصول إلى النهاية. كان أمراً يتعلق بالنقاط الإضافية في بطاقة كل لاعب هو ما لم يفهمه هونما.

«إنها لعبة دقيقة جداً».

«أجل صحيح».

ثم أضاف ماكوتو وهو يتمطى بكسل: «إنه يوم جميل، أليس كذلك؟».

«نعم».

«أبي، أتعلم؟ إنك تمشي بشكل جيد».

«ألم أقل لك؟»

«لكن إذا تحسنت ستبقى الطبيبة ماتشيكو وحيدة».

ثم توجها إلى متنزه ميناموتو. يشير التقويم إلى أن الفصل هو فصل الربيع، لكن يبدو أن الأشجار في المتنزه لم تسمع بذلك بعد، فقد كانت أشجار الحور تمد أغصانها العارية نحو السماء وتبسط أصابعها الكثيرة العقد في وجه الريح الباردة وكأنها تحتج. وبين أشجار الزلكوفا الحمراء، كانت الطيور تحلق على ارتفاع منخفض إلى درجة أنه يمكن الإمساك بها بسهولة. أما حديقة الزنبق فكانت لاتزال حفرة من الطين.

وهناك شاهدا مجموعة من الرسامين الهواة الذين أحضروا مساند لوحاتهم وراحوا يحدقون في رقعة واسعة من النرجس، كانوا ينقلون المشهد الشتوي إلى قماش لوحاتهم التي رغبت في مزيد من اللون الأخضر.

فكر هونما بكيوكو شينجو، هل هي في إجازة اليوم ياترى، وقد خرجت هي الأخرى في نزهة في هذا اليوم الجميل؟ أم إنها بقيت في البيت تنزع شراشف السرير وتعرضها للشمس؟

تاموتسو أيضاً خطر بباله، هل يخطط الآن لقلب باحة المدرسة؟ لكنه أمر مستحيل ولابد أن يحاول منعه.

ربما بدا الأمر برمته خطأً كبيراً وعليه أن يهدم البيت الورقي الذي كان يبنيه ويعود إلى العمل، عمله الحقيقي.

قال ماكوتو وهو يركض بضع خطوات إلى الأمام: «لم نقم بهذا منذ وقت طويل، أنا سعيد لأنك تشعر بالتحسن».

«ماكوتو، أنت أفضل طبيب حظيت به».

توقفا قليلاً ليراقبا بعض الأشخاص وهم يصطادون السمك في الخندق المائي، عندها عطس ماكوتو مرتين فتوجها إلى البيت بعد أن قررا أن يقوما بنزهة أخرى في وقت قريب.

الساعة في المتنزه تشير إلى الثالثة إلا الربع، فتلفت ماكوتو حوله وقال:

«ربما يكون كازي آتياً الآن».

«افرض أن اللعبة قد بيعت كلها وعاد كازي خالي اليدين».

«لقد اتصل كازي ليتأكد قبل أن يذهب، لا تحاول العبث معي».

إن أولاد هذه الأيام يخططون لكل شيء، قال هونما في نفسه وهما يتابعان السير إلى أن ظهر المبنى أمامهما، فتوقف ماكوتو فجأة: «هيه، ماذا يجري؟»

هب تيار من الدخان نحوهما فجأة، فنظر هونما باتجاه مكان حرق القمامة وقال:

«سأذهب لألقي نظرة». ركض ماكوتو خلفه: «أنا آت معك».

وهناك شاهدا رجلاً يرتدي ثياب العمل وقد انحنى بجانب موقد صغير لحرق القمامة، كان ينفخ الدخان بإحدى يديه ويحمل كومة من النفاية باليد الأخرى، لكنه تجاهل هونما وراح يهز رأسه، فقد توقع أنه سيتذمر: «آسف، إنها مجرد أوراق وقد أرسلت للحرق لأن المخزن صغير جداً».

عندها انطلقت غيوم ساخنة من باب الفرن المعدني جعلت ماكوتو يسعل.

قال هونما: «لا بأس». وعندما أمسك ماكوتو من يده ليقوده بعيداً نظر إلى قاعدة الموقد فرأى رزمة من دفاتر الحسابات القديمة وقد حزمت مع بعضها بأشرطة سوداء.

سأله هونما: «هل تقوم بحرق هذه الدفاتر؟».

مسح الرجل جبينه بيده التي كان يلبس فيها قفازاً وقال:

«أجل ياسيدي، فالرجل الذي انتقل من هنا يوم الأحد الماضي كان يعمل محاسباً وهو يحتفظ بهذه السجلات منذ أكثر من عشرة أعوام».

«لابد أنها تطلبت عملاً كثيراً لإنجازها».

«صحيح، لكن لا يمكننا تركها هكذا. يجب أن يقوم أحد ما بالتخلص منها كلها. انظر، لابد أن ذلك الرجل استخدم الكثير من الحبر، كان عليه أن يأخذها إلى المتحف فلم يعد أحد يقوم بالحسابات بهذه الطريقة، فالجميع لديهم أجهزة كمبيوتر في هذه الأيام، إنك تدخل البيانات مرة واحدة وحسب ولست بحاجة إلى الورق».

راح هونما يكرر كلام الرجل لنفسه: «تدخل البيانات مرة واحدة...ولست بحاجة إلى أي»...

قال ماكوتو: «لكن هذا ليس صحيحاً».

قال الرجل مكشراً: «حقا؟».

«هذا ما قالته المعلمة. لقد اشترت واحدة من تلك المفكرات الإلكترونية، لكن هل تعلم لماذا؟ لقد كتبوا في كتيب التوجيهات أنه إذا فرغت البطارية فجأة، فسيمحى كل شيء، لذلك يجب أن تحتفظ

بالمعلومات المهمة في سجل وتضعه في مكان آخر ليكون في أمان، هذا ما يقال».

ضحك الرجل: «هذا يحدث في الأجهزة الرخيصة فقط».

«لا، كل الأجهزة هكذا، هذا ما قالته المعلمة. ولهذا السبب يجب عليك أن تحتفظ بنسخة من المعلومات على الورق أيضاً».

«غير أن هذا يتطلب جهداً مضاعفاً».

«أجل، ولكن هذا ما يقال».

فتح الرجل غطاء موقد حرق القمامة ووضع رزمة جديدة.

نظر ماكوتو إلى والده الذي كان يقف هناك هادئاً بشكل غريب.

«ما الأمر يا والدي؟».

وضع هونما يده على رأس الصبي: «شكراً جزيلاً أيها الشاب».

«ها؟ على ماذا؟».

ابتسم هونما وراح يعبث بشعر ماكوتو: «أتعلم؟ أنا أشكرك. علي الذهاب إلى أوساكا غداً».

# ✧ 27 ✧

أول عمل قام به هونما في صباح اليوم التالي، كان ركوبه القطار السريع إلى أوساكا ومن ثم توجه مباشرة إلى مقر ميتومو جروب ليسأل عن وادا.

هذه المرة استقبلته موظفة الاستقبال وأرته الطريق، أما وادا فقد أغلق الباب خلفه هذه المرة.

كانا واقفين في غرفة الانتظار في شركة روزالين وقد تجهم وجه وادا عندما كرر هونما طلبه.

«بيانات مطبوعة على الورق؟ هل قطعت كل هذه المسافة لتسألني عن هذا الأمر؟».

«في الواقع، ليس من أجل هذا فقط».

مال هونما نحو الأمام وقال بلهجة أكثر حزماً: «تلك الاستبيانات ونماذج طلبات الشراء، ماذا تفعلون بها بعد إدخال البيانات إلى الكمبيوتر؟ هل تتخلصون منها مباشرة؟».

«طبعاً، وإلا ستشغل حيزاً كبيراً، نحن نقوم بتمزيقها كل شهر».

«حقاً؟».

«أجل، وحتى آخر قصاصة». كان صوت وادا واثقاً، بل أكثر من واثق تقريباً.

قال هونما: «أوه؟ صحيح؟».
كان هونما يشدد على كل كلمة للتأكيد.
«ومن هو، إن كنت أستطيع أن أسأل، المسؤول عن هذه الإجراءات؟».
أخفض وادا رأسه وراح ينظر هنا وهناك.
سأله هونما ثانية: «من يقوم بعملية التمزيق؟».
غيَّر وادا وقفته واستند إلى الرجل الأخرى ثم وضع يده أمام أنفه وكأنه يريد أن يخفي وجهه ونظر إلى الأسفل.
«لا أظنه سؤالاً صعباً إلى هذه الدرجة، هل هناك سبب يمنعك من أن تخبرني؟».
«الإدارة، قسم العلاقات العامة». جاء الجواب أخيراً، ثم أضاف بسرعة:
«لكن الآنسة شينجو لم تكن تعمل في العلاقات العامة».
«وماذا تفعلون بالأوراق التي يجب أن تمزق؟».
«نرسلها كل شهر إلى إحدى شركات أمن المعلومات الخاصة».
«وبعد ذلك؟».
«تحفظ هناك في مستودع في الطابق السفلي».
«وهل المستودع مقفل؟ هل يدخل أحد إليه؟».
هذه المرة سكت لفترة أطول.
«سيد وادا».
«نعم ياسيدي». قال ذلك بنبرة رخوة تشبه النبرة التي يجيب بها التلميذ أستاذه.

«هل يستطيع أحد الدخول إلى هناك؟».

سعل وادا: «أية واحدة من الموظفات تستطيع ذلك، أجل».

تنهد هونما تنهيدة ارتياح. الأوراق، النماذج المكتوبة بخط يد الزبائن، إن كيوكو ليست بحاجة إلى استعمال الكمبيوتر حتى تحصل على هذه المعلومات، لكن ليس هناك أي دليل على هذا حتى الآن؟

«أفترض أن هناك معاهدة على السرية بينكم وبين شركة أمن المعاومات تلك صحيح؟».

«أكيد، فالاستبيانات وطلبات الشراء تتضمن معلومات شخصية».

«عندما ترسلون الشاحنة، هل هناك من يقوم بعد الصناديق أو مراقبة ما الذي يجري هناك؟ من المسؤول عن هذا الأمر؟».

«الإدارة على ما أظن».

«هل يمكنك أن تتأكد؟ عندما كانت كيوكو شينجو هنا من نيسان 1988 حتى كانون الأول 1989، هل حدثت أية مخالفات، عدم توافق في أرقام الصناديق، أو نقص في الأوراق».

نظر إليه وادا وقد بدا مصدوماً: «تريدني أن أتحقق من كل هذا؟».

«إن كنت تستطيع».

«أخشى أنه ليس لديّ وقت لـ...؟».

«جيد، عندها سأضطر لأن ألجأ إلى من هو أعلى مرتبة منك، أيمكنك إعطائي اسم مديرك؟».

في الحقيقة ستتعقد الأمور كثيراً إذا رفض وادا أن يتعاون، لكن لا بأس في أن نرى ما الذي سيحدث عند استخدام بعض الضغط.

«مديري؟».

«طبعاً، كنت أفضل ألا أدخل شخصاً آخر إذا لم يكن هناك ضرورة، فهذه القضية حساسة نوعاً ما. قال هونما ذلك بحذر.

وبعد دقيقة اقتنع السيد وادا ولم تعد هناك حاجة إلى التحقق من شيء.

«سيد وادا، هل طلبت منك الآنسة شينجو يوماً أن تريها أو تصنع لها نسخاً من بيانات الزبائن؟».

وفجأة انهار وادا تماماً، طأطأ رأسه واعترف:

«لقد طلبت مني ذلك، أجل، لقد أريتها البيانات، لقد ساعدتها».

تنهد هونما مرة أخرى.

«لكني لا أذكر متى حدث ذلك بالضبط».

«آه، لا؟ ليس لديك فكرة؟».

هز وادا رأسه.

«لا بأس، أخبرني ماذا فعلت فحسب».

«إنه أمر في غاية البساطة، كل ما عليك فعله هو أن تسرق بعض الأوراق من الصناديق المعدة للإرسال، فالشركة تأتي لأخذها مرة في الشهر فقط».

«وماذا وجدت في الصناديق التي فتحتها؟».

«بعض الاستبيانات فقط».

«استبيانات شركة روزالين المألوفة والاعتيادية؟».

«كما قلت لك، أنا لا أذكر صدقني»...

«لا شيء إطلاقاً؟».

إلى متى سيبقى متذرعاً بهذه الحجة؟ كانت عيناه لاتزالان تجوبان المكان.

«أول مرة كانت في شهر حزيران».

المرة الأولى؟!

«إذاً لقد حدث هذا عدة مرات؟».

أومأ وادا برأسه، لا عجب أنه كان قلقاً إلى هذه الدرجة.

كرر هونما: «حزيران، أي حزيران؟».

«في السنة التي جاءت فيها للعمل هنا». أي في سنة 1988.

«وكم مرة قمتما بسرقة هذه المعلومات السرية؟».

«أربع مرات».

«هل كانت أربع مرات متتالية؟ حتى شهر آب؟».

«هذا صحيح، كل شهر».

ثم قال بهدوء ومن دون أن يسأله هونما: «كانت كلها من طوكيو- كانتو- كوفو- ناجويا، لقد قلت لنفسي إن هذه الفتاة تقرأ بطريقة ظريفة، تخيل، لهذا السبب مازلت أذكر».

«ألم تقل كيوكو لم كانت تريد هذه الاستبيانات؟».

«قالت إنها كانت تطور مهاراتها في استخدام الكمبيوتر، كيف تشغل البرامج ومثل هذه الأشياء ولذلك فهي بحاجة إلى بعض البيانات لتعمل عليها».

«هذا هو السبب الذي قدمته؟».

بقي وادا صامتاً.

«لا يمكن أن تكون قد صدقت مثل هذا الكلام».

أجبر نفسه على الابتسام: «في الواقع، لقد تصورت أنها كانت تبيعها إلى واحدة من تلك الشركات التي ترسل الإعلانات إلى الزبون مباشرة».

مهما كانت أسباب كيوكو، كان واداً جاهزا لمساعدتها ومن دون أن يطرح الأسئلة.

«سيد وادا».

«نعم؟».

«ألديك طريقة ما لنعرف فيما إذا كان الاستبيان الخاص بشوكو سيكين بين تلك الأوراق التي قمتم بأخذها؟».

«لا أريد أن أكون متسرعاً، لكن عندما أجد بعض الوقت سأتحقق من ذلك». ثم أضاف:

«إن البيانات المأخوذة من هذه الاستبيانات مزودة بتواريخ، لذا يمكن أن نشغل برنامج بحث ونحصل على المعلومات التي أدخلت إلى الكمبيوتر في فترة زمنية محددة».

«هل تستطيع طبع جميع الاستبيانات التي جمعت خلال الأشهر الأربعة ابتدءا من شهر نيسان؟ لا يهم إن كان هذا يستغرق وقتاً طويلاً، يمكنني أن أنتظر».

تنهد وادا، لقد توقع هذا: «هل هذا ضروري حقاً؟».

«حسناً، أتساءل إن كان مديرك يراه ضرورياً أم لا».

أخذ يحك رأسه بيديه الاثنتين: «حسناً، حسناً، لكن لنبق الموضوع بيننا إذا سمحت».

كما توقع هونما لم يكن وادا يريد أن ينفضح الأمر.

أنهى وادا الحديث بوعد غير أكيد: «سأرى ما الذي أستطيع فعله».

ثم طلب من هونما أن يمنحه ساعتين من الوقت وينتظره في المقهى نفسه، كانتيكي، عندها تخيل هونما نفسه وهو يجلس وحيداً يشرب فنجان القهوة واحداً تلو الآخر.

بعد الوقت المحدد بحوالي خمس عشرة دقيقة، جاء وادا حاملاً معه رزمة من الأوراق التي طبعها من الكمبيوتر تبلغ سماكتها حوالي إنشين.

قال وهو يضع الأوراق على الطاولة: «مئة وستون استبياناً».

راح هونما يقلب في الأوراق: «وماذا عن شوكو سيكين؟».

قال وادا وهو يشير إلى الرزمة: «إنها هنا، في الصفحات الخاصة بشهر تموز».

لقد أدخل اسم شوكو سيكين إلى نظام شركة روزالين في الخامس عشر من تموز. لكن ما الذي جذب كيوكو إليها بالضبط؟ ما هي الأولويات التي كانت تبحث عنها وهي تمحص في كل هذه الأسماء والعناوين والأعمار وأماكن العمل وأرقام جوازات السفر؟

أولاً، العمر، يجب أن يكون عمر الفتاة التي تبحث عنها مناسباً بحيث لا تكون أكبر منها بكثير ولا أصغر وأن تعيش في مكان بعيد عن أوساكا قدر الإمكان، وأن لا يكون عملها مهماً جداً أو مميزاً حتى لا يصبح غيابها لافتاً للانتباه، ويفضل أن تكون فتاة عاطلة من العمل أو تعمل بمهنة حرة، وأن لا يكون لديها أي أقارب أو علاقات كثيرة

مع الناس. بمعنى آخر أن يكون وجودها أو غيابها لا يشكل فرقاً كبيراً بالنسبة لأي شخص.

لا بد أن تكون كيوكو قد دققت كثيراً في هذه البيانات لتجد فتيات تتوافر لديهن هذه المواصفات، وربما اختارت خمساً منهن لا أكثر وحالما وجدت الفتاة التي هي بحاجة إليها، توقفت عن البحث وبدأت تستعد للخطوات القادمة.

قال وادا: «ما دمت قد وجدت شوكو سيكين التي تبحث عنها، فالأفضل أن أنصرف فلديَّ عمل كثير ينتظرني في مكتبي»...

رفع هونما نظره عن الورقة التي تتضمن بيانات شوكو سيكين وقال: «لا، انتظر لحظة، خمس دقائق فقط».

لقد وجد شيئاً ما، لكن يبدو وكأن كل تلك الحماسة التي تملكته وهو يبحث عن شوكو قد خمدت الآن وتحولت إلى لهيب ضعيف وهادئ.

«ماذا هناك؟».

إن شوكو سيكين لم تكن خيار كيوكو الأول.

كان هونما على وشك أن يضرب نفسه. لقد ورد اسم شوكو في الأوراق الخاصة بشهر تموز، لكن كيوكو طلبت من وادا أن يحضر لها بيانات شهر آب أيضاً، وهذا يشير إلى وجود مرشحات أخريات. فتيات تنطبق عليهن المواصفات التي تريدها كيوكو بشكل أكبر.

ربما كانت شوكو في البداية من بين المرشحات، ثم سمعت كيوكو بالصدفة عن موت والدتها، فلقد كانت تطالع صحف طوكيو، كما نعلم، ومن الممكن أن تكون قد قرأت شيئاً ما عن (التصميم المعماري

الخاطئ) الذي تسبب بموت السيدة سيكين. ليست جريمة قتل بل حادث وربما يكون انتحاراً. ألا يمكن أن يكون اكتشافها بأن شوكو أصبحت وحيدة كان سبباً كافياً لجعلها تركز اهتمامها عليها؟

«لا أعرف بماذا تفكر، لكن أهو أمر خطير إلى هذه الدرجة؟».

كان هونما يخفي شعوره بالخوف وراء تعابير وجهه اللامبالية.

«يمكن أن يكون خطيرا جداً».

«لكن، اسمع... أنا لم»...

«سيد وادا، حاول أن تتذكر، هل ذهبت الآنسة شينجو إلى جبال منطقة ياماناشي يوما؟».

«ياماناشي؟».

«أجل إلى نيرزاكي. إنها بالقرب من كوفو وعلى خط تشوو، يوجد هناك تمثال كبير لإلهة الرحمة، هل ذكرت ذلك أمامك يوماً؟».

قال وادا بصوت مرتبك وقلق: «أنا... نعم أظن أنها ذهبت إلى هناك».

«حقاً؟ وكيف عرفت أنت بهذا؟».

«لأنني... أقصد... لقد ذهبت معها إلى هناك».

«ذهبتما معاً؟».

«ذهبنا برحلة في السيارة، نعم، في الواقع كانت هذه رحلتنا الثانية معاً». ثم بلع ريقه بصعوبة وقال:

«لقد تزوجت أختي وسكنت في كوفو، لذا فكرت في أخذ كيوكو إلى هناك لتتعرف إليها».

وضع هونما إصبعه على جبينه وقال: «ذهبتما أنتما الاثنان في

السيارة سوية».

«أجل».

«وقعت في غرام الآنسة شينجو. صحيح؟».

لم يجب وادا.

«لو أنها عرفت رجلاً آخر في ذلك الوقت، لعلمت بالأمر، أليس كذلك؟ ألم تلحظ ما يشير إلى وجود رجل آخر في حياتها؟».

هز وادا رأسه.

«هل أنت متأكد من هذا؟».

«أجل، أنا متأكد، أقصد أننا كنا»...

«كنتما حبيبين».

أومأ وادا برأسه بحزن شديد.

لقد كانت كيوكو تسيطر عليه تماماً، لكن من هو ذلك الرجل الذي تحدثت عنه كارو سودو؟ الذي كان مع كيوكو في السيارة عندما وقع الحادث، والذي لم تفصح عن اسمه إطلاقاً.

تذكر هونما كلمات كارو «ذراعها اليمنى كانت مغطاة بالحروق، ترتعش من الحمى، وفي الحمام تدق رأسها بالحائط»...

قال وادا فجأة: «كنت جاداً تماماً في حبي لها، وهي عرفت هذا بالتأكيد، لا يمكن أن يكون هناك رجل آخر».

نظر هونما في وجهه مباشرة: «أجل هذا صحيح، أنا أصدقك».

لم يكن هناك أي شخص آخر ولهذا السبب لم تذكر كيوكو أي اسم أبداً، فلم يقع أي حادث مرور في المنطقة.

نظر هونما إلى البيانات المطبوعة مرة أخرى، وشعر بقشعريرة تسري

في ظهره.

في ذلك اليوم الذي نتكلم عنه أي 1989/11/19، كانت كيوكو شينجو في طوكيو أو في يوكوهاما أو كواسالي تطارد امرأة ما، واسمها مختبئ هنا بين هذه الصفحات، وربما تكون شخصاً قريباً، بل وقريباً جداً منها.

خطرت كلمات كارو في بال هونما من جديد: «لم تكن حروقاً من الدرجة الثالثة، غير أنها كانت تغطي ذراعها بالكامل. كانت سترتها قد احترقت».

تذكر أيضاً زجاجة الغازولين في شقة هونانتشو، والرائحة القوية التي شمها عندما أمسك بها، بالإضافة إلى شفرات المروحة اللامعة.

إنه حريق بلا شك.

الخطوة الأولى التي تعين عليه القيام بها بعد عودته إلى طوكيو هي الاتصال بجميع السيدات التي قد تكون كيوكو قد تعاملت معهن. وهكذا تغيب فوناكي عن العمل في ذلك اليوم، كما شارك إيساكا وزوجته أيضاً في عملية البحث في تلك البيانات عن النساء اللواتي كن في العشرينيات من العمر.

لقد أوعز فوناكي إليهم قائلاً:

«قولوا إنكم من الشرطة إذا اضطررتم إلى ذلك، واسألوا كل سيدة ورد اسمها في هذه البيانات إن كان أحد أقاربها قد تعرض لحادث أو تأذى بطريقة ما خلال السنتين الماضيتين، دعوهن يقلن كل شيء مهما

استغرق ذلك من وقت».

بعض السيدات كن قد انتقلن، والبعض الآخر أجاب المجيب الآلي بدلاً عنهن، وقليلات هن من أجبن على الهاتف بأنفسهن. عملية مرهقة للأعصاب، وعندما حل الظلام قام فوناكي بإرسال إيساكا وهيسي إلى بيتهما وقد بحت أصواتهما.

تجاوزت الساعة الحادية عشرة، وانتهى وقت العمل عندما وضع فوناكي يده على السماعة وصاح: «هيه، لدينا عمل هنا!»

نادى هونما الذي كان عند النافذة يمد رجليه قليلاً ليريحهما، ثم تكلم في الهاتف ثانية:

«انتظري، سأحولك إلى الضابط المسؤول».

إيمي كيمورا، في الرابعة والعشرين من عمرها وقد ذكر في صفحة البيانات الخاصة بها أنها تقوم بعمل حر. تكلمت في بداية الأمر بصوت لطيف وبنبرة طفولية حتى. قاطعت هونما وسألته:

«هل هذه مسألة جدية؟ أم أنها كاميرا خفية أو ما شابه ذلك؟».

«لا اسمعي، أعتذر لإزعاجك بهذه الطريقة، لا أعرف إن كنت قادرة على مساعدتنا أم لا، لكن دعيني أشرح لك. لقد وصلنا إليك عن طريق قاعدة بيانات الزبائن التي حصلنا عليها من شركة تدعى روزالين، أظنك سمعت بهذا الاسم؟» سكت هونما قليلاً ثم تابع:

«آنسة كيمورا، أنا آسف... لكن هذه الأسئلة التي نطرحها عليك مهمة جداً من أجل التحقيق الذي نقوم به. أنت لا تنتمين إلى عائلة كبيرة وتسكنين وحدك، هل هذا صحيح؟ ووالداك متوفيان أليس كذلك؟»

قالت إيمي بصوت مرتجف: «كيف عرفت كل هذا؟».

أومأ هونما إلى فوناكي إيماءة تدل على أن الأمور تسير بشكل جيد حتى الآن.

«لقد سألك زميلي الذي تحدث إليك منذ قليل إن كان أحد أقاربك قد تعرض لحادث أو أصيب بمكروه في السنتين الماضيتين وقد أجبته بنعم، فهل يمكنك أن تخبريني بعض التفاصيل عن هذا الأمر؟».

مرت دقيقة قبل أن تجيب إيمي: «لقد كانت أختي».

«أختك؟».

«نعم».

كرر هونما بهدوء: «نعم؟».

بدأت إيمي تشعر بالانزعاج: «اسمع، سوف أغلق الخط. كيف لي أن أعرف أنك لا تقوم بخداعي؟ وكيف بإمكاني أن أتأكد بأنكما محققان بالفعل؟».

تردد هونما قليلاً، فأخذ فوناكي منه سماعة الهاتف وراح يملي عليها رقم الخط المباشر لفرع التحقيق.

«هل كتبته؟».

اسمعي الآن ما أريده منك هو أن تتصلي بالرقم واذكري اسمينا واسألي إن كان لديهم في الفرع محققان يحملان هذين الاسمين، ثم أخبري الضابط الذي سيجيب على الهاتف بأنك بحاجة إلى أن تكلمي المحقق هونما في أمر ضروري وملح وأنه يجب أن يتصل بك في الحال، ثم أعطه اسماً ورقم هاتف مزيفين ولا تذكري اسمك ورقمك الحقيقيين. ذلك الضابط الذي ستكلمينه سيتصل ليخبرنا

بأنك اتصلت، وعندها سنتصل بك ونخبرك بالاسم والرقم المزيفين اللذين أعطيتهما له وهكذا ستتأكدين بأن كل شيء على مايرام، أيرضيك هذا؟».

وافقت إيمي وأغلقت الخط.

قال فوناكي وهو يشعل سيجارة: «إذا كنت في عجلة من أمرك، فاسلك الطريق الفرعي. والآن ما الذي سنفعله إذا لم نوفق مع إيمي هذه؟».

هز هونما رأسه: «أتعلم، أتساءل لم عادت لاختيار واحدة من السيدات في حين لديها تلك البيانات؟ فحسب ما سمعت عن كيوكو، لا بد وأنها احتفظت بسجلات مفصلة من باب الاحتياط».

«أجل، هذا كلام منطقي».

«حسناً إذاً، لابد أن يكون اختيارها الأكثر احتمالاً في هذه المرحلة هو المرأة التي كانت قد اختارتها ثم غضت النظر عنها، أي مرشحتها الأولى. إذا وجدناها، فسنجد كيوكو أيضاً. إننا نقترب منها».

«إذا أنت تظن بأن إيمي ستقودنا إلى كيوكو؟».

في هذه اللحظة رن جرس الهاتف، إنه الضابط المناوب.

«هون؟ لقد اتصلت بك السيدة أكيكو ساتو وكانت تريد التحدث إليك في أمر مهم، لقد أخبرتها أنك في إجازة لكنها كانت مصرة».

لقد مرّ وقت طويل منذ أن سمع اللقب الذي ينادونه به في الفرع «هون». بدا ذلك وكأنه يشبه كلام زوجين مر على زواجهما زمن طويل.

«هل تركت رقم هاتفها؟».

«هذا هو المضحك في الأمر، إنه 4444– 5555 ألا تظن أنه مقلب؟».

«حسناً، شكراً لاتصالك». ثم ضغط زر إعادة طلب الرقم واتصل بإيمي.

رفعت إيمي السماعة عند أول رنة.

«مرحباً، هل هذه أكيكو ساتو؟ وهل الرقم هو 4444–5555؟»

همس فوناكي: «إن لهذه الفتاة خيالاً واسعاً».

لكن إيمي كيمورا لم تكن في حالة نفسية تسمح بالمزاح، بل انفجرت في البكاء.

«لقد تعرضت أختي لحادث مريع قبل ثلاث سنوات، أي سنة 1989، في أواخر شهر تشرين الثاني، في التاسع عشر أو العشرين منه وكان ذلك يوم أحد».

«ما الذي حدث؟».

«حريق. لقد احترقت بشكل مريع وأصيبت بخلل في الدماغ بسبب كل الدخان الذي استنشقته، ثم دخلت في غيبوبة لفترة طويلة من الزمن إلى أن توفيت أخيراً في الصيف الماضي».

إذا كانت هذه هي غلطة كيوكو شينجو الفادحة، فمرشحتها الأولى كانت إيمي كيمورا لكنها أخفقت في التخلص من الفرد الوحيد في عائلتها. طبعاً كان بإمكان كيوكو أن تمضي في خطتها وتتدبر أمر الأخت فيما بعد، لكن كان في ذلك مخاطرة كبيرة، فماذا لو أفاقت الأخت من غيبوبتها؟ وإذا حاولت كيوكو قتلها مرة أخرى، فسيتضح

أن الأمر لم يكن حادثاً. وهكذا انتقلت إلى فتاة أخرى، كانت قد أصبحت يتيمة منذ وقت قريب.

لكن مازال هناك عدة نقاط بحاجة إلى توضيح.

«آنسة كيمورا، كيف حدث الحريق؟».

أجابت إيمي مباشرة: «لا نعرف كيف بدأ، لكن الشرطة وقسم مكافحة الحريق قالوا إنه تم بفعل فاعل. لقد حدثت عدة حرائق في المنطقة في ذلك الوقت، وكأن أحد الأشخاص كان يريد أن يرعب الحي فقد أصيب الجميع بالقلق، لقد تحدثوا عن ذلك في الأخبار».

أغمض هونما عينيه. إنها الجرائد مرة أخرى، جرائد طوكيو التي كانت كيوكو تتصفحها، ربما تكون قد قرأت عن حوادث الحريق تلك وقررت أن تستغل الوضع.

«يومها كان لديَّ دروس في الرقص وتأخرت في العودة إلى البيت، أما أختي فقد كانت قد أوت إلى الفراش ولم تتمكن من الهروب في الوقت المناسب».

لكن هونما كان يشك بأن هذا هو ما حصل، بل كان يرى أن النار أصابت هدفها المنشود بدقة وفي الوقت المحدد بالضبط.

«آنسة كيمورا». نظر إلى فوناكي وبلع ريقه بصعوبة: «في الفترة التي حدث فيها الحريق أو قبله بقليل، هل تعرفت أنت أو أختك إلى أشخاص جدد؟».

«تقصد صديقات؟».

«نعم، هل تعرفتما على أية واحدة؟».

صمتت إيمي للحظة ثم قالت: «لا أعرف، نسيت كل شيء يتعلق

بتلك الفترة، فلقد كانت صدمة كبيرة».

قال هونما مؤكداً كلامها: «أجل بالطبع، لكن ماذا عن الفترة القريبة الماضية؟ هل كونت صداقات جديدة مؤخراً؟».

«صداقات جديدة؟».

«أجل، كأن تكون إحدى الفتيات قد جاءت وقالت لك إنها صديقة قديمة لأختك، أو توقفت فقط لتسألك عن عنوان ما فتبادلتما الحديث أو»...

«أجل، لقد حدث ذلك بالفعل».

«قابلت إحداهن؟ من هي؟ هل تعرفين اسمها؟».

«اسمها الآنسة شينجو، كيوكو شينجو».

«كيوكو شينجو».

ما إن سمع فوناكي هونما وهو يردد الاسم حتى صفع جبهته براحة يده ثم لوح بقبضته ذهاباً وإياباً في الهواء فوق رأسه معبراً عن ابتهاجه.

«ومن تكون؟ كيف تعرفت إليها؟».

«إنها إحدى صديقات أختي، لقد اتصلت منذ عدة أيام فقط».

لم يعد هونما قادراً على التنفس: «ماذا؟ اتصلت منذ عدة أيام؟».

قفز فوناكي واقفاً على قدميه وأطلق صيحة فرح: «ياهووو!».

رفع هونما ساقه السليمة وتظاهر بأنه يركله من بعيد: «أعتذر عن هذه الضجة، فزميلي سعيد جداً لأننا وجدناها».

تفاجأت إيمي بعض الشيء إلا أنها ضحكت ضحكة خفيفة.

«ماذا قالت لك كيوكو شينجو؟».

«قالت إنها لم تسمع شيئاً عن أختي منذ وقت طويل فقررت أن تتصل، وعندما أخبرتها بأنها ماتت عبرت عن أسفها وطلبت مني أن آخذها لتزور القبر، فاتفقنا أن نلتقي في جينزا مساء السبت القادم».

# ✧ 28 ✧

قام هونما بجميع الترتيبات من أجل يوم السبت، وكانت خطوته التالية الذهاب إلى أوتسونوميا.

في الطريق إلى هناك تأرجحت أفكاره وتمايلت مع حركة القطار، لم يتصل تاموتسو به منذ أن غادر وهو مفعم بالثقة. هل ظن حقاً أن بإمكانه أن يحفر كل إنش من باحة المدرسة القديمة؟

لقد قرر هونما أن يؤجل أعمال الحفر الآن. إذا تمكنوا من إيجاد كيوكو شينجو، فإن البحث عن الجثة يمكن أن ينتظر.

كان هونما قد ترك رسالة فقط لتاموتسو يخبره فيها بأنه آت، لكن ما إن خرج من الباب الدوار حتى سمع شخصاً يناديه باسمه. كان تاموتسو واقفاً بكتفيه العريضين وابتسامته الخشنة ذاتها في الجانب الآخر من ردهة المحطة.

في الخارج كانت الرياح الشمالية التي تهب على سهل كانتو العظيم شديدة البرودة لدرجة أنها يمكن أن تؤذي جيوبك الأنفية إلا أن الركوب في سيارة هوندا موتورز كان مريحاً جداً فجلس هونما يفرك ركبتيه لعدة دقائق حتى يحرك دورته الدموية.

بدأ تاموتسو الحديث: «هناك عدة أمور أريد أن أخبرك بها».

قاطعه هونما: «عظيم. لكن دعني أبدأ أنا أولاً، سنلتقي بكيوكو

شينجو يوم السبت القادم».

أصيب تاموتسو بذهول شديد عندما كان هونما يخبره بآخر التطورات، واضطر لأن يطلب منه لمرتين أن يتكلم ببطء، وفي النهاية أوقف السيارة على جانب الطريق وأطفأ المحرك. قال إنه يشعر بتوتر شديد وقد انتظر عشر دقائق تقريباً قبل أن يشغل المحرك من جديد.

«هل قلت يوم السبت؟ أي بعد غد؟ هل يمكنني المجيء معك؟».

«طبعا».

«هل تتذكر ماذا قلت لي؟ عن أنني سأكون أول من يتحدث إليها؟».

«أجل أذكر».

عبر تاموتسو التقاطع بسيارته لحظة تحول ضوء إشارة المرور إلى اللون الأحمر مباشرة. ثم قال وهو محدق نحو الأمام ويداه تقبضان على المقود:

«أريدك أن ترى المدرسة قبل أن نتوجه إلى البيت، إنها بالقرب من متنزه هاتشيما ياما».

انطلقا بسرعة في الشوارع التي كان هونما لايزال يتذكرها منذ الزيارة الماضية. فوصلا إلى منطقة مرتفعة تطل على هضاب خضراء اللون. كانت مدينة تحيط بها مساحات شاسعة وهي نعمة لا ينعمون بها في طوكيو.

لم يكن ملعب المدرسة التي درس فيها تاموتسو وشوكو مجرد ملعب كرة سلة صغير، بل ذا مساحة كبيرة تكفي لإقامة مباراة بيسبول ومباراة كرة قدم في الوقت نفسه. من بعيد لاح مبنى المدرسة الرمادي

اللون ذو الأربعة طوابق، وامتدت أشجار الكرز حول جميع الصفوف لتطوق الملعب بأكمله.

لا بد أن هذا المكان يصبح رائعاً جداً في الربيع.

«لن تتمكن أبداً من قلب كل هذا التراب».

مجموعة من الأولاد بلباس الرياضة الأحمر الداكن في الخارج يقفزون على الحبل. حوالي عشرين أو ثلاثين ولداً منهم كانوا من طلاب المدرسة الثانوية على الأغلب، وكان مدربهم ينفخ في صفارته بقوة من وقت لآخر.

قال تاموتسو وهو يمسك السياج بكلتا يديه: «لقد سألت جميع أصدقائي وحاولنا أن نتخيل كيف كانت ساحة المدرسة عندما كنا لانزال نأتي إلى هنا».

نظر هونما إليه: «ماذا تقصد؟».

«لقد أعادوا بناء المكان بكامله منذ خمس سنوات».

«أوه». إذا من المستحيل القيام بأي شيء.

قال تاموتسو وهو يحك رأسه: «لقد قاموا بتغيير مكان مبنى المدرسة، ولذلك أنا لا أستطيع الآن أن أحدد مكان قبر ذلك الطائر اللعين».

ثم ضحك بصوت عال.

نظر هونما إلى الشاب ثانية. لم هو سعيد هكذا؟

«كنت أفكر بالاتصال بك، لا لأخبرك بأني لم أتوصل إلى شيء، بل أردت التحقق من بعض الأمور».

ثم أخبره أنه منذ سنتين وفي ربيع عام 1990، في أوج موسم تفتح

أزهار الكرز، جاءت إحدى السيدات والتي يجب أن تكون كيوكو شينجو لزيارة باحة المدرسة».

«أوه حقا؟».

استند تاموتسو إلى السياج وتابع يقول ببطء: «أجل هذا صحيح، لقد أخبرتني بذلك إحدى المدرسات القديمات وتدعى السيدة كينا، إنها تعمل هنا حتى من قبل أن نأتي أنا وشوكو إلى هذه المدرسة. صحيح أنها تجاوزت الخمسين لكنها تحتفظ في رأسها بسجلات مفهرسة أفضل من أي أمين مكتبة».

إذاً لابد أن تكون صورة كيوكو مطبوعة في ذهنها أيضاً.

تابع تاموتسو: «قالت إنها لاتزال تذكر ذلك لأن الفتاة كانت جميلة جداً».

«أين رأتها تلك المعلمة؟ وهل سألتها ما الذي كانت تفعله؟».

«حدث ذلك بعد ظهر أحد أيام السبت. لقد جاءت كيوكو إلى باحة المدرسة مباشرة ومشت إلى هناك».

ثم رفع ذراعه مشيراً إلى صف من أشجار الكرز.

«كانت تتجول هناك وكأنها تتفرج على أزهار الكرز، وقد كان هذا التصرف مألوفاً جداً فكثير من سكان المنطقة وحتى السياح كانوا يأتون لهذا الغرض. لم تهتم السيدة كينا بها كثيراً في البداية، إلا أن الفتاة وقفت هناك وقتاً طويلاً مما أثار قلق السيدة كينا فذهبت إليها. كانت تلبس تنورة وسترة بلون أسود وبدون زينة تقريباً وكأنها ذاهبة إلى جنازة أو ما شابه».

عندما اقتربت المعلمة قالت لها الفتاة إنها لم تشعر بمرور الوقت

وهي واقفة تتأمل أزهار الكرز، لكن المعلمة شكت في أمرها قليلاً فسألتها عن سبب مجيئها إلى هنا.

«هل تعلم ماذا قالت؟ قالت إنها تقوم برحلة بالنيابة عن صديقتها».

رفع هونما نظره إلى قمم أشجار الكرز العارية من الأوراق وكرر الكلمات في نفسه: «رحلة بالنيابة عن صديقتها».

«عندئذ سألتها السيدة كينا إن كانت صديقتها هذه تعيش في الجوار، فكان جوابها نعم، هل فهمت؟ هل أنت مستعد للبقية؟».

أخذ تاموتسو نفساً عميقاً ثم تابع:

«قالت إن صديقتها درست في هذه المدرسة بالذات، وإنها أحبتها كثيراً، وقد حدثتها عن قيامها بدفن طائر ما في الباحة غير أنها لا تعلم في أي مكان بالتحديد».

إذاً لقد جاءت كيوكو إلى بلدة شوكو لتنبش في ماضيها.

«وهكذا شكت السيدة كينا في أمرها وراحت تطرح عليها الأسئلة. أين هي هذه الصديقة؟ ولما لم تأت بنفسها؟».

لم تجب الفتاة في البداية، ثم ما لبثت أن اعترفت بأن صديقتها ميتة.

وقف هونما وتاموتسو بجانب بعضهما وكتفاهما متلاصقتين تقريباً. كان الأولاد في الجوار يتراكضون هنا وهناك ويقومون ببعض التمارين الرياضية.

قال تاموتسو وهو يدفع نفسه مبتعداً عن السياج: «أظن أنني قمت بعمل جيد أليس كذلك؟ فكرت في أن أتحدث إلى مدير المدرسة

وإلى لجنة الآباء والمعلمين لأحصل على تصريح بحفر الباحة، فالمسألة تستحق المحاولة. أراهن على أن كيوكو جاءت إلى هنا لتدفن شوكو، فإذا بحثنا ربما نجدها».

مال هونما نحو السياج وأمسك الأسلاك الفولاذية بأطراف أصابعه: «هذا صحيح، كيوكو شينجو جاءت إلى هنا». ثم أضاف محاولاً اختيار كلماته بعناية:

«لكن مع هذا، لا أعتقد أن صديقتك شوكو مدفونة في أي مكان قريب من هنا».

حدق تاموتسو في وجهه تماماً: «ولم لا؟ لقد ظننت بما إنك أزعجت نفسك بقطع كل هذه المسافة إلى هنا»...

«لا يمكن أن تدفنها هنا، أقصد أنها ربما كانت تنوي أن تفعل ذلك، لكنه أمر مستحيل وفيه مخاطرة كبيرة، فهذه باحة مدرسة قبل كل شيء ومن الممكن أن يراها أحد ما، وباعتقادي أنها جاءت لتلقي نظرة فقط وتتفقد الوضع فوجدت أنه من الصعب القيام بهذا».

«لكن، هيه»...

تابع هونما حديثه بصوت هادئ: «لا بد أن تكون كيوكو شينجو، حسب تصوري، قد دفنت رأس شوكو في أكثر الأمكنة التي وجدتها أمناً، في مكان غير هذا المكان، ومن المؤكد أنها لم تتوقع أن تكتشف أجزاء الجثة التي دفنتها في نيرازاكي، بل توقعت أن يقوموا برميها في أحد مكبات القمامة».

كان تاموتسو واقفاً هناك من دون حراك. ارتفع صوت الصافرة فتدافع الأولاد باتجاه خط الانطلاق.

«لقد أرادت أن تدفن الرأس في مكان لا يمكن الوصول إليه، وحالما فعلت ذلك جاءت إلى هنا لتدفن ذكرى شوكو. لم يكن بوسعها الخلود إلى الراحة حتى جاءت إلى هنا، إلى المكان الذي أرادت شوكو أن تدفن فيه».

تماماً مثلما فعل ماكوتو وكازي عندما قاما بدفن بلوك هيد.

جاءت كيوكو إلى هنا في الربيع، ووقفت تحت أشجار الكرز فلامست بتلات الأزهار خصلات شعرها، هل كانت هذه هي طريقتها في طلب السماح من شوكو؟ هل كان أمراً مهما بالنسبة إليها إلى هذه الدرجة، أن ترى ولو لمرة واحدة، السرير الذي رقدت فيه طفولة شوكو؟

لقد اعترفت بأن صديقتها ميتة.

قال تاموتسو بنبرة حزينة: «حسناً إذا. أين دفن رأس شوكو؟ أين وضعته؟».

شخص واحد كان بإمكانه أن يخبرهما بالتأكيد.

انطلقت الصافرة مرة أخرى فجمد صوتها في الهواء البارد النقي ثم انطلق المتسابقون بخفة بعكس اتجاه الريح.

قال هونما: «لنرجع إلى طوكيو فلدينا موعد هناك».

## ✧ 29 ✧

المطعم الإيطالي الذي اتفقت كل من كيوكو شينجو وإيمي كيمورا أن تلتقيا فيه، يقع فعلياً في جينزا لكنه بعيد بعض الشيء عن وسط منطقة التسوق، وربما هذا ما جعله فسيحاً جداً ورحباً. كان سقفه مرتفعاً جداً وفيه طابق أوسط ومنطقة منخفضة في وسط تماماً.

إن الموعد في الساعة الواحدة ظهراً والساعة تشير الآن إلى الواحدة إلا الربع.

قال هونما موجها كلامه إلى إيمي: «لست مضطرة للذهاب إن كنت لا ترغبين في ذلك، سوف نتعرف إليها في الحال عندما نراها».

«لا أنكر أنني أشعر ببعض الخوف، لكن إذا كنت تظن بأنها هي من قتلت أختي، فأريد أن أراها بنفسي».

«لا بأس إذا فقط تصرفي بشكل طبيعي».

كانت إيمي تجلس إلى طاولة في منتصف المنطقة المنخفضة في الطابق الأرضي. لقد جعلها الانتظار تشعر بالتوتر فضغطت بيدها على صدرها وكأنها تريد أن تحفظ قلبها في مكانه وبالكاد لمست فنجان الكابيتشينو الذي أمامها.

أما هونما وتاموتسو فقد تمركزا إلى طاولة جانبية في الطابق العلوي، بجانب الدرج تماماً تطل على المنطقة السفلية. هما أيضاً لم يشربا

قهوتهما إلا أن تاموتسو كان قد شرب كأسين من الماء.

قال تاموتسو وللمرة الألف ربما: «سأتحدث إليها صحيح؟».

«أجل، لكن ماذا ستقول لها؟».

نظر تاموتسو للأسفل «لا أعرف».

كان فوناكي جالساً في الطرف الآخر من الطابق العلوي يشرب فنجان القهوة الثاني ويمسك جريدة مفتوحة بين يديه. لقد وضع نظارات سوداء ولبس طقماً أسود اللون، كان لافتاً للانتباه في القاعة المنارة بشكل جيد. إن للمطعم مدخلين اثنين وكان باستطاعتهم رؤيتها حين تدخل من أي واحد منهما، أو في حال حاولت الهروب مستخدمة أحد تلك الأبواب.

لم ينم هونما جيداً الليلة الماضية، لقد بقي يراجع التفاصيل كافة مع فوناكي طوال الليل. ليس هناك أي دليل ملموس، ولا يوجد جثة، كل ما هناك هو امرأة مفقودة وامرأة أخرى تنتحل شخصيتها. إن الدوافع وراء ارتكاب جريمة القتل معروفة لكن الطريقة وأداة الجريمة لاتزالان مجهولتين. الأدلة غير المباشرة متوافرة، إلا أن التخمين كان قد بلغ أقصاه وكما قال فوناكي: «لن يقبل أي قاض بهذا الكلام، أين هي القضية؟».

«حسناً، لا يمكنك أن تكون متأكداً».

«من دون أي شيء كبصمات الأصابع مثلاً؟ كيف يمكننا الاستعانة بشهادة شاهد عيان؟».

«يمكننا أن نضغط على شاهدنا قليلاً، تكلم، قل الأشياء التي نريد سماعها فقط وإلا»...

ابتسم فوناكي من باب المجاملة. «يبدو أن الأمر لا يزعجك، أنت سعيد لمجرد أنك وجدتها».

انعكست أشعة الشمس على الأرضية الخشبية.

بينما هو جالس هنا الآن، تعين على هونما أن يعترف بأن فوناكي كان على حق، فهو لم يشعر بهذا الارتياح أبداً في أية واحدة من قضاياه السابقة، ولم يحس بأي ألم أو انزعاج.

الحقيقة هي أن هونما لم يكن متأكداً ما الذي سيقوله في حال كان هو أول من يقابل كيوكو، كل ما يستطيع التفكير به هو بعض الأسئلة.

هل تخططين للقيام بهذا مراراً وتكراراً؟ هل قررت أن ترجعي إلى إيمي كيمورا الآن، خطتك مع شوكو سيكين قد فشلت؟ وماذا بعد ذلك؟ ستهربين بسرعة من طوكيو، حيث هناك دائماً فرصة بأن تلتقي بجان؟

أو ربما عليه أن يسألها ما الذي فعلته برأس شوكو سيكين؟ بماذا شعرت عندما أخبرها جان لأول مرة عن إفلاس شوكو؟ إن ميتشي التي تعمل في شركة إيماي تريد رؤيتها ثانية، والسيد إيماي قلق هو الآخر عليها، فهل يجب عليه أن يخبرها بهذا؟ وهل سيحكي لها كيف كانت أسنان جان تصطك حين جاء إليه في تلك الليلة ليشرح له ما حدث؟

اليقين الوحيد لديَّ هو أنه لم يعد لديك أية فرصة لتجعلي نفسك شخصاً آخر. أنت كيوكو شينجو، انتهى الأمر. تماماً مثلما لم يعد بمقدور شوكو سيكين أن تصبح أحداً آخر، ومهما كانت ترغب في هذا.

إن هذا المكان المصبوغ بالأبيض الفاتح الضارب إلى الصفرة لم يكن مكاناً يمكن أن ينتمي إليه كل من فوناكي وتاموتسو ولا حتى هونما نفسه. كان ذلك واضحاً في عيون الخدم الذين يتجولون في القاعة وكذلك الشبان والفتيات الجالسين إلى طاولاتهم.

سألها هونما وهو يتخيل وجهها: «هل تعتقدين ذلك أنت أيضاً؟ هل ستشعرين بوجود شيء ما حالما تضعين رجلك داخل هذا الباب؟ وهل ستهربين في الحال لتبدأي الهرب من جديد؟

ربما من الأفضل لنا أن تهربي حقاً، فعندئذ سنتأكد من أن كل شيء صحيح».

قال تاموتسو بهدوء: «ها هي». ثم صحح جلسته وشد ظهره.

في الجانب الآخر من الغرفة رأى هونما فوناكي وهو ينزل جريدته قليلاً بعد أن مرت بجانبه ترتدي معطفاً أزرق اللون ذا قبعة. لا مجال للخطأ أبداً، لقد كانت هي.

كانت تسريحتها مختلفة، ولمعت أقراط الأذنين من بين خصلات شعرها المنسدل حتى كتفيها. مشت بين الطاولات بخفة بساقيها الطويلتين من دون أن تتفادى نظرات الخدم إليها أو تحاول التقليل من شموخها ولو قليلاً.

وقفت وراحت تنظر حولها. حتى من تلك المسافة استطاع هونما أن يميز ملامحها: الأنف الناعم، الشفتان الممتلئان وخداها الشاحبان اللذان لونتهما بالقليل من أحمر الخدود، لكن لم يكن هناك أي أثر للمعاناة أو الوحدة باد على وجهها. كانت تبدو جميلة.

عندما وقع نظرها على إيمي كيمورا رفعت يدها للتحية، فنهضت

إيمي من مقعدها قليلاً ولوحت لها من دون أن تنظر إلى هونما أو فوناكي.

خلعت كيوكو معطفها ووضعته على كرسي فارغ بجانبها وجلست بالقرب من إيمي.

كانت ترتدي كنزة صوفية بيضاء وقد وضعت دبوس زينة عند رقبتها، وبينما كانت تصلح جلستها اختبأ الدبوس من بين ثنيات الكنزة.

جلست كيوكو وقد أعطت ظهرها لكل من هونما وتاموتسو. كانت تلبس خواتم في كلتا يديها، إلا أن الخاتم الذي اشتراه لها جان لم يكن بينها.

أحضر النادل قوائم الطعام، فقامت كل من كيوكو وإيمي بفتحها في الوقت نفسه ثم أخذتا تضحكان، لكن ضحكة إيمي كانت تبدو مصطنعة بعض الشيء.

قال هونما: «ستذهب لتتحدث إليها أليس كذلك؟».

نهض تاموتسو وقد ثبت نظره على ظهر الفتاة الشابة واتجه نحوها بشكل تلقائي، وكأن قوة خفية كانت تسحبه باتجاهها. نزل السلالم بعصبية، فتوقف بقية الزبائن عن الأكل تاركين شوكاتهم مرفوعة في الهواء، وتوقفت الأحاديث، لمعت كؤوس الشراب ثم خمدت وتعلقت عيون جميع من في الغرفة بكتفي تاموتسو العريضتين.

في الجانب الآخر من الغرفة كان فوناكي قد نهض وراح يتقدم ببطء نحو الدرج الواقع في الجهة المقابلة، أما هونما فقد وقف وراح يحوم في مكانه بجانب الطاولة، لم يكن يستطيع رؤية كيوكو إلا من

الخلف لكنه كان يحدق فيها بانتباه شديد وهي تتحدث مع إيمي.

إنها هي حقاً، لقد كانت جذابة جداً بالفعل، كما وصفها الجميع.

وصل تاموتسو إلى الدرجة الأخيرة في السلم واتجه نحو طاولتها. حافظت إيمي على رباطة جأشها بشكل جيد ولم تنظر إليه أبداً. النجوم المتدلية من أقراط كيوكو كانت تتلألأ في عينيها.

إن أسئلتي ليست مهمة. أريد فقط أن أسمع قصتك. الأجزاء التي لم تخبري بها أحداً على الإطلاق، والحيوات التي عشتها في ترحالك، والأشهر التي اختفيت فيها، والفائدة التي جنيتها من كل هذا.

كيوكو، سيكون لدينا متسع كبير من الوقت، ابتداء من اللحظة التي سيضع فيها تاموتسو يده على كتفك.

تمت

## هذا كل ما تستحقه

في بلد يقتفي أثر مواطنيه في كل خطوة، كيف يمكن لامرأتين أن تنتحلا الشخصية ذاتها ثم تختفيان من دون أثر؟

امرأة شابة تختفي، من تكون هذه المرأة؟ هل هي الضحية؟ هل هي القاتل؟ لا أحد يعلم..

إنها قصة جميلة عن هوية مسروقة لكن الرعب فيها لا يكمن في ارتكاب الجرائم بدم بارد، إنما في الجوع للسلع الاستهلاكية ووقوع الطبقة المتوسطة اليابانية في حلقة مفرغة من الديون الشخصية من أجل التمتع بحياة جيدة.

يعبر الكتاب عن الناس الكادحين في المجتمع الياباني الذين يغرقون في ديون لا يمكن التغلب عليها ويقعون فريسة الاستغلال، ولكن من هو المسؤول الحقيقي عن كل هذا؟

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

9 789948 019831

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

كلمة
KALIMA